الدرس اللغوي والنحوي

في كتاب (الاحكام في أصول الاحكام) لآبن حزم الاندلسي (ت ٤٥٦ هـ)

رسالة تقدم بها

علاء عبد علي وناس

الى مجلس كلية التربية - جامعة بابل

وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها

باشراف الدكتور

حامد عبد المحسن كاظم الجنابي

رجب ١٤٢٠هـ تشرين اول ١٩٩٩م

الدَّرْسُ اللُّغويّ والنَّحويّ
في كتابِ (الإحكام في أُصول الأَحكام)
لابنِ حَزْمِ الأَنْدَلُسيّ (ت ٤٥٦هـ)

رسالةٌ تقدَّمَ بِها

علاء عبد علي ونّاس

الى مجلسِ كُلِّيةِ التَّربِيَةِ . جامعة بابل

وهي جزءٌ مِنْ متطلباتِ درجةِ الماجستير في اللُّغةِ العَربِّيةِ وآدابِها

بإشرافِ

الدكتور حامد عِبد المُحسن كاظِم الجنابي

رجب ١٤٢٠هـ تشرين أول ١٩٩٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

اشهد ان اعداد هذه الرسالة جرى تحت اشرافي في جامعة بابل ـ كلية التربيـــة ، وهي جزء من متطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها .

المشرف :

الامضـاء :

د : حامد عبد المحسن الجنابي

التاريخ : ١٥/ ١ / ٢٠٠٠

بناء على التوصيات المتوافرة اعلاه ،ارشح هذه الرسالة للمناقشة .

رئيس قسم اللغــة العربية

أ . م . د : علي ناصر غالب

الامضاء :

التاريخ : ١٥/ ١ / ٢٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

نشهد نحن اعضاء لجنة المناقشة اننا قد اطلعنا على الرسالة المقدمة من الطالب (علاء عبد علي وناس) الموسومة بـ (الدرس اللغوي والنحوي في كتاب الاحكام في اصول الاحكام ، لابن حزم الاندلسي) ، وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها وفي ماله علاقة بها ، ونعتقد انها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بتقدير ( ) .

الامضاء :
أ . د . صباح عباس سالم
عضوا :
التاريخ : ١١ / ٢ / ٢٠٠٠

الامضاء :
أ . د . رشيد عبد الرحمن العبيدي
رئيس لجنة المناقشة :
التاريخ : ١١ / ٣ / ٢٠٠٠

الامضاء :
أ . د . رياض حاتم
عضوا :
التاريخ : ١١ / ٢ / ٢٠٠٠

الامضاء :
د : حامد عبد المحسن الجنابي
(المشرف) عضوا
التاريخ : ١١ / ٣ / ٢٠٠٠

صدقها مجلس كلية التربية ــ جامعة بابل .

الامضاء :
أ . د : علي محمد خلف الركابي
عميد الكلية
التاريخ : / / ٢٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

((وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)).

صدق الله العظيم

سبأ: ٦

الإهداء

إلىٰ :اللذَينِ كَلَّ متنهما ، وضحيا بسعادتِهما مِنْ اَجل أَنْ ينعم ابناؤُهما بنعيمِ العلمِ والمعرفةِ .

((أبي وأمي)) العزيزين

اللهم ٱجعلْ جزاءَ ما قدمتُ نورا يسعى بين ايديهما ، عسى اَنْ يكونَ حسنةً تنفعهما يومَ الدينِ .

إلىٰ : الذي تعهدَ هذا البحثَ منذ كان فكرةً إلىٰ أنْ اشرفتُ به على الأنتهاء ، ... تعبيراً عنِ الوفاءِ والعِرفان.

((أخِي وأُستاذِي الدكتور محمّد عبد الحسين الخطِيب))

إلىٰ : مِنْ شهد لها الناسُ بالتقوى والوِدادِ الصادِق .

إلىٰ : الإِنسانة التي تمثلتْ بها روحُ الاخوة الصادقة ، فتعهدتني منذ حداثةِ السنِّ حتى أَقامَ اللهُ بها صُلْبَ ثقافتي .

((شقيقتي هناء))

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم : أ . د . رشيد عبد الرحمن العبيدي

الباحث علاء عبد علي وناس هو أحد طلبة البحث العلمي , في جامعة بابل , وقد تناول موضوعاً بعنوان :

" الدرس اللغوي والنحوي في كتاب: الإحكام في أصول الأحكام "

استطاع من خلاله أن يتتبع آراء ابن حزم الظاهري الأندلسي في دراسة موضوعية دقيقة شاملة لنيل درجة الماجستير, فكان بحق طالب علم موضوعياً, لم يفته شيء مما يمكن أن يرصده باحث لغوي.

لقد كان علاء عبد علي في منهجه الذي وضعه لهذه الدراسة واعياً مستوعباً كل ما يدخل في موضوع رسالته من القضايا النحوية واللغوية , فتناول قضايا الصوت والصرف, وحاول الربط بين الفنّين لما لهما من علاقة صميمية , إذ إن علم الصرف هو منطلق علم الأصوات العربي, وساعده الأيمن , وقد كان علماء التصريف العربي من أوائل من بحث في علم الأصوات , ولاسيما في الإعلال والإبدال , والقلب , وتأثير الأصوات بعضها في بعض, وتبدلات بعضها الى بعض في نحو : ((اصتبر وإصطبر)) و ((قَوَلَ و قال)) , و((بايع و بائع)) , ((عجاوز و عجائز)) الى غير ذلك من الأمثلة التي تناولها علم الصرف, وهي في حقيقتها قضايا صوتية مهمة, تناول علم الصوت, وبحثها بشكل مستفيض.

ولم يفت الباحث أن يلم بالقضايا النحوية التي أبدى فيها ابن حزم رأيه, وعالج مباحث في تركيب الجملة العربية , واستخدام الأدوات ودلائل التركيب , والإعرابات التي تثير اهتمام الباحثين في علم النحو العربي فقد تناول الضمائر, وحروف المعاني و حروف الجر , وحروف العطف كالواو العطفية و علاقتها بالواو الاستئنافية , والدلالات المتحققة باستعمالهما.

ثم تناول البدل , وما يتصل به من آراء للنحاة و لابن حزم نفسه, وبعد أن أتم الدراسة النحوية, تناول دراسة اللغة,والنظريات المطروحة في نشأتها, والقول بالإصطلاح والتوقيف, ومذهب ابن حزم في ذلك كله, وهي مسائل تناولها (فقه اللغة) و(علم اللغة) وتبين من خلالها سبق ابن حزم في كثير من النظريات التي نجد لها صدى في البحث اللغوي المعاصر.

ولم ينس الباحث أن يمر على رأي ابن حزم في (اللغاتً الجزرية) والصلات, أو علائق القربى بينها, وهو الرأي الذي ساد هذا اليوم بين الباحثين الأوربيين , ولا سيما (العربية والعبرية والسريانية).

وقد كان ابن حزم متقدماً في شرح العلاقة بين هذه اللغات قبل ٩٠٠سنة تقريباً , ولم يفطن العالم الأوربي الى ذلك إلا في القرن التاسع عشر حين درس اللغات الأوربية (الآرية الهندية) واللغات الشرقية (السامية الحامية) واللغات الطورانيّة. وبذلك – سجّل ابن حزم سبقاً في هذا الميدان – .

وتناول الباحث موضوع الظواهر الدلالية من المشترك والترادف والتضاد , واشتقاق الألفاظ , وما يتصل بذلك كما هي عند ابن حزم , وحاول الرُبط بينها وبين أراء المستشرقين وبذلك استطاع الباحث أن يدلنا على كثير مما كان للعرب المسلمين سبق فيه , في مباحث الدلالة , ودراستها.

ثم انتهى الى نتائج البحث , ليطلعنا على أهم ما رآه عند ابن حزم من مواقف تدل على سعة علمه, وطول باعه في علم النحو واللغة , و على ما سبق إليه من آراء تدل على عقلية فذة في ميدان البحث اللغوي العربي.

أرجو للباحث الموفقية في أيامه المقبلة مع دعائي بالتوفيق.

أ . د . رشيد عبد الرحمن العبيدي
أستاذ علم اللغة في جامعة صدام للعلوم الإسلامية / بغداد
١٣ محرم ١٤٢١هـ الموافق ١٨ / ٤ / ٢٠٠٠م

المحتويات

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

ولله الحمد على ماأولى وصلى الله على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الذين اتبعوه بأحسان الى يوم الدين.

ان الدرس اللغوي عند العرب كان وليد الحاجة الى فهم القرآن. وكانت بداياته في تتبع اللحن فتطورت الى النحو، وفي تتبع معاني المفردات فتطورت الى العمل المعجمي، وفي تفسير تراكيب الآيات، فتطورت الى المباحث البلاغية. وكل هذا تم من أجل فهم النص القرآني فهما دقيقا، واستخراج الأحكام الشرعية منه.

وطبعيٌ أن من يستخرج الأحكام الشرعية من النص القرآني هم الفقهاء، وكان لابد لهؤلاء من أن يتسلحوا بفهم دقيق للعربية وطرق صياغتها، حتى يتأتى لهم ادراك دقائق الأحكام من ادراك دقائق النص .

وكان لابد لهم من ضوابط في عملهم الفقهي اقتضت منهم وضع مصطلحات تلقفها النحويون فيما بعد، ولاننسى مقولة ابن جني (ت ٣٩٢ هـ): (وانما أخذ أصحابنا ألفاظهم من أهل الفقه)، لذلك فكل فقيه ينبغي له ان يكون عالما في العربية ان لم يكن ضليعا بها. ولا ينبغي لكل عالم في العربية أن يكون فقيها.

ولهذا السبب نستطيع أن نستخلص قواعد العربية صوتا وصرفا ونحوا و دلالة من كتب الفقه، ولانستطيع أن نستخلص قواعد الفقه من كتب اللغة.

ولو أردنا الاطلاع على الدرس اللغوي عند أي فقيه، فنحن واجدوه في كتبه الفقهية ان لم يكن قد أفرد للدرس اللغوي كتابا من كتبه.

وهذا يصدق تماما على ابن حزم الأندلسي، فهو لم يفرد كتابا في الصرف أو النحو أو اللغة، لكنه ترك لنا كتابا فقهيا مهما هو (الاحكام في اصول الاحكام)، وهو كتاب مشحون بالنصوص اللغوية التي يستعين بها المؤلف ويحتج بها في استنباط الاحكام الشرعية.

ومن هنا تأتي أهميةُ دراسةِ كتاب (الإحكامُ في أُصولِ الأَحكام) دراسةً لغويةً، ومما يزيد الموضوعَ أهميةً أَنْ الباحثين الذين سبقونا لم يتطرقوا الى دراسةِ هذا الكتاب. حتى إنَّ محققَ الكتاب لم يتطرقْ في هوامشِه وتعليقاتِه إلى مباحثِ الدرسِ اللّغوي فيه، فتوكلنا على الله، وقرأنا الكتابَ قراءةً متأنيةً فاحصةً، واستخرجنا منه مباحث الدرسِ اللغوي- الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي - .

وقد اقتضت طبيعةُ الموضوع أَنْ يكونَ عنوانَ الرسالةِ (الدَّرسُ اللّغويُ والنَّحويُ في كتابِ الإِحكام في أُصول الأَحكام)، واقتضى منهجُ البحثِ أن تكونَ الرسالةُ في مقدمةٍ وتمهيدٍ وثلاثةِ فصولٍ وخاتمةٍ.

أما المقدمةُ فهي بين أيديكم، وقد تطرقْنا فيها الى أهميةِ الموضوع، ووصفِ منهج عملِنا فيه.

وأما التمهيدُ فإنه ضمَّ مبحثين،اَختصَّ الأولَ منهمابيان الحالة السياسيةِ والأَجتماعية والعلميةِ التي كان اَبنُ حزم يعيشُها.

واختص المبحثُ الثانيبسيرةِ اَبنِ حزم من مولدِه الى وفاتِه.

وأما الفصلُ الأول، فقد وَسَمْتُه بـ (جهود ابن حزم الصّوتية والصّرفية)، حيث بحثَ المسائلَ الصوتيةَ والصرفية التي تطرقَ اليها اَبنُ حزم في كتابهوانما جمعنا بينَ الصوتِ والصرفِ في فصلٍ واحدٍ لسببين، الأولِ هو الترابطُ الوثيقُ بين المسائلِ الصوتيةِ والمسائلِ الصرفيةِ من إعلالٍ وابدالٍ وفكٍ وإدغام. والسببُ الثاني، هو نزرةُ المباحثِ الصوتية في كتاب (الاحكام)، مما لايستطيعُ أَن تكونَ فصْلاً.

حيثَ اشتمل مبحثُ الدراسة الصوتية على ظاهرةِ الاشباع، وتغير هَيْأَةِ الكلمة ، والمزج، والابدال.

أما مبحثُ الدراسة الصرفية، فإنه انقسم على:

أ- الاشتقاق.

ب- الجمع.

وأمّا الفصلُ الثاني فقد عنونتُه بـ (جهود ابن حزم النحويّة)، حيث خُصّصَ لدراسة المسائل النحويّة التي تَطرّق اليها ابنُ حزمٍ ومنها، التحدث عن عَود الضمير حيثُ جعلناهُ في المبحثِ الأول، والثاني خُصّصَ بحروفِ المعاني- حروف الجر والعطف-، والواو بين العطف والاستئناف في سورة آل عمران الآية السابعة ، والثالث خُصّصَ للتحدث عن البدل، والرابع القراءة بين الخَفْض والنصب في آية الوضوء.

وأما الفصلُ الثالث فقد وسمتُه بـ (جهود ابن حزم اللغويّة)، حيثُ تَطرّقَ هذا الفصلُ إلى المسائل الدلالية . التي تطرق اليها ابنُ حزم، وقَسّمته على ثلاثةِ مباحث، فقد تطرقَ الأول، الى نَشأة اللّغةِ، وناقشَ الآراءَ التي قالها فيها سابقوُه. أما المبحثُ الثاني، فقد عَرَضَ لمقولة ابن حزم في تقارب العربيةِ السريانيةِ والعبرانية. فكان بذلك من أوائل الذين تنبّهوا الى صلاتِ القُربىُ بين هذه اللغات. بَعَدَ أنّ عَدّها لغةً واحدةً أثّر فيها اختلافُ الأصقاع.

أما المبحث الثالث فإنه تناولَ أقوال ابن حزم وآراءَه حول الألفاظ المشتَركة، حيث وسَمناهُ بـ (المفردات المشتَركة)، التي قُسّمت على قسمين، الأول مفرداتٌ تشتركُ في المعنىُ(الترادف)، والثاني مفردات تشترك في اللفظ (المشتَرك اللفظي والتّضاد).

وأما الخاتمةُ فإنها ضَمّت ما توصل إليه البحث من نتائجَ، سواءٌ أكانت هذه النتائج تتصلُ بتوثيق نَسبِ ابن حزم، أم بتتبع أسماءِ شيوخِه وتلامذتِه بالتصحيح والاضافة، أم باستدراكِ عُنوانات مؤلفاته، أم ببيان آرائِه التي تابع فيها شيوخَهُ على المذهبِ النحوي الذي ارتضاهُ اهلُ الاندلس (المذهب الانتخابي) أو آراؤه التي انفردَ بها غيرَمتابع فيها احداً .

وقد تلت الخاتمةَ قائمةٌ بمصادرِ البحثِ ومراجعه، وكان في مقدمة هذه المصادر القرآنُ الكريم، ثم كتابُ الإحكام في أُصول الأحكام وتنوعت هذه القائمةُ على كتبِ اللغة والصَرف والنحو والتفسير وكتب التراجم وكتب البلدان.

وفي الختام أتقدمُ بالشكرِ الجزيل للأستاذ المُشرف علىُ الرسالة الدكتور حامد عبد المُحسن الجنابي، على مابَذَلَهُ معي مِنْ عملٍ دؤوبٍ في

تقويم الرسالة، وارشاد الباحث إلى سُبُلِ الصَّوابِ في هذا المضمار الشائك. حيث يسَّر لي كلَّ ما احتجتُ اليه من مصادرَ ساعةَ السؤال عنها، فله الشكرُ مرتين، مرةً لمَا وجَّه وقوَّم فأحسنَ التوجيهَ والتقويمَ، ومرةً لمَا أتاحَ لي من حريةِ القول. فجزاه الله عني خيرَ الجزاء.

ثم يدفعني واجبُ الشكر والعِرفان بالجميل أَنْ أتقدمَ بخالص الشكر والتقدير لأستاذي الدكتور صباح عباس السالم، والثناء على أياديهِ البيض، وكرمِه الجم في تتبع مسارات هذا البحثِ خطوةً خطوةً، إذ فتح لي قلبَه وعقلَه أباً وأستاذاً مذ كنتُ طالباً في الدراسة الأولية، فكان لتوجيهاته السديدة وآرائه الصائبة فضلُ استواءِ هذه الرسالةِ على ما هي عليه الآن، فجزاه الله عني خيرَ الجزاء.

وأتقدم بعاطر الثناء والصدق والاخلاص والامتنان لكل من وقف معي في انجازِ هذا البحث أو أسهمَ فيه بنصيبٍ معلوم، أساتذتي في قسم اللغة العربية، وأخص منهم الدكتور علي ناصر غالب رئيس القسم، والدكتور محمد عبد الحسين الخطيب، والأخوة: لواء الفوّاز، صفاء عبيد الحفيظ، احمد الهيتي، احمد هادي، حيث كانت لهم مواقفُ لاتنسى، فجزاهم الله عني خيرَ الجزاء.

ولايفوتني أن أشكر العاملين في المكتبة المركزية – محافظة كربلا –، على توفيرهم لي الكثيرَ من المصادرِ والمراجع، وكذلك مكتبة كلية التربية، وقسم اللغة العربية، جامعة بابل، فلهم الشكرُ جميعاً.

وفي الختام أسال الله سبحانه وتعالى أَنْ يجعلَ عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن يتقبله أحسنَ القَبول، ويجزيني عليه خيرَ الجزاء.

وان كان ثمةَ هفواتٌ فأرجو أَنْ تُغفر لي، وأَنْ يتفضلَ عليَّ مَنْ يقرؤها بتصويبها لأفيد منها في تقويم هذا البحث، وتقديمه بأفضلِ صورةٍ ممكنة، ومن الله التوفيق والسداد.

والحمد لله في الأولى والآخرة، هو أهلُ التقوى وأهلُ المغفرة.

التمهيد

"المبحث الأوّل "

"الظروفُ المحيطة بأبن حزم"

"الحالة السّياسيّة "

لم يكد القرنُ الخامس يُطِلُّ على الأندلس حتى لاحَتْ نُذر الفتنة، وأخذت تعصفُ بتلك البلادِ التي نَعِمَتْ بالهدوء والسكينة، في ظلِ الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (١). الذي دام حكمُه زهاءَ خمسين عاماً (٣٠٠ - ٣٥٠هـ)، وقد بذل الجهودَ الكبيرة في داخل البلاد وخارجِها من أجل استقرارِ الدولة وعِمرانها، حتى قُرِنَ عصرُه بعصر الخليفة هارون الرشيد بالمشرق، وذلك لما بينهما من أوجه الشّبه في سِمات عدة (٢).

ولكن سَرعان ما أفرزت هذه الفتنةُ الصراعَ السياسي في مختلف دويلات بلاد الأندلس وفقدتْ قرطبةُ المركزَ السياسي نتيجةً لذلك(٣). وقد تمخّضتْ هذه الفتنةُ عن حالةٍ من التمزق والفوضى التي مُنيتْ بها الدولةُ العربيةُ الاسلاميةُ في الأندلس، حتى سادت هذه الفوضى البلادَ، وانقسمتْ بلادُ الأندلس على دويلات في كل مدينة،وَشُنَّتِ الحروب الدامية وقامت الثورات المستمرة التي خلفت وراءها دماراً وضَعفاً في شتّى جوانب الحياة السياسية

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، أول من تلقب بالخلافة من رجال الدولة الاموية :ينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : ١ /٣٦١ ، الأعلام:٤/٩٩.

(٢) ينظر: النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين: ١٧

(٣)ينظر: تأريخ الدولة العربية في الأندلس: ١٤٩

(٤)ينظر: الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة :القسم الأول، مج٢: ٨٦ ، البيان المغرب: ٣/٥٠-١٥٠، المعجب في تلخيص أخبار المغرب:٨٦ - ١١٠ ، الكامل في التاريخ : ٩/ ٩١ - ٩٧، نفح الطيب: ٤/٥ - ٤٧.

ويبدو أنَّ الأسبابَ التي مهدتْ لهذا الاضطراب على الحصول : هي انقسامُ المجتمع الأندلسي على طوائفَ وجنسياتٍ عديدةٍ، واستقلالُ الزعماء، حتى أنَّ الأمرَ لم يكن مضبوطا بيدٍ حازمةٍ من أُميرٍ ممكن، أو ذي قوة مؤزر ، بل كان الولاة ضِعافاً والدولةُ لم تكن راضيةً عن بعضِهم فكانت تُضعف امرَهُ فوق ضعفِه (١) .

والبعض الأخر، ذهب برأيه الى أنَّ هذه العواملَ يمكن أن تكون مساعدةً في تعجيلِ عمليةِ ظهور هذا الاضطراب وبلورةِ احداثِها ونتائجِها، لكنَّ السَّببَ الأساسَ الذي يكمن وراءَ ضَعفِ هذه الدولةِ القويةِ: هو استمرارُها في بُعدها عن النهج الاسلامي الصحيح وعدمُ اتباعِ القواعد التي وضعها الاسلامُ للسيطرة على مقاديرِ الحكم والسياسةِ والادارةِ (٢) .

ونتيجةً لتردي هذه الأوضاع وحالة التمزق التي مُنيتْ بها تلك البلاد، فقد صَوَّر مؤرخ أندلسيّ أحوال الطوائف بقوله: (...وذهب أهل الأندلس من الانشقاق والانشعاب والافتراق الى حيث لم يذهب كثيرٌ من أهل الأقطار مع امتيازِها بالمحل القريب... ، فاقتطعوا الأقطارَ واقتسموا المدائنَ الكبار وجبوا العمالاتِ وجندوا الجنودَ وقدَّموا القُضاة وانتحلوا الألقاب) (٣) .

وهذه صورة واضحة في عرض أحوال ملوك الطوائف وما كان منهم من القيام بتصرفات واعمال تدل على تقصير وجهل في امور السياسة وقضايا الحكم. (والدليل على ذلك هو انقسام الأندلس في ذلك الوقت الى اكثرَ من عشرين دويلة) (٤) ، ويلاحظ

---

(١) ينظر: تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة : ١٦-٢٢، النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين: ١٩

(٢) ينظر النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين: ١٩

(٣) اعمال الأعلام : ١٤٤

(٤) لمعرفة هذه الدول المقتطعة، ومحاولة التعريف بكل دولة، يُنظَر: الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة: ٢٣- ٢٥، التأريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية: ٤/١١٦- ١٢٠، التأريخ الأندلسي: ٣٧٦_ ٤٠٩، تأريخ الأندلس – عصر المرابطين والموحدين: ١ /٣٠_٣١، المجمل في تأريخ الأندلس: ١٧٠

عِظمُ الخطب وفداحتهُ من الناحية البشرية، من خلال احتياج هذه الدول الى أجهزةٍ للحكم ولاتقومُ هذه الأجهزةُ الا بوزراءَ ومستشارين وقضاةٍ وايضا الى قيادات ادارية وعسكرية وما يتطلبه ذلك من جهود ماديةٍ وبشرية.

"الحالة الاجتماعية "

ان الأوضاعَ غيرَ الطبيعية في المجتمع الأندلسي يجبُ ألاّ تبُعد المتلقي عن تفحّصِ الرُقي الحضاري الذي زَخَرَتْ به البيئةُ الأندلسيّة، فقد كان أهلُها ذوي نشاط وهمةٍ عاليةٍ[١] .

فقد ازدهرت مقوماتُ الزراعة متمثلةً بالقيام باعمال الفِلاحة ومتطلباتِها وشؤون الرّيّ ومقتضياته، واسهم الصناع بقدر أو بآخرفي اقامة القصور، والمعالمِ الحضاريةِ، وتسهيل أسباب الحياة في مرافقِها المتعددةِ ومن ذلك نشاطُهم في مجالْ التعدين كاستخراج الذهب، والفضةِ، والحديد، أو صناعةِ الورق . الى جانب العلماءِ الذين عَمِلُوا بدأب لإثراءِ الحياة الفكريّةِ في الأندلس عامةً، والدينية بشكل خاص[٢] .

وطبيعةُ المجتمع الأندلسي أيامَ الطوائفِ كانت مزيجاً من أقوام مختلفة، جمعها المكان، ولكنّ لِكل منهم خصائِصَهُ ومميزاتِه، فكان فيهم العرب[٣] ، (وهم الذين كان لثقافتهم وللغتهم ولأخيلتهم ولصورهم البيانية الرائعة السلطان الكامل؛ لذلك كان لِلاندلس مظهرٌ أدبيٌ وفكريٌ واحد، وحدته تلك اللغةُ السامية لغةُ القرآن الكريم)[٤] .

(وكان فيهم البربرُ، وقد كان منهم مَنْ له مقامٌ مذكورٌ في الفتح[٥]، ثم منهم الصقالبة، الذين اعتنقوا الاسلامَ من سُكّان البلادِ الأصليين) .

---

(١) ينظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: ٣٩٥

(٢) لمزيد من التفصيل عن الجهود العمرانية ، ينظر: ابن حزم حياته وعصره – آراؤه الفقهية: ١٠٩

(٣) ينظر: الأدب ألاندلسي موضوعاته وفنونه :٢١

(٤) ابن حزم حياته وعصره: ١٠٥

(٥)الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه :٢١

ويرى بعضُ الباحثين: (أنَّ حياةَ المجتمع الأندلسي قد اتسمتْ منذُ البدايةِ بالفهم الصحيحِ للمسؤوليةّ الاقتصاديّة وتقديرِ الكَسْب ووضعِ التدابيرِ اللاّزمة في موازنةِ الدخلِ والخَرجَ، على نحو قد عَدَّه المشارقةُ بُخلا) [١] .

ويرى الباحث : أنَّ التزاوجَ البشريَّ الذي حصَلَ في المجتمع الأندلسي، أدّىُ الى ظهورِ عنايةِ هذه الأقوامِ بالعلوم والمعرفة كافة. حيث كان الأندلسيون يميلون – غالبا- الى احترام العلم والعلماءِ واهلِ الزُّهد والتقوى، وان كانت دياناتُهم كما يقول-المَقَّريّ- (تختلف بحسب الاوقات والنظرِ الى السلاطين، ولكنَّ الأغلبَ عندهم اقامةُ الحدود، وانكار التهاون بتعطيلها وقيام العامة في ذلك، وانكاره ان تهاون فيه اصحاب السلطان) [٢]

واللافت للنظر في هذا الشأن أن المجتمع الأندلسي تميَّزَ بإعطاءِ الحريّة للمرأة بصورةٍ عامة، (فابن حزم يروي قصّةً توضّح أن النساء والرجال كانوا يَخرجون للنُزهةِ في الرّياض أيامَ الجمعة) [٣] ، حتى اضحتِ المرأةُ واسعةَ النفوذ، ولا تقلُّ المرأةُ الأندلسية عن المشرقية في مدى النفوذ السياسي [٤] .

(وأما الغناء فكان له شأنٌ مهم عندهم ، وذلك من خلال إقامة العديد من حفلاتِ اللّهو والطَّرَب التي يرتادُها الأدباءُ وأكابرُ القوم، على ألاّ ننسى ما كان يحصلُ من خلاعةٍ وتَهتّكٍ في بعضِ الأحيان، كالغزلِ بالمذكر) [٥] .

وكلُّ هذه الأجواء الاجتماعية التي سادتْ بلادَ الأندلس كان لها أثرٌ كبيرٌ في نفس ابن حزم، وفي فكره أيضا، فأحياناً يجتمعُ في نفسه ما يُتيح له من رقةِالطبع وعذوبته، والشدّةَ والجفاءَ في آحايينَ أُخر، فكان بذلك إمامُ الأندلس وفقيهها [٦] .

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر سيادة قرطبة :٢٤

(٢) نفح انطيب : ٢٠٤/١

(٣)جذوة المقتبس : ٢٨٨، نفح الطيب :٣٠/٦

(٤) ينظر: الصلة : ٦٥٧،٦٥٣/٢

(٥) رايات المبرزين وغايات المميزين :٤٤

(٦) ينظر :ابن حزم حياته وعصره : ١١٥،١١٤

"الحالة العلمية"

على الرّغم من الاضطراب السياسي الكبير في عصر ابن حزم، إلا انَّ النهضةَ العلميةَ لم تتوقفْ عن المسير، فكان النهوض العلمي في عصره مساوياً لذلك الأضطراب. ((حيث حافظت الحركة الأدبية في الأندلس على تقدمها وازدهارِها في تلك الأيام)) (١) .

وقد أفاد الغربُ فيما بعد من كتابات العلماء الأجلاء الأندلسيين ذوي الآفاق الواسعةِ الذين لايقتصرون في دراساتهم على المذاهب الفقهيةِ فقط، بل تَعدّتها الى دراسة الأدب والتاريخ والتصوّفِ والفلسفةِ والعلومِ الأخرى (٢) ، غيرَ أن الدراسات الفلسفية لم تكن مبرزةً بل كانت مخفيةً والسبب في ذلك هو اتّهام من لديه اهتمامٌ بها بالزندقة (٣) .

(ومن مظاهر المعرفة الأخرى التي سادت اجواءَ الأندلس هو انتقالُ الترجمةِ وفنونِها إليها من المشرق في أواخر القرن الثالث ومطلعِ القرن الرابع) (٤) .

وفي مجال الدراسات الدينية اهتم الفقهاءُ بأوجهِ قراءة القرآن وروايةِ الحديث، وتدبّرِ الفقه، والأخذِ بمذهب مالك بصورة خاصة. قال ابنُ حزم: (مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان، مذهبُ أبي حنيفة ... ومذهبُ مالك عندنا بالأندلس) (٥)

أما بالنسبة الى اللغة، فقد كانت بها على عهد ابن حزم وقبله، عنايةٌ خاصةٌ بها وبعلومها وآدابها، فالنحو مثلا له نشاطٌ ملحوظٌ نهجَ فيه الأندلسيون منهجَ المشارقةِ في دراسته، وكان من أوائل مؤلفات النحو التي دخلتِ الأندلس، وانكبَّ على دراستها النُحاةُ كتابُ سيبويه (ت ١٨٠هـ)، وآراءُ الكسائي (ت ١٨٩هـ) وسائرُ مؤلفات اللغويين (٦) .

---

(١) الدراسات اللغوية في الأندلس: ١٥، وينظر: الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس: ٦٣

(٢) ينظر: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ٧٣

(٣) ينظر: تأريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي: ٣١١

(٤) ابن حزم حياته وعصره: ١٠٢- ١٠٥

(٥) نفح الطيب : ٢/٢١٨

(٦) ينظر تاريخ الفكر الأندلسي : ١٨٥ ، من تاريخ النحو : ٩٦

ومن ابرز العلماء إبَّانَ القرن الخامس الهجري الذين ذاع صيتُهم هناك، سعيد بن عبد الله الأزدي (ت ٤٢٩ هـ) الذي يقال عنه: انه كان اماما في كتاب سيبويه، وعلي بن إسماعيل بن سِيدهَ (ت ٤٥٨هـ)، والأعلم الشنتمريّ (ت ٤٧٦هـ)[١].

أمَّا في مجال الأدب،فقد حَظِيَ الشعرُ عندهم بمنزلة طيّبة حيث كان يُنشَدُ في مجالس الملوكِ ومحافلِ الأمراء[٢].

وفي هذا الوسط العلمي المتوهج عاش، عالِمُنا ابو محمد علي بن حزم الأندلسي،وقد افاد من هذه العلوم جميعِها.

والحق أنّ الفضلَ في هذا الأنتشار الواسع لهذه الحركة العلمية والروح الأدبية التي أحاطت ببلاد الأندلس يَرجِعُ في الأساس الى عبد الرحمن الناصر الذي تولى قُرابةَ خمسين عاماً (٣٠٠ - ٣٥٠هـ) وقام باحضارِ العديد من العلماء الأجلاء الذين ذاع صيتُهم في الشرق، وقام ايضا بانشاءِ المكتبات، واحضارِ العديد من الكتب التي ظهرتْ في بلاد المشرق. ومما لاشك فيه أنّ ابنَ حزم قد أطلع على هذه الكتب القيّمة، وكانت في سلطانه لأنها بقيتْ محفوظةً الى أيّام الفتن التي قامت في قرطبة من سنة (٣٩٩هـ - ٤٠٣هـ)[٣].

---

(١) ينظر: أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وعلم اللغة الحديث: ٣٧

(٢)ينظر: تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي: ٣١٣، نظرات في اللغة عند ابن حزم : ٨

(٣) تأريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة : ٣٨- ٤٠

وفي هذا الصدد يذكر القاضي صاعد بن أحمد الأندلسي[١] (ت ٤٦٢هـ): (لقد كان ابن حزم نتيجةً لاطلاعه الواسع على هذه الكتب، اجمعَ أهلِ الأندلس قاطبةً لعلوم الاسلام وأوسعَهم معرفةً، ... وأخبرني ابنه أبو رافع الفضل بن علي؛ انه اجتمع عنده بخط أبيهِ من تاليفه نحو اربعمائةِ مجلدٍ تشتمل على قريب من ثمانين ألفِ ورقة، في الفقه، والحديث، والأصولِ، والنحلِ، والملِ، وغيرِ ذلك)[٢].

"المبحث الثاني"
نشأتهُ وسيرتهُ

اسمُـــــــــــــــهُ:

هو أبو محمد عليّ بنُ أحمد بنِ سعيد بنِ أحمد بن سعيد بنِ حزم بنِ غالب ابنٍ صالح بنِ خلف بن معدان بنِ سفيان بنِ يزيد مولى يزيد بنِ أبي سفيان بن حرب بنِ امية الفارسيّ الأصل، ثم الأندلسي القرطبي المعروف بابنِ حزم المحدِّثِ صاحب التصانيفِ المشهورة[٣].

---

(١) هو صاعد بن احمد بن عبد الرحمن بن صاعد الأندلسي التغلبيّ، وهو أحد تلامذة ابن حزم، ومن أشهر مؤلفاته: (جوامع اخبار الامم من العرب والعجم)، و (مقالات اهل الملل والنحل)، و (تاريخ الاندلس)، و (تاريخ الأسلام)، و (طبقات الأمم). ينظر بغية الملتمس : ٣١١، الصلة: ٢٣٢/١، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون: ٦١.

(٢) الصلة : ٣٩٥/٢، ينظر معجم الأدباء :١٢٠/ ٢٣٥- ٢٣٨.

(٣) ينظر: جذوة المقتبس: ٢٩٠، الصلة : ٣٩٦/٢، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة:القسم ١، مج١: ١٤٠، معجم الأدباء: ١٢/ ٢٣٥، المغرب في حلى المغرب: ٣٥٤، بغية الملتمس: ٤٠٣، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٧٥/٥، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٢٩٩/٣، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: ٢١٠، دائرة المعارف الاسلامية: ٢٥٤/٢، الأعلام: ٢٥٤/٤، معجم المؤلفين: ١٦/٧

ولادتـــــــــــه:

ولد ابن حزم بعد صلاة الصبح في آخر يوم من شهر رمضان من سنة ٣٨٤هـــ (١٧/١١/٩٩٤م)[١] في قرطبة . وكانت ولادتُه في الجانب الشرقي من ربض منية المغيرة[٢] . وكان لعائلته نفوذٌ فـــي الدولة اذ كان أبوه قد وُلّي الوزارة لعبد الرحمن المستظهر بالله[٣] . ثم لهشام المعتمد بالله[٤] ، وكذلـــك ولده من بعده[٥] .

نشـــــــــأتُهُ:

نشأ ابـن حـزم فـي قصـرِ أبيـه الوزيـرِ فـي قرطبـة، فـي الجـانب الشـرقي فـي ربـض (منيـة المغيـرة) علـى الـدرب المتصـل بقصـر (الزهـراء) الـذي بنـاه المنصـور ابـن أبـي عـامر الحـاجب[٦] ، (حيـث اكتنفَتْهُ مظـاهرُ الـــترف والعيـشِ المنعّـم، وتاسـره مغريـاتُ الجمـال، وتحـدو بـه نحوالمعـالي أريحيـةُ المجـدِ، وأبهـةُ حيـاة القصـور)[٧] .

---

(١) ينظـر: دائـرة المعـارف الاسـلامية : ٣ /٧٩٠

(٢)ينظـر: الصلـة: ٢ /٣٩٦

(٣) هو عبد الرحمن بـن عبـد الجبـار بـن عبـد الرحمـن النـاصر، المسـتظهر بـالله، أحـد مـن ولـي امارة قرطبة فـي أيـام ضعـف الدولـة الأمويـة بـالأندلس، بويـع للخلافـة سـنة (٤١٤ هـــ) وقتـل بعـد ٤٧ يومـا مـن ولايتـه، ينظـر: جـذوة المقتبـس: ٢٥ الذخـيرة : القسـم الأول، مـج١ :٣٤، المعجـب: ٣٥

(٤) هو هشام بن محمد بن عبـد الملـك بـن عبـد الرحمـن النـاصر، المعتمـد بـالله، آخـر ملـوك بنـي أمية فـي الأندلـس، بويـع للخلافـة سـنة (٤١٨ هـــ) وخلـع سـنة (٤٢٢ هــ)، ينظـر: الكـامل لأبـن الأثـير: ٩٧/٩، البيـان المغـرب: ١٤٥/٣، المعجـب: ٥٧

(٥) ينظر: نهايـة الأرب فـي معرفـة أنسـاب العـرب: ٢١

(٦)هو محمد بـن عبـد الله بـن عـامر بـن محمـد ابـي عـامر بـن الوليـد الملـك المعـافري القحطـاني، المعـروف، بـالمنصور بـن ابـي عـامر، ولـد سـنة (٣٢٦ هـــ) و (ت٣٩٢هــ)، ينظـر: نفـح الطيـب: ١٨٩/١، الأعـلام:١٠٠/٧

(٧) طـوق الحمامـة : ٢١

(وكان رَبُّ هذه الأسرة قد رسَمَ لابنه (علي) طريقةً خاصةً في التربية والتوجيه، محددا نطاقَ غُدوه وراحتِه، وملزماً اياه باسلوب خاصٍ في حياته، حتى اننا نلاحظُ أنَّ ابن حزم قد تربى في حجورِ النساء اللاتي علّمنه القرآن، والأشعارَ ودرّبنه على الخط)[١] .

أصلُهُ وديانتُهُ

زعم بعض المؤرخين أنَّ ابن حزم كان نصرانيا. دخل الإسلامَ حديثاً[٢] ، بينما يروي عنه تلميذه الحُميدي انتسابَه القديمَ الى الفرس وأن جدَّه الأعلى اسمه يزيد، من موالي يزيد بن معاوية بن ابي سفيان[٣] . وقد رجَّحَ الدكتور احسان عباس قول الحُميدي في هذا المجال[٤] . ونحن نميلُ اليه لأنَّ ما يرويه التلميذُ عن شيخه، أدعىَ للقبول من غيره.

مكانتُهُ العلمية والأدبية :-

كان ابن حزم كالبحر لاتُكَفُّ غَواربُه، ولايَروى شاربُه، وكالبدر لاتُجحَد دلائلُه، ولايُمكّن نائلُه، قيل عنه: (كان حاملَ فنونٍ من حديثٍ وفقهٍ وجدلٍ ونسبٍ، وما يتعلقُ بأذيالِ الأدبِ مع المشاركة في كثيرٍ مِنْ أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة)[٥] .

وقد جمع ابن حزم الى جانب سَعة العلم، قوةً في البلاغة، والتعبيرِ الانشائي، ومن ذلك قولُه في احدى المناسبات: (إنّي لأعجبُ ممن يَلحنُ في مخاطبة، أو يجيُء بلفظة قلقةٍ في مكاتبة، لأنه ينبغي اذا شك في شيء أنَ يتركَه . ويطلبَ غيرَه، فالكلام أوسعُ من هذا)[٦] .

---

(١) طوق الحمامة :٢١

(٢) ينظر الذخيرة : القسم ١ ،مج١ : ١٤٢

(٣) ينظر: جذوة المقتبس: ٣٠٨، المغرب في حلى المغرب: ٣٥٤

(٤) ينظر: تأريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة: ٣٠٣ - ٣٠٥

(٥) المغرب في حلى المغرب: ٣٥٤

(٦) جذوة المقتبس: ١١٨

معتقده:-

(اتخذ ابن حزم المذهب الظاهري مُعتقداً فقهياً وعلمياً مما جعل عدداً من العلماء يحمل عليه، ويجمعون على تضليله وتحذير السلاطين من فتنته)[(١)].

ولعل السبب في ذلك كلّه يعود الى سلاطةِ لسانه، حتى قيل: (نعوذ بالله من سيف الحجّاج ولسانِ ابن حزم)[(٢)] حيث كان ينهال على خصومه بالتحقير والازدراء، حتى قال فيه ابن حَيَّان: (يصك معارضه صك الجَنْدل)[(٣)].

أساتذته:-

تتلمذ ابن حزم الاندلسي على جلّةٍ من علماء عصره المشهورين، ولم يلتزم عالما واحدا، وإنما تعددتْ مواردُ ثقافته، فخالط كثيرا من ذوي الرأي والاحاطة، فأخذ من العديد من العلماء، وسنكتفي بذكر العلماء الذين سَهَتْ عنهم بعضُ أقلام الباحثين، ممن تناولوا حياةَ ابن حزم بالدراسة والبحث[(٤)]

(٢) محمد بن الحسن ابو عبد الله المَذْحِجيّ ويعرف بابن الكتانّي (ت ٤٢٠هـ)[(٥)]، وهو من أساتذة ابنِ حزم في علم المنطق.

(٣)محمد بن يحيى بن محمد بن الحسن الحماني السّعدي الطبني، ويعرف بابي عبد الله، توفي قريبا من الأربعمائة[(٦)].

(٤) المهلّب بن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة، ويكنى أبا القاسم التميمي، وهو فقيه ومحدث وعالم متفنن، وهو شارح مُوطّأ مالك وصحيح البخاري (توفي بعد سنة ٤٢٠هـ)[(٧)].

---

(١) النجوم الزاهرة : ٥/ ٧٥

(٢) شذرات الذهب : ٣/٣٠٠، وينظر: أدوار علم الفقه وأطواره :١٧١

(٣)الذخيرة : القسم١، مج١ : ١٤١

(٤) ومن هذه الدراسات : ابن حزم الأندلسي ورسالة المفاضلة بين الصحابة،ابن حزم حياته وعصره. آراؤه وفقه، ابن حزم الكبير، ابن حزم لغوياً، الفصل في الملل والأهواء والنحل في مجلة تراث الأنسانية، العدد الرابع ، المجلد السادس ١٩٦٨ :

(٥)ينظر: بغية الملتمس : ٥٧، جذوة المقتبس : ٩٩، معجم الأدباء : ٥٢٥/٦، الأعلام : ٦/ ٨٣

(٦)ينظر: جذوة المقتبس : ٢٦٢

(٧) المصدر نفسه، معجم ابن حزم : ١/ ٧٥

تَلامذتُه :-

بعد أَنْ بزغَ نجمُ ابن حزم الأندلسي ولاحَ في الآفاق الأندلسية وغيرِ الأندلسية، وذاع صيته في البلاد، وجدناه أستاذا قد التفَّ حوله العديدُ من التلاميذ النجباء، يدرِّسُ ويؤلف، حتى انه قد املى عددا من مؤلفاته على تلامذته.

ولقد احصىَ أحدُ الباحثين المعاصرين تلامذتَه[1]، ولكنه أغفل أحدَهم وهو:.

(١) الإمام ابو محمد عبد الله بن محمد بن العربي الأندلسي، وقد صحب ابن حزم سبعةَ أعوام وقــرأ عليه أكثرَ تصانيفه .(ت ٥٤٣ هـ)[2].

آثـــارُهُ :-

خلف لنا ابنُ حزم ثروةً علمية جليلةً خلدت ذكره بين العلماء، وقد اتسعت مؤلفاتُه حتى قيــل إِنَّ له اربعمائة مصنفٍ في ثمانين الف ورقةٍ، ولم تكن هذه المؤلفاتُ متسعةً من حيــث العــدد فقــط، بــل الموضوعات أيضا . فقد اشتملت على اللغةِ والنحوِ والفلسفةِ والأدبِ نظماً ونــثرا والتــأريخِ والفقــه وأصوله وما يتصل عادةً بذلك كلِّهِ. وهذا دليل قاطعٌ على أَنَّ للرجل عقليةً موسوعيةً حاولت الالمـــامَ بثقافة العصر على الرغم من تنوعها، واختلافِ مشاربها .

وقد حاولت جاهدا الالمام بآثارِ ابن حزم ماأمكنتني القدرةُ على جمعهِ، فتمكنـــتُ مـــن حصـــر مجموعةٍ لابأسَ بها، لم يذكرْها أحدٌ قبلي من الباحثين ، وهي :.

(١) كتاب أسماء الله تعالى [3].

(٢) اظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والانجيل وبيان تناقضِ ماباأيديهم من ذلك مما لا يحتمِـــل التأويل[4].

(٣) الامامة والخلافة، في سيرِ الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها[5].

(٤) الايصال الى فهم الخصال[6].

---

(١) ينظر: ابن حزم لغويا :٨٠ ــ ٨١

(٢) ينظر: معجم الادباء: ١٢/ ٢٤٠ - ٢٤٢

(٣) ينظر شذرات الذهب : ٣/٢٩٩

(٤) ينظر : بغية الملتمس : ٤٠٣، دائرة المعارف الإسلامية : ١/٢٥٦

(٥) ينظر: نفح الطيب : ٢/٢٨٤

(٦) ينظر: المصدر نفسه : ٢/٢٨٤، بغية الملتمس : ٤٠٣، شذرات الذهب :٣ / ٢٩٩، دائرة المعارف الإســلامية :١/٢٥٦، معجم الأدباء : ١٢/٢٤٥

(٥) الجامع في حد صحيح الحديث باختصار الأسانيد والأقتصار على أصحها وأختلاب أكمل الفاظها وأصح معانيها[١].

(٦) الخصال الجامعة لنحل شرائع الاسلام في الواجب والحلال والحرام[٢].

(٧) شرح حديث الموطأ، والكلام على مسائله[٣].

(٨) الصادع والرادع على من كفّر أهل التأويل من فرقة المسلمين والردُ على فرق التقليد[٤].

(٩) كشف الالتباس مابين أصحاب الظاهرِ وأصحابِ القياس[٥].

(١٠) منتقى الاجماع وبيانه من جملة مالايُعرفُ فيه باختلاف[٦].

(١١) الناسخ والمنسوخ[٧]، على هامش كتاب(تفسير الجلالين).

(١٢) النصائح المُنجية من الفضائح المخزية والقبائحُ المرويةمن أقوال اهل البدع من الفرق الأربعة : المعتزلة والمرجئة والخوارج والشيع[٨].

(١٣) نقط العروس في تواريخ الخلفاء[٩].

---

(١) ينظر : نفح الطيب : ٢/٢٨٤، معجم الأدباء : ٢٤٦/١٢

(٢) ينظر : شذرات الذهب :٢٩٩/٣

(٣) ينظر :نفح الطيب : ٢٨٤/٢، معجم الأدباء : ٢٤٦/١٢

(٤) ينظر : المصدرنفسه : ٢/ ٢٨٤، المصدر نفسه : ٢٤٦/١٢

(٥) ينظر : نفح الطيب : ٢٨٤/٢

(٦) ينظر : المصدر نفسه : ٢٨٤/٢

(٧) ينظر : معجم الأدباء : ١٢/ ٤٥٦، نهاية الأرب : ٢١، دائرة المعارف الإسلامية :٢٥٦/١

(٨) ينظر : دائرة المعارف الإسلامية : ٢٥٦/١

(٩) ينظر : شذرات الذهب : ٢٩٩/٣، دائرة المعارف الإسلامية :٢٥٦/١

<u>أهم الرسائل :.</u>

(١) رسالة في إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل[١].
(٢) رسالة الأخلاق والسير في مداواة النفوس[٢].
(٣) رسالة في علم الكلام[٣].
(٤) رسالة في فضل الأندلس[٤].
(٥) رسالة في مراتب العلوم، وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض[٥].
(٦) رسالة صغيرة في مسائل اصول الفقه[٦].
(٧) رسالة النبذة الكافية في أصول أحكام الدين[٧].

ومن هذا كله نستطيع أن نقول إن الإمام ابن حزم موسوعة متنقلة وهو حي بين المدائن الأندلسية وجزائرها وقراها، وهو افصح كاتب عرفته اللغة العربية في الفقه والتشريع، فضلا عن الآداب الأخرى والعلوم المقارنة، حتى في الطب فإن له آراء لاتعدو أن تكون مقالات في هذا المجال، حيث يتحدث في شفاء الضد بالضد، وشرح فصول بقراط، وحد الطب، واختصار كلام جالينوس في الأمراض الحادة وله ايضا مقالة يتحدث عن الأدوية المفردة وأخرى يتحدث فيها عن المحاكمة بين التمر والزبيب، واخرى في النحل[٨].

وكان ابن حزم علامة عصره، وفقيهه الأول، ويرجع سبب تفوقه في شتى المجالات الى النشأة المترفة التي عاشها في القصور، والعناية التي أحاطت به من كل صوب وحدب، حيث لبس الحرير ولايرضى من المكانة الا بالسرير، وتقلبه في أعطاف النعيم.

---

(١) ينظر : دائرة المعارف الإسلامية : ١ /٢٥٦، الأعلام : ٤/٢٥٤
(٢) نهاية الأرب : ٢١، دائرة المعارف الإسلامية : ١ /٢٥٦، الأعلام : ٤/٢٥٤
(٣) ينظر : دائرة المعارف الإسلامية : ٢/٢٥٦
(٤) ينظر : الأعلام : ٤/٢٥٤
(٥) ينظر : بغية الملتمس : ٤٠٣، شذرات الذهب : ٣/ ٢٩٩، دائرة المعارف الإسلامية : ١/٢٥٦، والأعلام : ٤/ ٢٥٤
(٦) ينظر : دارة المعارف الإسلامية : ١/٢٥٦
(٧) المصدر نفسه : ١/٢٥٦
(٨) ينظر : ابن حزم الكبير : ٦٣

وفاتـــــهُ :-

عند تحديد سنة وفاةِ ابن حزم نجد في ذلك عدةَ آراء، فمنهم من اكتفى بذكر سنةِ الوفاة فقــط، ومنهم من حدد سنةَ الوفاة تحديدا دقيقا، ومنهم من انفردَ بقول ضعيفٍ لاتؤيده الوقــائعُ، ومــن هــذه الآراء:.

القول الأول : لياقوت الحموي (ت٦٢٦هــ)، حيث نقل عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن العربـــي الأندلسي، قائلا: (انها كانت:في شهر جمادى الأولى من سنة سبع وخمسين وأربعمائة)[١] .

أما القول الثاني : فقد أجمع فيه المؤرخون لسيرة ابن حزم، على أنَّ سنة الوفاة كانت عام (٤٥٦هــــــ). وكان جُلُّ اعتمادهم في هذا الأمرِ، على قول ابنهِ وتلميذه ابي رافع الفضــل بــن علـــي بــن حــزم (ت٤٧٩هــ)، حيث حدد الابن تأريخَ وفاة والدهِ، تحديداً دقيقا، فقد قال : (إنَّ أباه توفي رحمه الله عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان، سنة ست وخمسين وأربعمائة. فكان عمره رحمه الله احدى وسبعين سنة وعشرة أشهر وتسعة وعشرين يوما)[٢].

وعلى ذلك فلا يلتفتُ للرواية الأولى التي نقلها ياقوت عن ابن العربي بعد رواية الابــن لوفــاة الوالد فهو أعنى بهذا الأمرِ من غيره.

أما الأقوال الأُخر : فقد اكتفى أصحابُها بتحديد سنة الوفــاة فقــط . فقــد قـــال : ابــن بســام (ت٥٤٢هــ) [٣]، والذهبي (ت٧٤٨هــ)[٤]، والبغدادي (ت ١٣٣٩هـ)[٥] : إنَّ ابنَ حزم قد توفـــي ســـنة (ت٤٥٦).

أما صاحبُ البغية[٦]، وصاحبُ الجذوة[٧]، فقد قالا: إنَّه قد توفي (بعد الخمسين وأربعمائة).

---

(١) معجم الأدباء : ٢٤٠/١٢، ينظر : معجم البلدان : ١/ ٣٧٨

(٢) الصلة : ٣٩٦/٢، ينظر : وفيات الأعيان :٣ /١٥، نهاية الأرب : ٢١. شذرات الذهب في أخبار مـــن ذهـــب : ٢٩٩/٣

(٣) الذخيرة : ق١، مج١: ١٤١

(٤) دول الإسلام : ١٩٦/١

(٥) هدية العارفين : ٦٩٠/١

(٦) بغية الملتمس : ٤٠٤

(٧) جذوة المقتبس : ٣٠٩

الفصل الأول

جهود ابن حزم الصوتية والصرفية

١- المبحث الاول، جهود ابن حزم الصوتية

٢-المبحث الثاني، جهود ابن حزم الصرفية، وينقسم على:-

(أ) الاشتقاق

(ب) دلالة الجمع

"الفصل الاول"

"المبحث الأول "

جهودُ ابن حزم الصوتيّة

وجّه علماء العربية القدماء عنايتَهم الى دراسة الصوت اللغوي منذ البدايات الأولى للتأليف الموسع في اللغة والنحو(١) ،حتى إننا نلاحظ أنَّ تلك الدراسات قد خطتْ خطواتٍ واسعةً في الاتجاه العلمي الحديث نظرا الى أنّ الاصواتَ شيء محسوس، بينما الجوانب الأُخر من اللغة معظمها جوانبُ تجريدية. ونظرا الى أن تلك الأصواتَ هي المادةُ التي تتألف منها اللغة، فهي أولُ مايتقدّم العلماء على تناوله من خلال الفحص والتحليل(٢)، وبذلك يتناول علم الأصواتِ اللّغوية أو (الصوتيات) بالوصف الصوتَ المنطوقَ وتحديد حدوده، والغرضُ من ذلك (أن يبيّن مافي نطقه من حركات عضوية، وما فيه من ظواهرَ صوتية)(٣) ، أي بيان مخارج الأصوات من خلال وصفِ كلِّ مخرج وما يصحبه من حركات في أعضاء النطق، ثم توضيح صفات هذه الأصواتِ وما فيها من ظواهر صوتية(٤) .

ومعنى هذا أنَّ لكل لغة نظاماً صوتياً خاصاً بها، ويتجلىٰ ذلك النظام من خلال انتقالِ المتكلم من لُغةٍ الى أخرى، ومن خلال اختلاطِ اللهجات بعضِها ببعض، فانه يشعر بعدم ملاءمة أعضاء نطقه للوضع الذي يتناسب مع الأصوات المكونة للكلمة، وهذا مايُدعىٰ بالتحول الصوتي الذي بموجبه تصدر جميع الأصوات ملائمةً لطريقة اللغة الجديدة(٥) ، حيث شبه بعضهم

---

(١) ينظر: أبحاث في أصوات العربية : ١١٣

(٢) ينظر : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة :٣٥٦

(٣) اللغة بين المعيارية والوصفية :١١٧

(٤) ينظر : أبحاث في أصوات العربية :١١٣، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث :٥٩، ٦٠

(٥) ينظر : منهج البحث اللغوي :٦١

المتكلم بلغات متعددة بلاعب الهرمونيوم (الذي يستطيع بنقله للمشط أن يخلع على جميع الأصوات التي يخرجها قيمة خاصة)(١) .

أي أن اختلاف اللغات أو اللهجات له أهمية في عملية النظام الصوتي، ويتجلى ذلك في أنَّ اللهجةَ هي: طرف اللسان، ويقال: جرس الكلام، ويقال: فصيح اللهْجة واللهَجة، وهي لغته التي جُبلَ عليها فاعتادها. ونشأ عليها(٢).

وأما اللهجة اصطلاحا :

فهي مجموعةٌ من الخصائص اللغوية ذاتُ نظامٍ صوتيٍّ خاص تنتمي الى بيئة خاصة ويشترك فيها جميعُ افرادِ البيئة التي تعد جزءاً من بيئة أكبر، حيث تضم لهجات عدة وتتميز عن بعضها بظواهرها اللغوية، ولكنها تأتلف فيما بينها بظواهرَ لغوية أخرى تيسر اتصال أفرادِ هذه البيئات بعضِها ببعض، وفهم ماقد يدور بينهم من حديث فهماً على قدر الرابطةِ التي تربط بين هذه اللهجات (٣).

ومن أهم العلماء الذين أعطوا الدرس الصوتي مكاناً طيبا في دراساتهم الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) في معجمه العين (٤)، وبعد ذلك جاء سيبويه (ت ١٨٠هـ) في كتابه(٥). حيث بيّن مخارج الأصوات اللغوية وبيان صفاتها في الكلام، ومن ثم المبرّد (ت ٢٨٥هـ)(٦)، وابن جني (ت ٣٩٢)(٧)، وغيرهم(٨).

اما اذا انتقلنا الى ابن حزم، فنجده قد أعطى للدراسات الصوتية جانبا مهماً من العناية والدرس، ولكن عنايته هذه جاءت عن طريق اهتمامه باللهجات واللغاتِ المختلفة. حيث أعطى ابن حزم اللهجات المحليةَ والسائدةَ في بلاد الأندلس، جانبا كبيرا من الرعاية والاهتمام، فنظر اليها نظرة العالم اللغوي المدرك لخطورة الأحكام، ولا تقوم هذه

---

(١) اللغة :٦٣

(٢) ينظر : العين: ٣/٣٩١ مادة (ل هـ ج)، التهذيب: ٦/٥٥ (ل هـ ج)، المخصص: م ج١ ـ س١ : ١٥٥، المحكم: ٤/١٢٠، اللسان: ٢/ ٣٥٩، (ل هـ ج)

(٣) ينظر: التطور اللغوي التأريخي : ٣٤، في اللهجات العربية : ١٦، لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ٢٩ـ٣٠، لهجة قبيلة أسد: ٣١ـ٣٢

(٤) ينظر : العين: ١/ ٥١ ـ ٥٩، ٦٠، ٧٨، ٩١، ١٠٥، ١١٠، ...

(٥) ينظر: الكتاب : ٢/ ١٦٣، ٢٥٩، ٣٥٨ ـ ٤٠٤ ـ ٤٣٠

(٦) ينظر: المقتضب : ١/ ١٩٢ ـ ٢٢٧، ٣/٤٢

(٧) ينظر سر صناعة الاعراب: ١/٤٥ ـ ٦٩

(٨) لمزيد من معرفة جهود العلماء في مجال الدراسات الصوتية، ينظر: أبحاث في أصوات العربية : ١١٣ ـ ٢١٥. البحث الصوتي عند العرب، بحث منشور في مجلة الضاد:٣/ ٨٦ ـ ١٠٨

الأحكام إلاّ على أسس علميةٍ ومنهجيةٍ دقيقة، وذلك من خلال الاستعانةِ بـالمفردات اللغويـة الشائعةِ في عصره، فضلا عن العربية الفصيحةِ في المعجم.

ولم يجنح ابن حزم في هذه الدراسات الى التأويل المتكلف، ويبدو أن السبب في ذلك كلّه كأنه يريد أن يكون له اسهامٌ خاصٌ في مجال الدراساتِ الصوتية شأنه شـأنُ غـيره.وان لـم يُصَرِّحْ بذلك علانية [١].

حيث تنبه ابن حزم الى التغيّر الحاصلِ بين الألفاظ في لغـات العـوام، مـن خـلال التحولات الصّوتيّة للكلماتِ العاميّة، وعملياتِ الابدال المتعلقة بالحروف أو التقديم والتأخير أو الحذف[٢].

وهذا الذي يتحدث عنه ابن حزم، يعد من السمات والخصائص التي تتميز بها اللـهجاتُ العاميةُ. فنجد مثلا من مظاهر اللهجات الأندلسية التي كانت سائدةً ايامَ ابن حزم: أنّ(الأندلسـيين يقولون في التين: تَيْن، وفي النَوْتِي: نُوْتِيّ، وفي القبيط : قُبَيْط)[٣]. وانهم عامةً كانوا يرققـون القاف حتى تلحق بالكاف[٤]، مثل: (كُكّة) في (حُقّ)، (وتَرْكُوَة) في (تَرْقُوَة)[٥].

وقد عَدَّ بعضُهم هذا الكلام مظهرا من مظاهر التحذلق أو المبالِغة في عمليةِ التفصـح[٦]. التي عُدّت من الظواهر الشائعةِ في لهجة الأندلس في ذلك الوقت.

ومعنى ذلك أنّ عمليات الحذف والابدال كانت من الظواهر الشائعة في بلاد الأندلس، ممـا دفع الزبيدي (٣٧٩هـ)، الى افرادِ قسط كبيرٍ من كتابه (لحن العوام)،ليُوقفَ النـاسَ علـى الصواب والخطأ[٧].

أما بالنسة لابن حزم فقد عزا هذا التغيّر الحاصلَ في الكلام الى الجـرش [٨] ، الواقـع بين اللغات بعضِها ببعض [٩] ،وهذا الرأي الذي ذهب اليه ابنُ حـزم قد تبناهُ عددٌ من

---

(١) ينظر:الإحكام في أصول الأحكام : ١/٣٠

(٢) ينظر:المصدر نفسه : ١/ ٣٠ ــ ٣١

(٣) لحن العامة والتطور اللغوي : ١٩٢، وينظر : تأريخ الأدب الأندلسي،عصر سيادة قرطبة :٨٨

(٤) ينظر: نفح الطيب : ١/١٠٦،وينظر: التعليق على ذلك في: الدراسات اللغوية في الأندلس: ٢٢٣

(٥) لحن العامة: ١٩٢ ــ ١٩٣

(٦) ينظر: لحن العامة: ١٩٢

(٧) ينظر: لحن العوام: ٢٤ ــ ٢٥، وينظر: التعليق على ماورد أعلاه فـي: تـأريخ الأدب الأندلسـي عصر سيادة قرطبة: ٨٧

(٨) الجرش: الحك ويريد احتكاك اللغات بعضها ببعض، ينظر:اللسان: ٦/٧٣، مادة (ج ر ش).

(٩) ينظر:الإحكام في اصول الأحكام: ١/٣٠

الباحثين المعاصرين(١).حتى إننا نلاحظ اعتراف ابن حزم بأنّ هذا التغيّرُ أو التبديل الحاصل في الكلمات، قد تعمق وأستطال تاثيرُه حتى غدت الكلمات كأنها غريبةٌ، أعجميةٌ، لاصلةَ لها باللغة الأصلية التي تنتمي اليها(٢)، ومن هذه الأمثلة:.

(١) <u>اشباع الحركة</u> :.

لم يرد هذا المصطلح عند ابن حزم في كتابه، الاّ أنّ ماتناوله لايخرج عن هذه الدائرة. وقد سمّاها الدكتور عبد العزيز مطر بـ (اطالة اصوات اللين، فتُصبح الفتحةُ القصيرةُ الفَ مد، والضمةُ القصيرَة واوَ مدٍ، والكسرُة القصيرةُ ياءَ مد)(٣)، وقد عُدّ هذا الاشباع من الخصائص الأساسية والبارزةِ في عربيّة الأندلس.

على أنّ هذه الأطالة لها نظائرُ قد ذكرها اللغويون، فسيبويه أطلقَ عليها .(الاشباع)(٤)، ودعاها ابن جني بـ(مَطْل الحركات)(٥)، حيث قال: (..إنّ الألفَ فتحةٌ مشبعة والياء كسرة مشبعة والواو ضمةمشبعة)(٦) ، ولقد وسمها ابن فارس (ت٣٩٥هـ) بـ(البسط في الأسماء والأفعال)(٧).

ويبدو أنّ استعمال هذه الاطالة قد كَثُر في الشعر، إذْ إنّ الضرورة قد تتطلب شيئا من مَطْل صوت المد القصير ليستقيمَ الوزن ومن تلك الأمثلة التي أوردَها ابن جِنّي في باب مطل الحركات قوله:-

(١) ينظر: اللغة: ٣٤٩

(٢) ينظر: الاحكام في أصول الاحكام:١/٣٠

(٣) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ١٠٧ ، وينظر : ابو علي النحوي وجهوده في الدراسات الل والصوتية : ٢٤٤، ٢٤٥ ، الاصوات اللغوية : ٣٨ ، فقه اللغة المقارن ٤٤،٤٥ ، في الاصوات اللغوية دراسة في اصوات المد العربية : ٣٩٦

(٤) ينظر: الكتاب :٤/ ٢٠٢

(٥) ينظر: الخصائص :٣ / ١٢٣ ، ١٢٩

(٦) سر صناعة الاعراب :١/ ١٧ – ١٨ ، وينظر: فقه اللغة وخصائص العربية :١٨٠ – ١٨١

(٧) الصاحبي :٢٢٧

وَأَنْتَ مِنَ الْغَوائِلِ حِيْنَ تَرْمَىٰ ... وَمِنْ ذَمِّ الرِّجَالِ بِمُنْتَزَاحِ [١]

اراد: بِمنتزَح : مفتعلٌ مِنَ النَزح [٢].

ومن اشباع الضمة قول الشاعر:

وَأَنَّني حَيْثُمَا يَثْنِي الْهَوَىٰ بَصَرِي ... مِنْ حَيْثُمَا سَلَكُوا أَدْنُوْ فَأَنْظُورُ [٣]

يريد، فأنْظُرُ ، فأشبع الضمةَ فأنشأ عنها واوا [٤].

ومن اشباع الكسرة ومطلها، ماجاء عنهم من (الصياريف) و(المطافيل) و(الدراهيم) و(المراجيل)، والأصل في ذلك (الصيارف، المطافل،الدراهم، المراجل) [٥].

ولقد ذهب بعضهم الى انْ جعل هذه الياءَ أعني ــ الكسرة المشبعة-. ياءٌ لمعاقبة تاء التأنيث في الكلمة، فيقولون في صيارف، صيارفة او صياريفٌ،ومرازبة في مرازيب، وصياقلة في صياقيل، فلا يجمع بين التاء وهذه الياء المشبعة [٦].

والذي يتدبّر النصوص التي أوردها الزبيدي في كتابه (لحن العوام)، يجدْ أنَّ العامةَ والفقهاء وحتى البلاغيين مولعون أشدَّ الولع بإشباع الحركات عموماً، والكسرة خصوصا، فقد تتحول هذه الكسرةُ الى ياءٍ واضحة، ومن الأمثلة على ذلك قول: (الطِيراز و التِيلاد و الثِيمار) بدلا من (طِراز و تِلاد و ثِمار) [٧].

أما بالنسبة لابن حزم،فقد تكلم عن هذا الاشباعِ من خلال كلمة (العِنب)، التي ينطقونها (العِينَب)، حيث أنهم يشبعون حركة الكسرة التي تحتَ العين، ويقومون بتحويلها الى ياء [٨].

---

(١) ينظر: ديوان ابن هرمة : ٩٢ ، الخصائص : ٢ / ٣١٦ ، ٣/ ١٢١ ، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ١/ ١٦٦ ، ٣٤١ ، الانصاف في مسائل الخلاف م. س٢ :١/٢٥ ، ابو علي النحوي : ٢٤٥ ، في الاصوات اللغوية دراسة في اصوات المد العربية : ٢٩٦

(٢) ينظر الخصائص : ٢/ ٣١٦ ، سر صناعة الاعراب : ٢٥/١

(٣) ينظر الخصائص : ٣/ ١٢٤ ، الصاحبي : ٥٠ ، الانصاف في مسائل الخلاف: م. س٢ : ١/ ٢٤ ، شرح المفصل : ١٠ / ١٦٠ ، ابو علي النحوي : ٢٤٥ ، في الاصوات اللغوية دراسة في اصوات المد العربية :٢٩٦

(٤) ينظر المحتسب : ١/ ٢٥٩ ، المخصص : ١/ ١٩٦

(٥) ينظر الخصائص : ٣ / ١٢١ ، المحتسب : ١/ ٢٥٩ ، سر صناعة الاعراب : ٢٥/١ ، الانصاف في مسائل الخلاف: م . س٢ : ٢٧/١ – ٢٨ ، ابو علي النحوي :٢٤٥ ، في الاصوات اللغوية : ٢٩٦

(٦) ينظر . شذا العرف في فن الصرف : ١١٠

(٧) لحن العوام : ٧٦

(٨) ينظر الإحكام في اصول الأحكام : ١/ ٣٠

ويمكن القول: إنَّ هذا التبدل الذي حصل في المثال الذي ذكره ابن حزم هو أحد مظاهر (النبر) [١]، أو الضغط Aecent أو stress، التي تميز الناطق بلغة أو لهجة معينة عن غيره من الناطقين بلغة أخرى، أو هي لهجة مخالفة [٢]. حتى أصبح لظاهرة النبر هذه حيزٌ كبير في الدراسات المعاصرة، وان كانت دراسةُ النبر في العربية من الأمور التي قد تفسر لنا طائفةً من الأساليب الصرفية التي اتبعتها لغتُنا [٣].

وقد ذهب الدكتور رمضان عبد التواب الى القول إنَّ الأندلسيين كانوا ينبرون المقطع الثاني للكلمة إنْ كانتْ حركةُ قصيرة فإن كانت حركتهُ طويلة نبروا المقطع الأول من الكلمة، فيترتب على ذلك اطالة حركة المقطع المنبور في كلتا الحالتين [٤].

ومن الأمثلة على حدوث النبر في المقطع الثاني قولهم: (حَنِيفَة) في (حَنِفَة) و (قِمّاء) في (قِمّع)، مع ابدال العين همزة في هذا المثال [٥].

ومن أمثلة النوع الثاني ، أي النبر على المقطع الأول هو قولهم (طِيحَال في طِحَال) و (إيكَاف في إِكَاف) [٦].

ويبدو أن النوع الثاني الذي أشار اليه الدكتور رمضان عبد التواب من خلال نبر أهل الأندلس المقطع الأول اذا كانت حركتُه قصيرة، هو نفسُه الذي حاول ابن حزم جاهداً أن يشير اليه من خلال المثال الذي أورده في كلمة (العِنَب).

---

(١) النبر لغة : الضغط،ومنه قيل للهمز نبر لانه ضغط ايضا ينظر . لسان العرب : ٥ /١٨٩ مادة (ن ب ر) واصطلاحاً : هو ضغط المتكلم على مقطع معين من مقاطع الكلمة ، بحيث يتميز عن غيره من المقاطع ، ويزداد وضوحه في السمع ، ينظر: دروس في علم الاصوات العربية : ١٩٤، علم الأصوات : ١٩٧ ، اللغة العربية معناها ومبناها : ١٧٠ ، لهجة تميم واثرها في العربية الموحدة :٢١٢ ، محاضرات في اللغة ، القسم الاول : ١٤٥ .

وفسر الدكتور ابراهيم انيس عامة النبر بانه : نشاط في جميع اعضاء النطق في وقت واحد ، فعند النطق بمقطع منبور نلحظ ان جميع اعضاء النطق تنشط غاية النشاط فيترتب على ذلك ان يصبح الصوت عاليا واضحا في السمع . ينظر : الاصوات اللغوية :١٩٦

(٢) ينظر: اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : ٢٦٤ ، البحث الصوتي عند العرب : ٧٢ ، الدراسات اللغوية عند العرب : ٤٥٧ ، دروس في علم اصوات العربية : ١٩١ ، العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد : ٤٩ ، لهجة تميم : ٢١٢ – ٢١٣

(٣) لمزيد من التفصيل في هذا الموضوع ، ينظر : في الاصوات اللغوية دراسة في اصوات المد العربية : ٢٩٧ ، مناهج البحث في اللغة :١٩٤

(٤) ينظر . لحن العامة والتطور اللغوي : ١٩١ – ١٩٢

(٥) ينظر . المصدر نفسه : ١٩٢

(٦) ينظر . المصدر نفسه : ١٩٢

ومن هذا كله نستطيع أَنْ نقول، إِنَّ الاشباع هذا هو ظاهرةٌ لغوية تتعلق بطبيعة المتكلم، من خلال تعدد اللهجاتِ والقراءات،ووجود الشواذ في هذه القراءات.

(٢) تغيّر هيئَةِ الكلمة ..

وقد مثّل ابن حزم لتغيّر هيْأَةِ الكلمة بكلمةٍ طرأ عليها حذفٌ وزيادة وهي كلمة (السَّوْط)، حيث كان أهل الأندلس يحذفون اللام أولا ، ثم يقومون باضافة الطاء الى الكلمة، حيث يجعلونها بين السين والواو. فتُصبح هيْأَةُ الكلمة الجديدة (اسْطوّط) (١) .

ونحن لانعتقد أن هناكَ حذفا في اللام لأن اللام هنا شمسية ولا تلفظ أساسا، ونرى أن هذه السين مفخمة (قريبة من الصاد)، وبعد فك الادغام ، رجعت السين الأولى الى حالها (ساكنة)، وبقيت الثانية متحركةً فحصل بذلك تأثرٌ رجعيٌّ بين الطاء الواقعة في نهاية الكلمة، وبين سين السوط الثانية فانقلبت طاء .

ويبدو أَنَّ هذه العملياتِ قد شاعت في عاميّةِ الأندلس، والدليلُ على ذلك هو ماأشار اليه الزبيدي من أَنَّ أهلَ الأندلس يقولون في نَطِع ؛ نطا ، فيحذفون العين من الكلمة الأصلية ويحذفون النون من قُلنسوة لتصبح قُلسُوَة(٢) .

(٣) مزج لفظتين(٣) مع الحذف والاضافة:.

وقد مثّل ابن حزم لهذا النوع بكلمة (ثلاثة دنانير)، فقد قام أصحاب العامة بمزجها أو نحتها، لتنطق،(ثَلْدَا) (٤) .

---

(١) ينظر: الإِحكام في أصول الأَحكام: ٣٠/١

(٢) ينظر لحن العوام : ٢٤ – ٢٥

(٣) وهذا مايتوافق مع مصطلح النحت، والذي هو نوع من انواع الاشتقاق إِلاّ أن الفارق بينهما أننا في النحت نشتق كلمة من كلمتين أو اكثر، أما في الاشتقاق فنحن نولد كلمات من أصل ثابت. ينظر: الدراسات اللغوية في العراق: ٢٤٠، ٢٥٤، الصرف الواضح: ١٨٠، فصول في فقه العربية: ٣٠١، فقه اللغة العربية:٥٩-٦٠، مدخل الى علم النحو والصرف: ٥٤

(٤) ينظر الإحكام في اصول الأَحكام : ٣٠/١

حيث حذفت هاء ثلاثة ، فتجاورت الثاء المفتوحة مع الدال المفتوحة فأصبحت بذلك أربعُ فتحات متوالية، الفتحة الطويلة في كلمة ثلاثة (الألف)، والثانية فتحة قصيرة هي الثاء الثانية، والثالثة الفتحة القصيرة على الدال، والرابعة الفتحة الطويلة على النون، فتخلصوا من هذا التتابع الحركي باسقاط فتحة الثاء، فتجاورت بذلك الثاءُ الساكنة بين (الأسنانية المهموسة) مع الدال (اللثوية المجهورة)، فاثَّرَ المجهور في المهموس وأدغمت التاء في الدال فأصبح الدالُ صوتاً مثقلاً.

ويبدو من مثال ابن حزم هذا، أن الأندلسيين قد استعانوا بهذا المزج من أجل التخفيف في النطق ، لأنَّ اللسانَ الأندلسي لايُسعفه نطق حروفٍ متقاربةِ المخارج، أو جاء هذا المزج في الكلام عن طريق الاختلافِ مع الأقوام المتباينة التي نزحت الى بلاد الأندلس، واستقرت هناك.

(٤) الإبدال : –

الإبدال مصطلح عند اللغويين يعني: (ابدال بعض الحروف واقامة بعضها مقام بعض) [١] .

والذي يتامل النصوص اللغويةَ التي وردت في العديد من كتب القدامى يلاحظُ أنَّ مصطلح الابدال هذا شائعٌ قبل ابن حزم بزمن طويل، فهذا (ابن جنّي) يذكر نقلا عن أبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) ،أن الأصل في الابدال أن يكون فيما تقارب وتدانى من الحروف (أصل القلب في الحروف انما فيما تقارب منها ... وغير ذلك مما تدانت مخارجه) [٢]. أي أنَّ الابدال يَحصل نتيجةَ التقارب والتباعد بين الحروف في المخرج، فهناك ابدالٌ يحصل بين الحروفِ المتدانية في المخرج الواحد، وكذلك بين الحروفِ المتجاورةِ في المخرج الواحد، وبين الحروف المتقاربةِ المخارج، وبين الحروف المتباعدةِ المخارج وبينهما جامعٌ صوتيٌّ، وبين الحروف المتباعدة المخارج وليس بينهما جامعُ صوتي [٣].

وقد أورد ابن حزم هذا الابدال بلغة المستعربين من البربر [٤]. فاذا أراد البربري أن يستعرب فينطق بكلمة (شجرة)، لم يسعفه لسانه بحرف (الشين)، فيلجأ الى الاستعانة بأقرب

---

(١) ينظر: الصاحبي ٢٠٣، فقه اللغة وسر العربية:٣٤٧،المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٤٦٠/١ وينظر: التفصيل في ذلك: التطور اللغوي التاريخي: ١١٠، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: ١١٣/١

(٢) سر صناعة الاعراب: ١٩٧/١، وينظر : التعليق على ذلك، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٩٨ .

(٣) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٩٨

(٤) وهم أقوام يؤلفون تجمعا سكانيا هائلا في بلاد الأندلس، قوامه تلك القبائل التي شاركت في الفتح، ينظر: الحالة الاجتماعية من التمهيد .

حرف يسهل عليه تلفظه، وهو عنده (السين)، فيقول (السجرة) (١) .

وهنا نلاحظ أنَّ هناك اتفاقاً بين صوتي السين والشين، حيث يتفق السين والشين في صفتي الهمس والرخاوة (٢) ، إلاّ انهما يختلفان في المُخْرَج، فَمُخْرَجُ السين من بين طرف اللسان وفُوَيْقَ الثنايا، ومُخْرَج الشين من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى (٣) .

ويبدو أن هذا الابدال الذي حصل بين السين والشين لم يحدث في العربية فحسب، بل كانت له جذورٌ في اللغات السامية القديمة (٤) ، حيث تحولت الشين في العربية الفصحى الى سين، فكلمة (الشمس)، تمثل مشكلا من هذا الموضوع ، فمن المحتمل أن الصيغة السامية القديمة كانت (شمش) ، ولكن احدى هاتين الشينين قد ابدلت منذ عهد قديم جدا في العربية الى سين (٥) .

وفي هذا المجال، يرى الدكتور حسام النعيمي: (أن هذا الابدال الذي حصل بين السين والشين حصل لاشتراكهما في صفة الهمس،يجوز أنْ يحصل لعيب وهو اللثغ) (٦) . كما حصل في قول سحيم عبد بني الحسحساس (٧) لعمر بن الخطاب (رض)، حيث قال: (ماسعرت بدل: ماشعرت) (٨) .

والذي جعل الدكتور حسام النعيمي يأخذ بهذا الرأي هو قول ابن جني في هذا الصدد حيث قال : (إنما قلبَ الشينُ سيناً لسوادهِ وضعف عبارته عن الشين ، وليس ذلك

---

(١) ينظر : الإحكام في اصول الأحكام : ١/ ٣٠

(٢) ينظر: الكتاب: ٤/٤٣٤ ــ ٤٣٥ سر صناعة الاعراب: ١/١٩٧ ــ ٢٠٥

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤/ ٤٣٣، و: ١/٤٧

(٤) ينظر: التطور النحوي للغة العربية: ١٤ــ ١٥، علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارن في التراث واللغات السامية: ٢٠١، المحيط في الأصوات العربية ونحوها وصرفها: ١/١١٩

(٥) ينظر: دروس في علم أصوات العربية: ٩٨

(٦) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : ١٦١

(٧) سحيم هذا من المخضرمين، قد أدرك الجاهلية والاسلام، وكان أسود شديد السواد يرتضح . لكنةً حبشية، قتل في خلافة عثمان (رض). ينظر: طبقات الشعراء : ٧١، الأغاني: ٢٠/٢، خزانة الأدب: ١/٢٧١ ــ ٢٧٤

(٨) : البيان والتبيين: ١/٧١ ــ ٧٢، البحث الصوتي عند العرب: ١٠٤ ــ ١٠٥

بلغة ، وإنمـــا هوكاللثغ)[١] . (فلا يمنع أن يشيع هذا اللثغ هو كاللثغ بين قوم من العــرب فيسمع منهم نحو السدة ومسدوه ، ولايمنع ايضا أنْ يظن بعضُهم أن السين في جعسوس مبدلة لضعف في نطق قائلها فيبالغ في فصاحته بأنْ يعيدَها شيناً فيقول جعشوش وتشيع بهذا اللفــظ عند بعضهم) [٢] .

وقد انضم الى هذا الرأي والأخذ به الأستاذ أحمد الجندي، حيث يرى أن التبدل الــذي يحصل بين صوتي السين والشين لايعود الى العلاقة بينهما بقدر مايعود الى أمراض الكلام [٣]

ونحن نؤيد هذا الكلام الذي ذكره نخبةٌ من الباحثين من خلال ابدال صوتيّ الشين والسين وذلك نتيجة لعيب في الكلام،ولكننا لانهملُ درجة التأثر الحاصل بين هذه الأصوات وعمليــةِ الابدال الحاصلة بينهما عن طريق تأثر اللهجات بعضِها ببعض،وشيوع ذلك في العديــد مــن الأمثلة والشواهد الشعرية ، من ذلك قول الفراء (٢٠٧هـــ) : (أتيته بسُدْفَةٍ مِنَ اللَّيـْـلِ وَشُــدْفَةٍ وَسَدْفَةٍ وَشَدْفَةٍ وهو السَّدَفُ وَالشَّدَفُ) [٤] ، حيث عزا هذا الابدال لبعض من بنى كلاب[٥] .

وقد شاع هذا الابدال أيضا في لهجة أسد في قولهم: (أَلْحَقَ الحُش بــالأش، أي أن الحق الشيء بالشيء، وقال العقيليون: ألحق الحس بالأس) [٦] .

حتى اننا نلاحظ أن عامة بغداد قد استعملوا هذا الابدال من خلال تصويرهــم لبعــض الكلمات من مثل: (تسطَحَ والمقصود هو تشطَحَ) [٧] ، حيث أبدل صوت الشين مــن الســين، ويقول الدكتور ابراهيم السامرائي: وهذا الابدال كثير في اللغة الفصيحــة والألســن العربيــة الدارجة[٨] .

---

(١) سر صناعة الاعراب : ١ /٢٠٣

(٢) الدراسات اللهجية والصوتية عد ابن جني : ١٦١

(٣) ينظر: اللهجات العربية في التراث : ٤٥٦/٢

(٤) القلب والابدال: ٤١، وينظر: البيان والتبيين:٧٢/١

(٥) ينظر: القلب والابدال:٤٠

(٦) التهذيب: ٣/ ٣٩٥ مادة (ح ش) ، التكملــة: ٤٦٦/٣، اللســان: ٢٨٥/٦، مــادة: (ح ش ش)، التــاج: ٢٩٩/٤(ح ش)، وينظر: تفصيل ذلك في لهجة قبيلة أسد: ٩٤

(٧) دراسات في اللغتين السريانية والعربية: ٧٣

(٨) ينظر: المصدر نفسه:٧٣

وليس ببعيد أنْ يكونَ ماسمي بكسكسة هوازن [١]، هو من ابدال الشين سينا ويكون الأصل الشين لكثرته في الأستعمال في قولهم: الكتاب لكش[٢].

واذا تعمقنا أكثرَ في البحث وجدنا أن هذا الابدالَ الذي حصل قد أصاب حتى الكلماتِ الأعجمية، كصوت الشين الذي استبدل منه السين في مثل: (اسماعيل وسراويل ودست ونيسابور، وإنّ أصل هذه الكلمات: اشماعيل وشراويل ودشت ونيشابور) [٣].

أما بالنسبة للابدال الذي تحدث عنه ابن حزم، فنحن نرى انه قد حصل في العديد من المناطق، وذلك لشدة التقارب بين الصوتين وأشتراكهما في الهمس، حتى إنّ كلمة (شجرة) الفصيحة نراها قد تحولتْ في كثير من اللهجات الى (سَجَرة) (بسين مفخّمة) في الشرق وإلى (سَجْرَة) (براء مفخمة) في المغرب العربي وكذلك جنوب سوريا والأردن[٤]، وحتى منطقة جزيرة الفرات فانها لم تسلم من ذلك فكانوا يقولون في: (الشجرة) (السَّجَرَة وسِجْرَه وأسجار) [٥].

أما هذا الابدال الذي حصل في عامية الأندلس، فمنهم من يرى أَنه أضحى نتيجةَ الأختلاطِ مع الأقوام غيرِ العربية: (أنّ الابدال الذي أصاب الأندلس هو نتيجة تأثرها بطلائع الخزرج الذين استقرتْ سلالتهُم في سرقسطة. واعتبر ذلك من أهم المظاهر الصوتية التي كانت سائدةً هناك في مثل قولهم:سَجَّعْ في شَجَّعْ) [٦].

ولم يكتفِ ابن حزم بهذا المثال ، بل أسهب في ايراد الشواهد والأمثلة المتعلقة بالابدال، فقد اثار انتباهه سكان المناطق الشمالية كبلاد جليقة [٧]، فانهم كانوا عاجزين تماما ، عن نطق

---

(١) ويعزى كذلك الى قبائل (بكر وربيعة ومضر وتميم)، واختلف اللغويون في تحديد المقصود من الكسكسة، فذهب المبرد، الى أنه ابدال الكاف سينا، ومنهم من يتبع كاف المؤنثة في الوقف سيناً. ينظر: فصول في فقه العربية: ١٤٠ ــ ١٤١، ملامح من تاريخ اللغة العربية: ٣٩ ــ ٤٠

(٢) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ١٦١

(٣) الكتاب: ٤/ ٣٠٦، وينظر التعليق على ذلك في اللغات السامية ، لوافي :٢٠٤

(٤) لمزيدمن التفصيل، وايراد العديد من الأمثلة الدالة على هذا الابدال، ينظر: دروس في علم أصوات العربية: ٩٩ ــ ٢٠٠

(٥) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني :١٦١

(٦) لهجة شمال المغرب تطوان وما حولها: ٧٥، ٧٩

(٧) وهي ناحية قرب ساحل البحر المتوسط من ناحية شمالي الأندلس في أقصاه من جهة المغرب، وهي بلاد لايطيبها لغير أهلها. ينظر: معجم البلدان:٢/١٥٧

بعض الحروف العربية نُطقاً واضحاً صحيحاً فقد لاحظَ أنّ الجليقي إذا تعرّب، وحاول مجاراة العرب في نطق ألفاظهم تعسَّرَ عليه الأمرُ، فحرف (الحاء)، كان يدفعه الى ابداله باقرب واسهل حرف بالنسبة اليه، ولايستطيع التعبير عنهُ إلاّ بعد ابداله بصوت (الهاء). حيث قال: (إذا تعرب الجليقي ابدل من الحاء هاء، فيقول مهمداً إذا أُراد أنْ يقولَ محمدا) [1] .

ونلاظ أنّ صوتيّ الحاء والعين من الأصوات الحلقية [2]، صيفتْ من الأصوات المهموسة. ويتفق الحاء والهاء في الهمس والرخاوة [3]، فمُخْرُجُ الهاء من أقصى الحلق، ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء [4] .

يُعَد

ويبدو لي أَنَّ هذا الابدالَ الذي ذكره ابن حزم شأنه شأنُ غيره من الابدال الحاصل بين الحروف الأخرى، فقد عَرَفَهُ العربُ قبل ابن حزم ونطقت به، فالخليلُ بن أحمد، قال: (مدهته في وجهه، ومدحته اذا كان غائبا،...، وقيل إنّ الهاء في كل ذلك بدل من الحاء) [5] .

ولقد ذكر (المبرّد) : (أَنَّ هذا الابدال قد ارتضته بعضُ الأقوام، فبنو سعد بن زيد مناة من تميم، ولخم ومن قاربها، كانوا يبدلون من الحاء هاءً وذلك لقرب المخرج)[6] . فيقولون في مَدْحْتُهُ. مَدَهْتُهُ؛ وعليه قول رؤية بن العجّاج:

---

(١) الإحكام في أصول الأَحكام: ٣/١

(٢) ينظر: سر صناعة الأعراب: ٤٧/١

(٣) ينظر: الكتاب:٤٣٣/٤، سر صناعة الاعراب: ١٧٩/١، ٥٥١/٢، وتفصيل ذلك في : الأصوات اللغوية:٨٨

(٤) ينظر: الكتاب: ٤٣٣/٤، سر صناعة الاعراب: ٤٦/١ ـ ٤٧، وتفصيل ذلك في: الأصوات اللغوية:٨٨

(٥) ينظر: الابدال:٤٦/١٣

(٦) الكامل في اللغة والأدب: ١٤٦/٣

للهِ درّ الغانيات المدّهِ (١) - سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ من تألُّهي

يريد (المُدّح) (٢). وفي هذه الأرجوزة :.

برّاقُ أضلادِ الجبين الأَجْلَه .

ويريد الأَجْلَح(٣) . والعرب تقول: جَلَحَ الرَّجُلُ جَلَحاً. وجلِهَ يَجْلَه جَلَهاً. وجَلِى يَجْلَى جَلى، والمعنى واحد .

وبهذا فقد صار من الواضح أنَّ الابدال الحاصلَ بين/الأقوام هو نتيجةُ لتعلّم بعض الأقوام لغةَ أُناسٍ آخرين، لكي يناسبَ حديثَهم، وقد تنبه ابن حزم الى ذلك فقال: (فإن لمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لفظتُها تبديلا لايَخفى تأمله) (٤) .

ولقد برهنت البحوث اللغويةُ الحديثةُ على صحةِ ماتوصل اليه ابنُ حزم، حيث تُعَدُّ الاشارات التي تحدثَّ عنها، بمثابةِ أُسسٍ وقوانينَ بدائيةٍ للأصوات (٥) ، حيث نلاحظ أنَّ هذه المجاورةَ التي هي في نظر اللغويين اليوم من أهم العواملِ المؤثرةِ في حالات الصراع السلمي بين اللغات بحيثُ يكون التفاعلُ الهاديء بين اللغات المختلفة، وبالنتيجة يؤدي الى تأثر كل لغة باللغات الأُخر (٦) .

وقد حصل هذا بالفعل، حيث كان امتزاجُ العرب الخُلّصِ بغيرهم من الأعاجم في هذه المنطقة امتزاجاً قوياً فيما يظهر، وكانت من اهم نتائج ذلك ظهورُ هذا الالتواء الصوتيّ في ألسِنَةِ العرب أنفسِهم وبشكل عميقٍ وشامل.

---

(١) المده: اللاتي يتمدحن بالجمال.

(٢) الكامل: ١٤٧/٣ وينظر: الأمالي، لأبي علي القالي : ٩٧/٢ ـ ٩٨

(٣) الكامل: ١٤٧/٣

(٤) الإحكام في أصول الأحكام: ٣٠/١

(٥) محاضرات للدكتور صباح عباس السالم: مدونتي : ٥

(٦) محاضرات للدكتور صباح عباس السالم: مدونتي: ٩

" المبحث الثاني"

جهود ابن حزم الصرفية

(أ) الاشتقاق

إنّ الدرس اللغويّ ميدانٌ فسيحٌ ، وبحر يصعب سَبْرُ غورهِ وتدور جُلّ مباحثهِ الجوهرية في نظام اللغة، وتعرف هذه اللغة بانها منظمة للرمز الى نشاط المجتمع، وهذه المنظمةُ في دَورها تشتملُ على عدد غير قليلٍ من الأنظمة الأخرى[١] . ويرى بعض الباحثين: أن اللغةَ هذه لم تهدف في بدايات نشأتِها الأولى الى الفهمِ والإفهام، إنّما كانت مجردَ اصواتٍ أو مجموعات صوتية يقوم باصدارها جهازُ النطق، ثم اكتسبت تلك دلالاتٍ مختلفةً بمرور الزمن اتخذها الانسانُ في خلال عصوره المختلفة وسيلةً للتفاهم[٢] .

وهذه اللغات بطبيعتها تخضعُ لنظامٍ خاصٍ والتغييرُ الداخلي أو الإعرابي الذي يتعلق بنظام أيَّةِ لغةٍ يؤدي في النتيجة النهائية الى تغيير في دلالاتِها.

وقد اصطلح علماءُ اللغة على التغيير الداخلي الذي يطرأ على الألفاظ دون اعتبارِ موقعِها في الجملة، بالصّرف.

ويُعد الاشتقاق من الطرائق المهمةِ في تنمية اللغة مِنْ خلال زيادة الثروة اللفظية[٣] ، (ومثلما وُضِعَ النحوُ والصرفُ لعصمة اللسان من اللحن والخطأ في الكلام والقراءة، فَإن الاشتقاقَ يقوم بدور فَعّال وهو اثراء اللغة وجعلِها قادرةً دائما على التجددِ والتقدم ومسايرةِ تطور الحياة وارتقاءِ الحضارة، وذلك بما يزود اللغةَ ويمدها دائما من اسماء وأفعال حديثة لمُسميات حديثة، عن طريق التوليد والنحتِ والقلبِ والابدال) [٤] .

---

(١) ينظر: المهذب في علم التصريف: ٢١٣

(٢)ينظر: دروس في الصرف،محاضرات للدكتور صلاح الفرطوسي: ١، على طلاب كلية التربية، جامعة بغداد

(٣) ينظر: فصول في فقه العربية: ٢٩٠، فقه اللغة العربية: ٢٩٦، في فقه اللغة وقضايا العربية: ١٦٧ ، من أسرار اللغة: ٤٦

(٤) المدخل الى علم النحو والصرف: ٥٥

ولذلك أصبحت الحاجة للاشتقاق شديدةً في مختلف العصور، وبين سائر الطبقات المشتغلة بالفنون العلمية، والصناعاتِ والاختراعات، ولهذا فقد اشتدت الحاجةُ اليه(١) . لأنه يُسعفها بوابلٍ من الكلمات المختصرةِ الرشيقةِ السهلة التناولِ بضرب كل نوع منها في ناحية معنوية جليلة(٢) .

ونظرا لهذه الأهميةِ التي حظيَ بها الاشتقاقُ، فقد تعددت التعريفات له فهو في اللغة: (أخذ شِقِ الشيء وهو نصفُه، والاشتقاق: الأخذ في الكلام وفي الخصومة يمينا وشمالا مع ترك القَصْدِ، واشتقاقُ الحرفِ من الحرف آخذُهُ منه) (٣) .

واصطلاحاً :. قيل هو العلم الذي يبحث في اصولِ الكلمة حسب الما دة، أو أنه يعني التناسبُ في المعنى والتركيبِ الذي يُنتجُ عنه ردُ لفظ الى آخرَ لموافقته اياه في حروفهِ الأصلية(٤) . وقيل: هو نزعُ لفظٍ من آخر بشرط مناسبتِهما معنى وتركيباً ، ومغايرتِهما في الصيغة (٥) .

---

(١) ينظر: الحلقة المفقودة في تأريخ النحو العربي: ٣١٧، الدراسات اللغوية في العراق: ٢٥١، رأي في بعض الأصول اللغوية والنحوية: ٩٢، اللغة والنحو: ٢٤٠

(٢) ينظر: اللغة والنحو: ٢٤٠

(٣) العين: ٨/٥ مادة (ش ق ق)، الصحاح: ١٥٣/٤ (ش ق ق)، لسان العرب: ١٠/ ١٨١، (ش ق ق)، تاج العروس: ٥٢٢/٢٥ – ٥٢٣، مادة (ش ق ق).

(٤) ينظر: الاشتقاق، للأصمعي: ٢٠، اشتقاق ابن السراج: ٣٩ ، الاشتقاق ، لابن دريد: ٢٧/١، التبيان في علم البيان: ٢٠، شرح الشافية، لابن الحاجب: ٢/ ٣٣٤،شرح المراح في التصريف: ٣٠ ، الأشباه والنظائر: ١/ ٨٢، الدرس الصرفي عندالكوفيين: ١٠– ١٣، الاشتقاق ، عبد الله امين: ١، الاشتقاق، د. فؤاد ترزي: ١٩، الاشتقاق والتعريب: ١٤، الزجاجي ومذهبه في النحو واللغة: ١٧٠، شذا العرف في فن الصرف:٦٨، الصرف العربي صياغة جديدة: ٨٢، العلم الخفاق في الاشتقاق: ١٧

(٥) ينظر: نزهة الطرف في علم الصرف: ٥

أما الأصوليون فانهم لم يُخرجوا عن دائرةِ النحويين في تعريفِهم للاشتقاق (١) .

وذهب الغربيون الى أنّ الاشتقاق يُعدُّ علماً نظرياً عملياً، يقوم بالعناية بتأريخ الكلمة، وتتبعها المستمر عِبْرَ الحقب الطويلة (٢) . يقابله اشتقاقٌ عربيٌّ ذوعلمٍ عملي تطبيقي (٣) ؛ لأنه عبارةٌ عن توليدات مستمرةٍ للألفاظ مع بعضها البعض (٤) .

وقد اختلف في الأصل الذي تُؤخذُ منه المشتقاتُ، فذهب أصحاب البصرة الى أنه المصدرُ، وذهب أصحاب الكوفة الى أنه الفعل (٥) .

وذهب الأستاذ عبد الله أمين الى أن العرب قد اشتقت (الأفعال من أسماءِ المعاني من غيرِ المصادر اشتقاقا صريحا لامجالَ للشكِ فيه، ومن هذه الأفعال اشتقوا المصادرَ وجميع الاسماء) (٦) .

ولكن النظرة المعاصرة ترى أنّ الاشتقاق يكون من الجذر الأساسي للكلمة، أي االحروفُ الصوامتُ الأصلية السواكن، وعلى هذا يكون الفعل مشتقا والمصدرُ مشتقا أيضا، فيرد بذلك رأي البصريين ورأي الكوفيين في أصل الاشتقاق (٧) .

---

(١) ينظر: البحث النحوي عند الاصوليين: ٨٥، وتفصيل ذلك في المشتق بين النحاة والصوليين : ١٤ – ١٨

(٢) ينظر: اللغة: ٢٢٦

(٣) ينظر: فصول في فقه العربية: ٢٩٠

(٤) ينظر: دراسات في فقه اللغة: ١٧٤

(٥) ينظر: الانصاف في مسائل الخلاف: م. س٢٨: ١/١٤٤– ١٥١

(٦) الاشتقاق: ١٥ وينظر: بحث في علم الاشتقاق، بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية الملكي: ١/٣٨٣

(٧) ينظر: الأبنية الصرفية في ديوان أمرئ القيس: ١٣٠، ابنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٥٣، دراسات في فقه اللغة : ١٧٤، اللغة العربية معناها ومبناها: ١٦٦ – ١٦٨، محاضرات في علم الصرف: ١٦٥، معاني الأبنية الصرفية في مجمع البيان: ٢٧، المنهج الصوتي للبنية العربية: ٤٣ – ٤٥، النظرية اللغوية العربية الحديثة: ١١٦– ١١٧ .

ومن الطبيعي أن نجد عند ابن حزم اشارات الى الاشتقاق والتعرف على أنواعه، وكذلك الاسهام في هذا الموضوع اللغوي المتشعب، والاتخاذ منه موقفاً معيناً، شأنه شأن الكثير من علماء القرن الرابع الهجري ومابعده. فقد قاموا بدراسة هذه الظاهرة والعناية بها حتى يمكن القول أنه في خلال هذا القرن الذي أدرك ابن حزم أواخره، ولم يكن لعلماء اللغة من العرب انتاج أعظم منه [1]، ويكفينا في هذا أن ابن جني، قد ألم القول بقضايا الاشتقاق وأشبعها بحثا، حيث جعل الاشتقاق على ضربين، كبير وصغير، وقال: (ان الاشتقاق عندي على ضربين، كبير وصغير، فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم؛ كأن تأخذ أصلا من الأصول فتتقراه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغه ومبانيه، وأما الاشتقاق الأكبر، فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا)[2].

أما بعد ابن جني، فرأى العلماء أن يقسموه على ثلاثة أضرب، ومنهم من جعله أربعة[3]، وإذا كنا نحتكم الى الأخذ فيها والتوليد فهي أربعة على اختلاف بين اللغويين.

---

(١) ينظر: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع: ٤٣٧/١ / ابن حزم لغوياً: ٢٨٢

(٢) الخصائص: ١/ ١٣٣- ١٣٤، وينظر: الحضارة الاسلامية: ٤٣٧/١

(٣) لمزيد من معرفة هذه الأقسام، ينظر: الاشتقاق، لابن دريد: ٢٨،شرح المراح: ٣١، المزهر: ٣٤٧/١، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٤٧، الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي: ٣١٧، دراسات في فقه اللغة: ١٧٣، ١٨٦، ٢١٠، ٢٤٣، الدراسات اللغوية في العراق: ٢٤١- ٢٤٢، الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري: ٣٦٣، دروس في التصريف: ١٠، الزجاجي ومذهبه في النحو واللغة: ١٦٩، الاشتقاق، عبد الله امين: ١، الاشتقاق، د. فؤاد ترزي: ٢١٦- ٢١٧، شذا العرف في فن الصرف: ٦٨، الصرف العربي صياغة جديدة: ٨٢، فصول في فقه العربية: ٢٢١- ٢٩٦، ٣٠١، فقه اللغة، وافي :١٧٢-١٧٨ فقه اللغة وخصائص العربية: ٨٥، ١٠٦، ١٤٨، فقه اللغة العربية :٢٩٧، في فقه اللغة وقضايا العربية: ١٦٧، المدخل الى علم النحو والصرف: ٥٥- ٥٦، النحت وبيان حقيقته ونبذه عن ظواهره: ٣٨ .

وطبيعةُ ابن حزم وميولُه المذهبيةُ أملت عليه أنْ يقومَ بالتعرف على الاشتقاق والعنايةِ به، اذ بوساطة الاشتقاق يستطيع الفردُ أنْ يتعرفَ على اصول الكلمات والألفاظِ، ويمكنُ التعرفُ على أهمِّ أقسامِها والكشف عن طبيعة العلاقات مع بعضِها البعض، وكذلك كيفيةِ صياغةِ هذه الكلمات، وكل ذلك لايخرجُ عن نطاق ابنِ حزمٍ، لاسيما أنه الشخص الذي ينادي دائما بازالةِ كلّ ماعَلِقَ من معاني الكلمات والمصطلحات الشرعية واللغوية واعتبارها الأساسَ في حياته. ولذلك أصبح لزاما عليه أنْ يقومَ بتفهّم هذا الباب، ويقوم بأخذ مايأخذُه منه، وما يرفضُه.

ولكنه لم يُعوّلْ كثيرا على الاشتقاق لارتباطه بالقياس الذي يقفُ منه موقفَ الحَذِرِ ، ان لم يكن موقفَ الرافض (١) . (وذلك لأنّ الصلةَ بين الاشتقاق والقياس وثيقةٌ جدا، حيث إنّ القياسَ هو الأساسُ الذي تبنى عليه العمليةُ الاشتقاقية كي يُصبحَ المشتقُّ مقبولاً بين علماء اللغة، إذْ إنّ القياسَ هو النظريةُ. والاشتقاقُ هو التطبيق) (٢) .

وكان ابن حزم في حديثه عن هذا الباب يحاول جاهداً أنْ لايظهرَ بمظهر المتميّز أو السبّاق الى ذلك، لذا كان يحاول الاشارةَ ولو بطرفٍ خفي الى أنّ أستاذَه وشيخَه في اللغة أبا عبيدة: حسان بن مالك ، هو الذي سبقه في القول بهذا، وكان ابن حزم مناصرا ومؤيدا له في هذا الاتجاه. فقال: (قد قال بهذا الذي نذهب اليه كبيرٌ من أهل اللغة قدم وسماه لي، وشككت في اسمه لبعد العهد وأظن أنه ــ نفطوية*) (٣) .

---

(١) ينظر: الإحكام في اصول الأحكام: ٨/ ١٠٧٦، ١٠٨٢

(٢) من أسرار اللغة: ٤٥، ٦٢، وينظر: الدراسات اللغوية في العراق: ٢٤٠. طرق تنمية الألفاظ في اللغة : ٤١، فقه اللغة العربية: ٢٩٦.

* هو ابو عبد الله بن محمد بن عرفه بن المغيرة بن حبيب الأزدي، ويلقب بنفطويه (ت ٣٢٣ هـ) أهم مؤلفاته: كتاب غريب القرآن، كتاب الاستثناء، المقنع في النحو، الرد على من زعم ان العرب تشتق الكلام بعضه من بعض: ينظر الفهرست: ١٢١، معجم الأدباء: ١٠/ ٢٥٤- ٢٥٥

(٣) الإحكام في اصول الأحكام: ٤/ ٤٠٠

ونلاحظ أيضاً وقوفَ ابن حزم موقفاً إزاءَ تحديد المشتقات، شأنه شأنُ الصراع الذي حصل بين العلماء في تحديد هذه المشتقاتِ، حتى إننا نلاحظ تعددَ وتباين الآراء التي قيلت في هذا الصدد تبعاً لفنونهم واختصاصاتهم، وتبعاً لاختلاف المبحث المستخدمِ فيه هذا المصطلح .

فالمشتق عند النحويين هو مايرادفُ الصفةَ ويعملُ عملَ الفعل وينحصر في أربعةِ أصنافٍ هي[١] :

(١) اسم الفاعل [٢] . (٢) اسم المفعول . (٣) الصفة المشبهة (٤) أفعل التفضيل .

أما المشتقات عند الصرفيين فهي متعددة تشترك جميعا في أنها أُخذتْ من أصلٍ واحد بمعنى متشابه، مع اختلافٍ تدل عليه الصيغةُ، وبحروف مرتبة الترتيب نفسُهُ، ولكل منها حدودُهُ وضوابطُه وصيغه التي يُبنى عليها، والشروطُ التي يجب أنْ تتوافرَ فيه، وهذه المشتقات، اضافةً إلى الأقسامِ السابقة الذكر هي [٣] :

(١) اسم الزمان (٢) اسم المكان (٣) اسم الآلة.

ومنهم من قسم المشتقات الى: (المصدر، والفعل الماضي. والمضارع، والأمر، واسم المفعول، واسم الفاعل واسم المرة، والهيئة، والمصدر الميمي، واسم الآلة، واسماء الزمان والمكان) [٤] .

والذي تعارفنا عليه أنَّ هذه الأبوابَ جميعاً أَطلقَ عليها علماءُ اللغة مصطلحَ: الاشتقاق الصغير[٥] .

(١) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٤٦، رسالتان في علم الصرف، رسالة السنباطي: ٨٣

(٢) تندرج صفة المبالغة تحت اسم الفاعل .

(٣) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٥٢. التطبيق الصرفي: ٧٥-٨٩، رسالتان في علم الصرف. رسالة المرصفي: ٢٠، الزجاجي ومذهبه في النحو واللغة: ١٧، ظاهرة الاشتقاق في العربية: ٤١٤

(٤) المنهج الصوتي للبنية العربية: ٤٥، وينظر ابو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية: ٩٠، وينظر: الاشتقاق. د. فؤاد ترزي: ١٦٤- ٢٣٣

(٥) ينظر: البحث النحوي عند الأصوليين :٨٦

وكل هؤلاء الصرفيين كانوا يتعاملون مع فن الاشتقاق الخاص بهم وفق أسسٍ ومعايير خاصةٍ، حيث كانوا يقومون بتقديم كلّ ما يتعلق بهيكل الكلمةِ على ما يتعلق بالمعنى، اضافة الى اشتراطِهم توافرَ التناسق في الهيأة والصورة بين اللفظِ الأصلي وما يتفرعُ منه.

أما بالنسبة لأصحاب اللغة فقد توسعوا في دائرة الاشتقاق ، لأنهم كانوا يشتقون من اسماءِ الأعيان كما يقولون في بعض الجوامد إنها مشتقة؛ كالخيل من (الخيلاء)، والإنسان من (الإنس أو النسيان) (١) .

وعندما ننتقل الى ابن حزم نلاحظه قد ضيّق دائرة الاشتقاق، وجعله قاصرا على قسم منه، ولم يسمح بمجيء عددٍ من المشتقات التي أقرها العلماء واعترفوا بها حتى إننا نلاحظ أنه قد أعرضَ إعراضاً تاما عنها، فقد نأى ابنُ حزم عن المشتقات الآتية:

(١) اسم المرة (٢) اسم الهيأة (٣) اسم المصدر
(٤) اسم المفعول (٥) اسم الآلة (٦) أفعل التفضيل
(٧) اسم الزمان (٨) اسم المكان

والذي يسترعي الانتباه، هو اعتماد ابن حزم على المصطلحات المتعلقة بأصحاب المنطق في تعيينه أصناف المشتقات، دون الاعتماد على المصطلحات النحوية أو اللغوية، فقد ظهر أنه كثيرا ما ينأى عن الاشتقاق بأجمعِه خلا اشتقاقَ (الأوصاف من الصفات) (٢) – على حد قوله– .

فهذا الاشتقاق – وكما يبدو – قد أبدى ابن حزم تجاهه ارتياحاً شديدا، وقد اثنى عليه، حتى سمّاه بـ(الاشتقاق الصحيح) (٣) ، حيث قال: (والاشتقاق الصحيح إنما هو اختراعُ اسمِ شيءٍ ما مأخوذٍ من صفة فيه، كتسمية الأبيض من البياض، والمُصَلّاة من الصلاة، والفاسق من الفسق، وما أشبه بذلك)(٤) .

(١) أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٤٧، وينظر فصول في فقه العربية: ٢٩٣
(٢) الإحكام في أصول الأحكام: ٤/ ٤٠٠،، ٨/ ١١٢٣
(٣) الإحكام في أصول الأحكام: ٨/ ١١٢٣
(٤) المصدرنفسه: ٨/١١٢٣

ومن هذا الكلام، اضافةً الى عبارات ابن حزم التي يرددُها في هذا الموضوع نستطيعُ أنّ نتوصلَ الى أنّ المرادَ من هذا هو الموافقةُ أو التصريحُ بقبول نوعين من أصناف الاشتقاقِ القياسية، فهو يقول: (ان الاشتقاق كلّه باطلٌ، حاشا اسماءَ الفاعلين من أفعالهم فقط، واسماء الموصوفين، المأخوذةِ من صفاتهم الجسمانية والنفسانية) [١] .

ومعنى ذلك أنّ ابنَ حزم قد ركز واعترفَ بـ:.

(١) اسماء الفاعلين فقط:. وقام بضرب أمثلة على ذلك، منها الثلاثي كـ ضارب من الضرب، وآكل من الأكل [٢] ، والفاسق من الفسق [٣] ، ومن الرباعي أورد المثال: المصلى من الصلاة [٤] .

(٢) الصفة المشبهة ، أو على حد قوله (اسماء الموصوفين التي أخذت من صفاتهم الجسمانية والنفسانية) [٥] ، وسميت هذه الصفة مشبهة وذلك لمشابهتها اسمَ الفاعل، غير أن الفرق بينهما هو أنّ الصفة تفيد ثبوتَ معناها لمنِ اتصف به، واسم الفاعل يفيد الحدوثَ والتجدد [٦] .

ونلاحظ أنه قد أولى هذه الصفات أهميةً بالغةً وذلك لتأثيرِها الفعال من خلال اضافة دلالاتٍ على الألفاظ والكلمات ، مما يؤدي الى تعددِ المعاني وفقا لتعددِ هذه الصفات.[٧]

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام : ٤/ ٤٠٠، وينظر، البحث النحوي عند الأصولين: ٨٥

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٤/ ٤٠٤

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٨/ ١١٢٣

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٨/ ١١٢٣

(٥) المصدر نفسه: ٤/٤٠٠

(٦) ينظر: رسالتان في علم الصرف: رسالة المرصفي: ٢٠٤، التطبيق الصرفي: ٧٩ ، ظاهرة الاشتقاق في العربية: ٤٣٩، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: ٢٤١/١، المنهج الصوتي للبنية العربية: ١١٧

(٧) ينظر: ابن حزم لغويًا: ٢٩٥

وقد أورد ابن حـــزم عدداً مـــن الأمثلـــة علـــى هـــذه الأنـــواع فـــي عدد مـــن مؤلفاتـــه، فمثـــال الحالـــة النفسـية لفظـــة: (غضبـــان مـــن الغضـــب) (١) . ولفظـــة: (شـــجاع ، كقولنـــا: أســـد شـــجاع ورجـــل شـــجاع) (٢) ، وقـــد فصّـــل ابـــن حزم في صفة الرجـــل فقـــال: (وهـــو الـــذي تسـميه العـــرب الديـــوث، وهـــو مشـــتق مـــن التديّـــث وهـــو التسـهيل، ومـــا بعـــد تســـهيل مـــن تســـمع نفســـه بـــهذا الشـــأن تسهيل، ومنـــه بعـــير مديّـــث، أي مذلـــل) (٣) .

ولكننـــا عنـــد النظـــر فـــي الكـــلام الـــذي قـــام ابـــن حـــزم بـــايراده ــ أي عـــن الأسد وصفة الرجل ــ نلاحـــظ أنـــه قـــد وقـــعَ فـــي قيـــد القيـــاس الـــذي كـــان يحـــاولُ النفورَ منـــه، والقيـــام بابطالـــه (٤) . حتـــى أننـــا نلاحـــظ أنّ مثـــل هـــذا القيـــاس يشـــيع في جميع انحاء هـــذا الصنـــف مـــن المشـــتقات، وبـــالذات يقـــوم بـــالتحكم فـــي اسـماء الفاعلين وأيضا الصفـــة المشـــبهة، (فـــلا يشـــتق مـــن اسـم الفـــاعل الثلاثـــي إلاّ علـــى وزن (فاعل)، مثل كـــاتب مـــن الكتـــب ، وقـــارىء مـــن قـــرأ، ولا يشـــتق ممـــا فـــوق الثلاثـــي إلاّعلـــى وزن مضارعـــه بـــابدال حـــرف انمضارعـــة ميمـــاً مضمومـــة مـــع كسر ما قبل الآخر: كمقـــاتل مـــن قـــاتل، ومصـــاحب مـــن صـــاحب) (٥) .

واما بشـــأن الصفـــة المشـــبهة فلـــها اثنـــا عشـــر وزنـــا يشـــتق منـــها يغلـــب ورودها فـــي اللغـــة (٦) .

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام: ٤/ ٤٠٠

(٢) ينظر: التقريب لحد المنطق: ٣٠٧

(٣) طوق الحمامة، تح: صلاح الدين القاسمي: ٢٣٥

(٤) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام: ٨/ ١٠٧٦، ١٠٨٢، وينظر: ٧/ ٢٠٤، وينظر: ابن مضاء وجـــهوده النحوية : ١٢٢، ١٢٨، ١٣١

(٥) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: ٣٦/١ وينظر: دروس في الصرف: ٤- ٥، المهذب فـــي علم التصريف: ٢٥٢، ٢٥٦، المنهج الصوتي للبنية العربية: ١١٤- ١١٥

(٦) لمزيـــد مـــن التفصيـــل فـــي معرفـــة هـــذه الأوزان، ينظـــر: المـــهذب فـــي علـــم التصريـــف: ٢٧٧-٢٨١ المنـــهج الصوتـــي للبنيـــة العربيـــة: ١١٧

فـابن حـزم قـد جـانب الصـوابَ فـي انكـار حـدودِ القيـاس جميعـهـا، لأنَّ الاعـتـرافَ بـالقول باسـماء الفـاعلين والمفعوليـن والصفـة المشـبهة سـيجرُه الـى الاعتراف بالقياس حتمـاً سـواءً كـان راضيـاً أم غـيرَ راضٍ .

ونتيجـة لـهذه القواعـدِ الصرفيـة نلاحـظ أن الكثـيرَ مـن العلمـاء قـد أقبلـوا على العمـل بـهذا الاشـتقاقِ الصرفـي، وفـي هـذا الصـدد قـال السـيوطي: (فـإنْ تَعلّـقَ هـؤلاءِ بالاسـماءِ المشـتقة مـن الأفعـال كاسـماء الفـاعلين والمفعوليـن التـي تجري على قضية واحـدةٍ؛ فقـد ثَبَـتَ فـي هـذه الفنـون مـن طريـق النقـل أطـراد القياس فاتبعناه؛ ولايجَـري هـذا فـي محـل الـنزاع) (١) .

ورغم تمسـك ابـن حـزم الشـديدِ بنوعَـي الاشـتقاق والدفـاع عنـهما، وقيامـه بـإيراد الأمثلـة علـى ذلـك ، نلاحـظ مـن جـانب آخـر اضطـراب الموقـف لديـه وحيرته الواضحـة فـي تـردده فـي معرفـة الأصـل الـذي اسـتنبط منـه المشـتق، فيقـول: (لانـدري هـل أخـذت الاسـماء مـن الصفـات أو أُخِـذَتْ الصفـاتُ مـن الاسـماء؟ إلاّ إننـا نوقـن أَن أحدهمـا اَخَـذَ مـن صاحبـه، مثـل ضـارب مـن الضـرب، مثـل آكـل مـن الأكـل، ومثـل أبيـض مـن البيـاض، وغضبـان مـن الغضب . ومـا أشـبهُ ذلـك) (٢) .

ويـرى البـاحث أنّ كـلامَ ابـن حـزم يُوحـي أنَّ المشـتقات هـذه قـد أُخـذَت من المصدر وبذلـك يكـون قـد واصـلَ أصحـابَ الكوفـة فـي عَـدِّ المصدر اصـلَ هذه المشتقات، بـل هـو الاسـاسُ الأول لكـلِ أنـواع المشـتقات (٣) .

ويبـدو لـي أن ابـن حـزم كـان مسـاندا لشـيوخ الطّائفـةِ الأولـى فـي الاعـتـراف بجـزء بسـيطٍ مـن الاشـتقاق حيـث قـالوا ؛بعـضُ الكـلام مشـتق والبعض الآخر غيرُ مشـتق، ولكـن ابـن حـزم لـم يَسِـرْ مـع هـؤلاء الشـيوخ الـى نهايةِ المطاف، فقـد رَكَـنَ الـى الاختصـاص بنـوع مـن المشـتقات القياسـية، وهـذه الأنواع هي الوحيدةُ التـي تتمشـى مـع ميولـه المذهبيـة .

---

(١) المزهر: ١/٦٣

(٢) الإحكام في أصول الأحكام: ٤/ ٤٠٠

(٣) لمزيد من التفصيل في ذلك ينظر: الانصاف في مسائل الخلاف: م.س٢٨ : ١/ ١٤٤-١٥٢، والـدرس الصرفي عند الكوفيين: ١٣- ١٤

وإنَّ المتتبعَ للمؤلفات التي ذَكَرتْ اقوالَ العلماء أو الجدلَ الحاصل بينهما في مجال القول بالاشتقاق، يلاحظ أنقسامَهم على ثلاثة طوائف:

الأولى: كانت تقول: بعضُ الكلام مشتقٌ وبعضُه غيرُ مشتقٍ، ومنهم : عيسى بن عمر (ت ١٤٩هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (١٥٤هـ)، والخليل، والأخفش الأكبر (١٧٧هـ)، وسيبويه، وقطرب (٢٠٦) ، وابو عبيدة (ت ٢١٠هـ)، والأصمعي (٢١٥هـ او ٢١٧) ، والجرمي (ت٢٢٥هـ)، والمازني (ت٢٤٩هـ)، والمبرد ، والزجاج (ت ٣١١هـ) وسائر من لم نسمعه من البصريين من أهل اللغة، وكذلك من الكوفيين، الكسائي (ت ١٨٩هـ)، وابو عمرو الشيباني (ت ٢٠٦هـ) والفراء (ت ٢٠٧هـ)، وابن الأعرابي (ت ٢٣٨هـ)، وثعلب (ت ٢٩١هـ)، ومن تابعهم يقولون في ذلك [1] .

الطائفة الثانية:. وهو قولُ متأخري أَهلِ اللغة، ذكرتْ أنَّ الكلام كُلُّه مشتقٌ [2] ، وقد زعم ابْنُ السراج (٣١٦هـ)، أنَّ ابا اسحق ابراهيم بن السري الزجاج كان يعتضد هذا المذهبَ ويقول: (الكلام كلُّه مشتق) [3] ، ولقد وصف الزجاجي(ت ٣٣٩ أو ٣٤٠هـ) هذا الكلام بانه: (قول المتعسفين من متاخري أهل اللغة) [4] .

وزعم بعضهم أنَّ سيبويهَ كان ممن يرى أنَّ الكلام كلَّه مشتقٌ وتعلق بكلام له في كتابه في قوله: إنَّ النجمَ والسماك والديران وابنَ الصعق وما اشبه ذلك صفاتٌ لأسماء غلبت عليهم لأسباب حدثت واشتقت لها منها هذه الاسماءَ ثم نَقَلَتْ ، فإن ورد علينا ما لا نعرفه او يُعرَفُ مشتقاتُه فإنَّها ذلك

---

(١) ينظر: الاشتقاق للأصمعي: ٢٠، وابن السراج: ٣١، اشتقاق أسماء الله للزجاجي: ٤٨٠، الصاحبي في ..، المزهر ٣٤٨/١، أبو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية: ١٨٩، دراسات في الفعل: ٢٨- ٢٩، الزجاجي ومذهبه في النحو واللغة: ١٦٦، سبيل الاشتقاق بين السماع والقياس بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية الملكي:٢٠١/٢. الاشتقاق، د. ترزي: ١٠، فصول في فقه العربية:٢٩٤

(٢)ينظر: اشتقاق أسماء الله: ٤٨٨، فصول في فقه العربية: ٢٩٤

(٣) الاشتقاق للأصمعي: ٢٠، وابن السراج: ٣١، وينظر المزهر: ٣٤٨/١

(٤) اشتقاق أسماء الله: ٤٨٠

لأنه قد ذهب من كان يَعرِف معانيها أو لأن الأولَ الواضع كان عنده من العلم بذلك ما لم يصلْ الينا[١].

وهذا ليس دليلاً على ذَهابِ سيبويه الى اعتقاده بهذا المذهب والقول به، لأنه حينما تكلم في ذلك خَصَّ جنسا من الأسماء المشتقة التي لها اشتقاقٌ ووضّحَ ذلك وتكلم عليها [٢].

والطائفة الثالثة:. من أهل النظر زَعَمَتْ: (انَّ الكلام كُلَّه أَصلٌ وليس منه شيء اشتق من غيره ، وليس لأحد من أهل اللغة الأعلام المشهورين يقول بذلك، ولا مِن النحويين الأئمة فيما انتهى الينا من مذاهبهم) [٣] .

ويبدو أَنَّ دليلَ اصحاب هذه الطائفة على هذا الكلام الذي جعلهم يصرحون بهذا القول ويجزمون به هو:(أَنَّ العربَ تكلمتْ على سجيتها ولم تعرف الاشتقاقَ ولا الإعراب، ولو كان العربي يَشتقُ الكلامَ ويتعمل الإعرابَ مستدلا ومستنبطا لاحتاج الى موقفٍ على ذلك، واحتاج الذي قبله الى آخر مالا نهاية)[٤] . وهذا الكلام محالٌ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهم يتكلم بطبعه ولولا ذلك ما كان حُجةً يلزم قبول قوله، فهذه حجة من دفع الاشتقاق وأنكره [٥] .

والذي يتتبع آراءَ شيوخِ هذه الطوائفِ يلاحظ أنَّ ابنَ حزم كان يساند شيوخَ الطائفة الأولى، ولو في جزء بسيط من ذلك، وذلك من حيث الأخذ بالاشتقاق والاعترافُ به، ونبذ بقيةَ القول بالاشتقاق، وبذلك يقول: (عدا أسماءَ الفاعلين والموصوفين) [٦] .

---

(١) ينظر : الكتاب: ٢/١٠٠ – ١٠١، اشتقاق أسماء الله: ٤٨٢، الممتع في التصريف: ١/٤٤، المزهر: ٣٤٨/١.

(٢) ينظر: اشتقاق أسماء الله: ٤٨٢

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤٨٣، المزهر:٣٤٨/١، الدراسات اللغوية عند العرب: ٤١١، فصول في فقه العربية: ٢٩٤، فقه اللغة، للضامن: ٨٠

(٤)اشتقاق أسماء الله: ٤٨٤، وينظر: اشتقاق ابن السراج: ٣١، المزهر: ١/ ٣٤٨

(٥) ينظر: اشتقاق أسماء الله: ٤٨٤

(٦) الإحكام في أصول الأحكام: ٤٠٠/٤

ويبدو أنَّ هذه التصريحاتِ التي جاء بها ابن حزم جاءت عن طريق تأثره بـ(نفطويه) [١] ، حيث صرَّح ابن حزم ان نفطويه كان لايقول بالاشتقاق أبداً [٢] .

والحق أنَّ عدداً من العلماء قد أيدوا ماذهب اليه ابنُ حزم في إنكار نفطويه القولَ بالاشتقاق، وأيضا الكتبَ التي وُضِعَتْ في هذا الصدد منها؛ (الرد على من زعم أنَّ العرب تشتقُ الكلامَ بعضَه من بعض) [٣] .

ويبدو أنَّ ابن حزم قد قارب هذا الشيخَ في الكثير من افكارهِ وآرائهِ واتجاهاتهِ، حيث كان ظاهريَّ المذهب ويتفقه على مذهب داود [٤] . ولكن الغريب في هذا الأمر هو تنبُّه الزجاجي ، من خلال قيامه باحصاء مؤلفات هذا الشيخ وقيامه بمقارنات مع عددٍ من نصوصه، وخلوصه الى تأرجح موقف (نفطويه) في القول بالاشتقاق، حيث أثبت (الزجاجي) بالأدلة انه كان يأخذ به في عددٍ من المواقف والآراء. ويتمثل ذلك في كتابه (أمثال القرآن)، وبذلك يقول الزجاجي: (ان نفطويه قد ناقض نفسه وقال بالاشتقاق) [٥] . ففي الكتاب السابق الذكر تَكَلَّمَ عَن الاشتقاق وردَّ كثيراً من الكلام الى أصل واحدٍ، ففي قوله تعالى : (**لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا**) [٦] ، قال الفراء: (البرد: النوم، وحكى: منع البرد البرد، يعني: منع البرد النوم) [٧] .

---

(١) سبق وأن تُرجِمَ لهذا العالم في الصفحات السابقة من هذا المبحث.

(٢) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام: ٤/ ٤٠٠

(٣) ينظر: الفهرست: ١٢١، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة: ٨

(٤) هو داود بن علي بن خلف الأصبهاني، الملقب بالظاهري، أحد الأئمة المجتهدين في الاسلام، تنسب اليه الطائفة الظاهرية وسميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس، ولد سنة (٢٠١هـ)وت سنة(٢٧٠هـ)في بغداد . ينظر: الفهرست: ٣٠٣- ٣٠٥، تاريخ بغداد: ٨/ ٣٦٩-٣٧٥

(٥) اشتقاق أسماء الله: ٤٩٧

(٦) النبأ: ٢٤، وينظر تفسير غريب القرآن:٥٠٩، مجاز القرآن:٢/ ٢٨٢

(٧) معاني القرآن: ٣/ ٢٢٨

ثم قال نفطويه: والبردُ عند العرب: الراحةُ، فالمعنى: لايذوقون فيها راحةً ولا شراباً[١] ، والنومُ: الراحة، فلا نرى كيف قام (نفطويه) بردِّ النوم الى معنى الراحة وجعلها هي الأصل ؟ فهذا هو الاشتقاق بعينه.

وقال نفطويه أيضا في قوله تعالى: (فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ) [٢] . أي: لهم نصيب من الحياة كما كان من قبلهم فلا يستعجلون ، فانَّ لهم أمدا وغايةً ينتهون اليها [٣] .

قال نفطويه:(والذنوبُ: النصيبُ عند العرب، ولذلك قيل للدلو ذَنوب لأن فيها حَظاً من الماء ونصيبا)[٤] ، وهذا هو الاشتقاق بعينه أيضا .

وقال نفطويه في الكتاب نفسه – أعني كتاب الأمثال – في قوله تعالى: (لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا)[٥] . أي: ملجأ. يقال: (وألَ الرجلُ يئِلُ) أي: لجأ. وبها سمي الرجل وائلا[٦] .

قال القطامي:

مَنْ صَالحوه رأى في عيشهِ دعةً   ولا تَرى مَنْ أرادوا ضَرَّهُ يئِلُ[٧] .

أي ينجو، وقال الزجاجي معقبا على ذلك: (فما تكون مناقضة أعجبَ من هذا ألا تراه كيف قال: وبهذا سُمِّيَ الرجل وائلا. فكيف يضم الى هذا نفي الاشتقاق؟) [٨] .

---

(١) ينظر : اشتقاق اسماء الله :٤٩٧-٤٩٨

(٢) الذاريات :٥٩،وينظر مجاز القرآن: ٢/٢٢٨

(٣) ينظر اشتقاق اسماء الله : ٤٩٩

(٤) المصدر نفسه:٥٠٠

(٥) الكهف:٥٨، وينظر معاني القرآن:٢/١٤٨،مجاز القرآن: ١/٤٠٨

(٦) ينظر: اشتقاق اسماء الله :٤٩٨

(٧) ينظر: ديوان القطامي: ١/٣٨ ،وتفصيل ذلك في اشتقاق اسماء الله :٤٩٨

(٨) اشتقاق اسماء الله :٤٩٨

ويقوم الزجاجي بإيراد العديد من الأمثلة التي تنكر مزاعم مَن قال إنّ نفطويه كان يُنكر الاشتقاق من الآيات القرآنية والأبيات الشعرية.

وبعد العرض التفصيلي الذي قام به صاحبُ (اشتقاق أسماء الله) لكلام – نفطويه– سارع بتوجيه التهم القاسية إليه وتكذيبه وجعل كلامَه متسما بالاضطرابات [١] .

لكننا نستطيع أنْ نُعَلِلَ هذا التبدلَ الذي حصل في موقف نفطويه فنقول: كان نفطويه يقول بالاشتقاق ويأخذ به في بدايات حياته العلمية، ولكنَّه انسلخ عن هذا المذهب وعن الأخذ به جملةً وتفصيلاً فيما بعد، ولعل السببَ في ذلك يعود إلى وقوعه تحت المذهب الظاهري وخضوعه الى قوانينهم اللغوية التي تناهضُ أغلبَ أجزاءِ الاشتقاق.

أما بالنسبة لابن حَزم، فنرى أنّ الذي جعلهُ يقول ببعض أنواع الاشتقاق، يرجع بالدرجةِ الأساس الى آرائهِ في نشأة اللغة وكونها هبةً وتوقيفاً من الله، ففي نظرهِ أنّ اللغةَ هذه وَصَلَتْ الينا عن طريق النقلِ المتواتر [٢] ، وقد يكون هذا الموقف منه جرياً على المذهب الظاهري في بعض القضايا التي انساق فيها النحاةُ نحو المنطق، وكان من ذلك الاشتقاق والعِلَل النحوية [٣] ،

ومن دون شك فإنّ هذا الكلام الذي تعصَّبَ له ابنُ حزم وتشدَّدَ به من خلالِ قوله بالاشتقاق، يَعُمُّ بصورةٍ شاملة المظهرَ اللغوي للاشتقاق الصغير، إذ لم يكن يقبل الرأي القائل بوجود الاشتقاق فيه وبأي شكلٍ من الأشكالِ.

ويعد هذا الكلام الذي جاء به ابن حزم حول انكار الجزء الأكبر من الاشتقاق الأصغر وعَدمِ الاعتراف به، وجعلِ الكلام مقتصراً على جزءٍ بسيطٍ منه، تصورنا أنَّه قد اكتفى من القول في هذا الموضوع – أعني موضوع الاشتقاق – ، غير أنه ذهبَ الى أقوالٍ أُخر في الموضوع نفسه، حيث تمسك به أشدَّ التمسك، فرأى (أنّ كل اسم علم، وكل اسم جنس، أو نوع أو صفة، هي أصول لاشتقاقَ لها) [٤] . حتى أننا نراه يقول: (إنّ سائرَ الأسماءِ الواقعةِ على الأجناسِ والأنواع كلِّها، لا اشتقاقَ لها) [٥] .

---

(١)ينظر: تفصيل ذلك في اشتقاق اسماء الله :٤٩٧-٥٠٣

(٢)ينظر:الإحكام في اصول الأحكام :١/٣٠-٣٢

(٣)ينظر: التركيب اللغوي للأدب: ١٢ / ١ ابن حزم لغوياً : ٢٩٧

(٤)الإحكام في اصول الأحكام :٨/١١٢٣

(٥)المصدر نفسه: ٤/٤٠٠

ومعنى هذا الكلام هو مناداةُ ابن حزم بأصليةِ هذه الأسماء وجعلِها ثابتةَ الأصول، ولم تُؤخذ من أي أصل أو ايةِ صفةٍ أخرى.

وقد يكون الدليل الذي جعل ابن حزم يَجزمُ بالقول في هذا، هو اعتقادُه أَنّ هذه الأسماء أجزاءٌ من اللغة الإلهية التي لقنها الله سبحانه وتعالى لآدم (ع) وأياً كانت هذه اللغة، ولذلك فمن الخطأ الكبير -وبحسب اعتقاده- القول إنّ هذا الأسم قد أُخذ من هذا أو من ذاك، أو قد تفرع أو انسلخ من هذا أو من تلك اللفظة، لأنها وُجِدَتْ وباتَتْ في وقت واحد، حيث يقول: (وليس بعضُها قبل بعض بل كلها معا)[١].

ومرةً أخرى يَعُدُّ ابن حزم مخالفاً لجمهرة العلماء اللغويين في هذا القول، حيث قامَ بابطال اقوالهم، وعَدَّ الرأي الذي أدلى به هو الأمثل أو الأصوب.

ولكن من الواضح أنّ هذه الأصناف من الأسماء التي تكلم عنها ابن حزم ،الغالب عليها صفة الاشتقاق،وكما هو الحال عند عدد من علماء اللغة فهذا ابن دريد (ت ٣٢١ هـ)، صاحب كتاب الاشتقاق، قد أفاض في القول باشتقاق أسماء الأعلام، وقام بإيراد العديد من الأمثلة التي تؤيد كلامه في هذا الصدد، من نحو: (محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم، مشتقٌ مِنَ الحَمد)[٢] ، وابن عبد الله ، فاشتقاق العَبد من الطريق المُعَبَّدْ ، وهو المذلّل الموطوء[٣]. وقولهم آمنة :فاعلة من الامن ، ووهب من قولهم: وَهَبْتُ له هبة ووهباً، فانا واهب والشيء موهوب، فالرجل موهوبٌ له)[٤] . واشتقاق (عليٍّ) من الصلابةِ والشدةِ[٥] .

وهناك عددٌ من الذين قاموا بعرضِ الأمثلة التي توضح اشتقاقَ هذه الأسماء، منهم الراغبُ الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، حيث قال: (أنّ آدم (ع)، سُمِّيَ بذلك لكون جسده مِنْ أديم الأرض وقيل السُمرة في لونهِ، ويقال: رجلُ آدم نحو أسمر)[٦]. وكذلك فإنّ اشتقاقَ (مكة)من تمككتُ العَظمَ ، أخرجتُ مُخّهُ، وامتك الفَصيلُ مافي ضَرعِ أُمِهِ[٧] ، ورُوِيَ عن الرسول الأعظم أنه قال عليه السلام: (لاتَمكّوا على غُرمَائكم)[٨] ،

---

(١)الإحكام في اصول الأحكام :٤/٤٠٠ / وينظر: ابن حزم لغوياً : ٢٩٧

(٢)الاشتقاق : ٨/١

(٣)ينظر : المصدر نفسه :١٠/١

(٤)المصدر نفسه:٢١/١

(٥)ينظر :المصدر نفسه :٥٤/١

(٦)مفردات غريب القرآن:١٢

(٧)ينظر :المصدر نفسه:١٢

(٨)ينظر: النهاية في غريب الحديث والاثر:٣٤٩/٤

وتسميتُها بذلك لأنـــها كـــانت تَمُــكُ مـــن ظَلَــمُ بـــها، أي:تدقــهُ وتُهلكـــهُ(١) . وقـــال الخليـــل سُمِّيَتْ بذلك، لأنها وَسَطُ الأرضِ كَـــالمُخُ الـــذي هـــو أَصـــلُ مـــا فـــي العَظـــم (٢) .

ومثلمـــا ســـار ابـــنَ حـــزم فـــي مخالفـــةِ جميـــع اللغوييـــن، فانـــه ذهـــب أيضـــاً الـــى مخالفةِ علمـــاء النحـــو عامـــةً، الذيـــن يوافقـــون الأخـــذ باشـــتقاق هـــذه الأســـماء، وذلـــك لأنَّ العَلَمَ في مناهجهم ينقســـم إلى:-

(١) المرتجل (٣) : هو ما لـــم يســتعمل إلا فـــي العلميـــة، مثـــل ســـعاد، وزينـــب (٤)

(٢) المنقـــول (٥) : هـــو ماســـتعمل فـــي غـــير العلميـــة، أولاً، ثـــم نقـــل اليـــها، والنقـــل يكون اما عن مصدر، مثـــل (فضـــل)، وامـــا عـــن اســـم جنـــس، مثـــل (صخـــر)، وامـــا عـــن صفة، مثل(محمـــد)، وامـــا عـــن فعـــل ، مثـــل (شـــمر، وتغلـــب)، وامـــا عـــن جملـــة، مثـــل(جادَ الحَـــقُّ) (٦) .

(٣) المركـــب: وهـــو ماكـــان مركبـــاً تركيبـــاً اضافيـــاً، مثـــــل (عبـــد الله)، أو مزجيـــــاً، مثل: (بعلبـــك)، أو إســـنادياً، مثـــل: (تـــأبطَ شَـــراً) (٧) .

واذا كـــان باســـتطاعةِ ابـــن حـــزم أن يكـــذب ويُخطِّـــيءَ جميـــع العلمـــاءِ القـــائلين بـــهذا النوع من الاشتقاق، فمـــا ذا لـــو عَـــرَفَ أنَّ النبـــي صلـــى الله عليـــه وآلـــه وسـلم، قـــد وافـــق علـــى هـــذا النـــوع مِـــن الاشـــتقاق وأخـــذ بـــه وقـــد سَـــمَح بـــه ايضـــا، ونحـــن نَعـــرف أنَّ الرســـول افصـــحُ العـــرب باجمـــاعِ العلمـــاءوالنـــاس جميعـــا. حيـــث ســـكت عـــن التنويـــه، وهـــو الـــذي لايســـكت ولا يرضـــى إلاّ عـــن القـــول الصحيـــح والواضـــح الـــذي لاغُبـــارَ عليـــه، وذلـــك حينمـــا اســـتمع الـــى شـــاعرِ الاســـلام حســـان بـــن ثـــابت الأنصـــــاري (ت ٥٤هـــ) حيث مدحـــه وقـــال:

---

(١)ينظـــر: مفـــردات غريـــب القـــرآن:٤٨٧

(٢)ينظر :العيـــن:٢٨٧/٥ مـــادة(مكـــة).

(٣)ينظـــر : شـــرح المفصـــل:٣٢/١، شـــرح الكافيـــة:١٥٥/٢ ،المحيـــط فـــي اصـــوات العربيـــة نحوهـــــا وصَرفـــــها:١٩٨/١

(٤)ينظر: شـــرح ابـــن عقيـــل: ١٢٥/١،شـــرح التصريـــح علـــى التوضيـــح :١١٥/١

(٥)ينظـــر: الاشـــباه والنظـــائر:١٨٦/٢،حاشـــية الصبـــــان:١٣١/٣

(٦)ينظـــر : معـــاني النحـــو :٧٧/١

(٧)ينظر:المحيـــط فـــي اصـــوات العربيـــة نحوهـــا وصرفـــها:١٩٨/١

أغَـــرُّ عَلَيه لِلنُبُوَّةِ خَـــاتَمٌ مِنَ اللهِ مَشهُودٌ يَلُوحُ وَيُشهَدُ(١).
وَضَمَّ الاله اسمَ النَّبيِّ إلى اسمِهِ إذا قَالَ في الخَمْسِ المُؤَذِّنُ أشْهَدُ.
وَشَـقَّ لَهُ مِن اسمِهِ لِيُجِلَّـــــهُ فَذُو العَرْشِ مَحْمُودٌ وَهذا مُحَمَّدُ (٢).

وقال الزجاجي: (إنَّ هذا هو دليلٌ قياسي على ورود الاشتقاق، فقد قال حسان: شـــق لــهُ من اســمه محمدا، فأخبر أن اسما مشتقا من آخر وصرح به وأنشده النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حيـــث تلقاه الرسول بالقبول والرضا، فدل ذلك على أنَّ من العرب من كان يَشتقّ ويعرفُ الاشتقاق)(٣).

ويبدو ان هذا دليل قاطع قام بايراده الزجاجي مفندا به جميعَ أقوالِ اهل النظر وأصحابهم ــ ومن ضمنهم ابنَ حزم ــ الذين أنكروا هذا النوعَ من الاشتقاق وعدمَ الأخذِ به، ويكفينا نحـــن أنَّ الرسول الأعظم قد أخذ بهذا النوع واستحسنَهُ بل رَضِيَ به.

وهناك العديد من الأدلة التي تؤيد وجود مثل هذا النوع من الاشتقاق، وتبرهن على تخطئةِ ابن حزم وتشددِهِ الواضح الذي ذهب اليه وسلكه، ففي هذا الصدد يذكرُ السيوطي، ناقلا عن ابـــن دحيه (٤)في التنوير: (الاشتقاق ثابت عن الله تعالى بنقل العدول عن رسول الله صلـــى الله عليـــه وآله وسلم، لأنه أوتيَ جوامع الكلم، وهي جمع المعاني الكثيرةِ في الألفاظ القليلة؛ فمن ذلك قوله؛ قال الله عزوجل: (أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي فمَن يصلْها اَصلْه، ومَـــن يقطعْـــها أَقطعْه فابته) (٥)) (٦) .

وبمرور الوقت، وبعد هذا التزمتِ الواضح في كلام ابن حزم في عدم اشتقاق هذه الأســـماء -أسماء الأعلام - نلاحظ أنَّ ابن حزم قد تجاهل هذا الموقفَ فأوقع نفسَه في تناقض بَيِّن. حيـــث يسلم بالقول بالاشتقاق ، ويأخذ به من دون مواربة، ويقوم أيضا بذكر العديد من الأمثلـــة التـــي تبيِّن اشتقاقَ هذه الأسماء في كتابه (جمهرةِ أنساب العرب)، وكانه لم يذكر شيئا في انكـــار هـــذا الاشتقاق في كتابه (الإِحكام في أُصولِ الأُحكام).

(١) : ديوان حسان بن ثابت : ٣٣٨ .

(٢) نسب هذا البيت لابي طالب، وقد قام حسان بن ثابت بجعله ضمن شعره، ينظر: شرح ديوان حسان بن ثـابت : ١٣٤

(٣) الخلاف الصرفي في العربية : ١٣٨

(٤) هو عُمر بن الحسن بن علي بن محمد ، ابو الخطاب ، ابن دحية الكلبي : اديب ومؤرخ وحافظ للحديث، مـن اهل بَلَنسية بالاندلس ، ولد سنة(٥٤٤هـ) ، (ت ٦٣٣هـ)، ينظر : وفيات الاعيـان : ٣٨١/١ ، نفـح الطيـب : ٣٦٨/١ .

(٥) مسند الامام احمد بن حنبل : مج ١ : ٩١ .

(٦) ينظـر : ظـاهرة الاشـتقاق فـي العربيــة : ٨٤ .

وإنّ المتتبع لكتاب (الجمهرة) هذا يلاحظ ايراد ابن حزم العديد من أسماء الأعلام وقد اشتق بعضها من بعض استدلالا على صحة التسمية التي أطلقت على هذا المسمى، وها هو يقول: (البراجم) سموا بهذا الأسم لأنّ قائلهم حارثة بن عامر بن عمرو، حيث قال: (ايتها القبائل التي قلّ عددها تعالوا، فلنجتمع فنكون كبراجم اليد) (١)، وعمرو بن عبد الله بن جابر سمي (عمرو الهادي لأنه كان يوقد نارَه للأضياف لمن ضلّ) (٢)، وتنوخ (سُمّوا تنوخاً لأن التنوخ الاقامة، فتحالفوا على الاقامة بموضعهم بالشام) (٣).

اما اعتقاد ابن حزم برفض فكرة اشتقاق أسماء الجنس التي لاتقوم بمهمة الدلالة على صنف معين من اصناف الموجودات، فهو اعتقاد ليس بغريب على علماء العربية ذلك انهم اختلفوا فيه اختلافاً بيناً، فبعضهم كان يجدها صالحة كل الصلاحية، لأن تكون معيناً ثرّاً قادرا على مساعدتنا بكلمات وألفاظ جديدة، قد تكون عونا للناطقين بالعربية، من خلال التعبير عن المعاني المستحدثة بصورة دائمة، وهي في عُرْف اللغويين قديماً وحديثاً، المصدر الأساس لِما يُشتق منها من معاني متقاربة، حتى إنهم أجازوا ورودَ المشتق منها بصورة غير مُطّرِدة، وعلى غير قاعدة معينة أو مقياسٍ معلوم، ولذلك نلاحظ أنَّ الأستاذ عبد الله أمين يصرح بالقول: (إنّ كلّ اسم من أسماء الأعيان، هو أصلُ المشتقاتِ من مادتِه، اذ لايعقلُ أن الفعلَ: تأبّل، أي اتخذ إبلاً، قد وضع قبل ان يوضع لفظ ابل نفسه، ولا الفعل: تأرض، أي لصق بالأرض، وُضِعَ قبل لفظ الأرض، ولا الفعل: تبنى، أي اتخذ ابناً، وُضِعَ قبل لفظ ابن) (٤)

وكان بعض علماء اللغة يرى (أنّ هذه الأسماءَ جامدةٌ، ولا يجدون فيها المرونةَ الكافية التي تؤهلها لاشتقاقِ بعض الكلمات منها، بل يجعلونها هي ذاتها مشتقةً. ويقومون باحالتها الى أصل تَرجعُ اليه) (٥)، حيث ذهبوا الى أنّ اشتقاقَ اسمِ الجنس قليلٌ؛ لأنه أصلٌ مرتجلٌ، وقال البعض الآخر: فإن صحّ فيه الاشتقاق حُمِلَ عليه، قيل: ومنه غُرَاب من الاغتراب، وجَرَاد من الجَرْد (٦)

---

(١) جمهرة انساب العرب: ٢٢٢/ وينظر: ابن حزم لغوياً: ٥٠٤

(٢) المصدر نفسه: ٥٦٢.

(٣) المصدر نفسه: ١٨٢، ولمزيد من الامثلة، ينظر: جمهرة انساب العرب: ٩٥-٩٨.

(٤) ينظر: بحث في علم الاشتقاق، بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية الملكي: ٣٨١/١ -٣٩٣.

(٥) ابنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٤٧.

(٦) ينظر: المزهر: ٣٥٠/١.

والظاهر من ذلك، ان ابن حزم قد قدر له أن يقف موقف التحدي لكلتا هاتين الطائفتين، فقد رفض الموافقة بأن يذعن لأية واحدة منهما، ونصب من نفسه خصماً عنيدا للقائلين باشتقاق هذه من تلك،أو تلك من هذه .

ولم ينظر ابن حزم الى الذين نادوا بأن لكل اسم من هذه الأسماء الموضوعة تفسيرا ودلالة، ومن الممكن العثور على الأصول الأولى التي ثبتت واشتقت منها، وذلك من خلال الارتباط الكائن بين هذه الأصول الأساسية وبين ما اشتق وتولد منها، ولذلك فقد قالوا إن الجن مشتق من الاجتنان، وهو التستر والاختفاء، اذ هم بهذه الطبيعة الخلقية قد خرجوا عن ادراك القوة الباصرة .

وقد ذهب إلى هذا الرأي والأخذ به ابن فارس ،حيث لم يقف التزمت القوي بمذهب أهل التوقيف مانعاً من القول بالاشتقاق

ففي نظره أن: (الذي وقفنا على أن الاجتنان التستر، هو الذي وقفنا على أن الجن مشتق منه. وليس لنا اليوم أن نخترع، ولا أن نقول غير ما قالوه، ولا أن نقيس قياسا لم يقيسوه،لأن في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها،ونكتة الباب أن اللغة لاتؤخذ قياساً نقيسه الان نحن) (١) .

ومعنى ذلك أن ابن فارس يرى أنه لاقياس على كلام العرب في مدة الاشتقاق، لأن كلام العرب هو توقيف من الله سبحانه وتعالى.

وقد ذهب الدكتور رمضان عبد التواب، الى أن ما قاله ابن فارس فيه غلو واسراف، وذلك من خلال منع القياس على ماشتقه العرب، علاوة على مافيه من فساد الاعتقاد، باشتقاق المعنوي من الحسي؛ فان (الاجتنان) قد أخذ من (الجن)وليس العكس (٢).

ويبدو ان ابن حزم قد تنبه الى هذه المسألة أيضا، وذلك من خلال توسع البعض في هذا المجال، فاشتقوا أسماء أخرى، فقالوا:(الخيل مشتقة من الخيلاء في مشيها) (٣) .

وقد ذهب الى الأخذ بهذا القول، الراغب الأصفهاني، حيث كان(يتأول لفظ الخيل لما قيل انه لايركب أحد فرسا إلا وجد في نفسه نخوة) (٤) .

---

(١) الصاحبي : ٦٧ ، وينظر : المزهر :١/٣٤٦ .

(٢) ينظر : فصول في فقه العربية : ٢٩٣ .

(٣) الإحكام في اصول الأحكام : ٨/١١٢٣ .

(٤) مفردات غريب القرآن : ١٦٢ .

وبعضهم أنكر امكانية تصور أن الدلالة المعنوية مشتقة من الدلالة الحسية، (١)، أوكما يقول الدكتور مصطفى جواد: (من التجسيد الى التجريد)(٢) ، فكيف نستطيع أنْ نتصوَر أن الخيلاء مشتقٌ من الخيل والشجار مشتق من الشجر والسمو مشتق من السماء (٣) .

وذهب ابن حزم الى القول أنّ هناك من توجه بالقول الى أن البازي مشتق من الارتفاع، وأن القارورة سميت بذلك لاستقرار الشيء فيها، وسميت الخابية بذلك لانها تخبئ ما فيها. (٤)

والملاحظ أنّ ابن حزم لم يكتفِ بعرض هذه الأقوال فقط وانما انهال على أصحابها بالتجريح والتكذيب مفندا مزاعمَهم وآراءهم، محاولاً الكشفَ عن نقاط الضعف التي انطلقوا منها، وابراز قوة ذكائه من خلال القواعد والمقاييس الاشتقاقية التي يراها هو ويقوم بالأخذ بها:

(١)(يلزم من سمّى الجن جنا من أجل أجتنانهم انْ يُسمي دماغَه جنيا، ويسمي مصيره جنيا، لأن كل ذلك مجتن)(٥) .

(٢) (أن تسمي رأسَك خابيةً، لأن دماغَك مخبوء فيه ! وان تسمي الأرض خابية، لأنها تخبئ كلّ مافيها، وأنْ تسمي أنفك بازياً لارتفاعه، وأنْ تسمي السماء والسحاب بازياً لارتفاعهما، وكذلك القصر والجبل، وأنْ تسمي بطنك قارورة لأن مصيرَك مستقر به،وأنْ تسمي البئر قارورة،لأن الماء مستقر فيه، وأنّ تسمي المستكبرين من الناس خَيْلاً للخيلاء التي فيهم،ومن فعل هذا لَحِقَ بالمجانين المتخذين لاضحاك سخفاءِ الملوك في مجالس الطرب) (٦).

---

(١)ينظر : فصول في فقه العربية : ٢٩٣ ، فقه اللغة العربية :٤٨ .

(٢)المباحث اللغوية في العراق : ١٣ – ١٤ .

(٣) ينظر : فقه اللغة العربية : ٤٨ .

(٤)ينظر : الإحكام في أصول الأحكام : ٨/ ١١٢٣ .

(٥) المصدر نفسه : ٤/ ٤٠١ .

(٦)المصدر نفسه :٨/ ١١٢٣ .

وبعد ذلك يقوم ابن حزم بمحاولة عكسِ أصولِ هذه الكلمات التي اشتقوا منها هذا الكلام، فيقول لهم: (ماشتق الاجتنان الذي هو الاستتارإلاّ من الجن بما كانوا يفصلون؟ وأيضا يقال لهم: حتى لوصح قولُكم: ان الجن اشتقوا من الاجتنان فمن أي شيء اشتق الاجتنان؟ فان جروا الى غير غاية، وهذا يوجب أشياءَ موجوداتٍ لا أوائلَ لها، ولا نهاية لعددها، وهو محال ممتنع) (١) .

(٣) ويتصور ابن حزم عدم وجود لفظة واحدة تقف عندها عمليةُ الاشتقاق بين هذه الكلمات، فيقول: (إن اشتققتَ الخيلَ من الخيلاء أو القارورةَ من الاستقرار والخابية من الخبء: فمِن أيِّ شيء اشتققت الخيلاء والاستقرار والخبء، وهذا يقتصر الدور الذي لاينفك منه، وهو أن يكونَ لكل واحدٍ منهما اشتق من صاحبه، وهذا جنون، أو وجود أشياء لا أوائلَ لها ولانهاية) (٢) .

ومعنى كلام ابن حزم هذا هو مطالبةُ أصحابِ هذا الاشتقاق باظهارِهم لنا أصلَ اشقاقِ هذه الكلمات الثابتة ومن أين أُخِذَتْ وتَوَلَّدَتْ، فان قاموا بارجاعها إلىُ نفسِ الكلمات التي اخذت منها، فهو جنون ومحال -على حد قوله - .

(٤) ثم يقوم ابن حزم بعكس مجرى قضية الاشتقاق هذه، ويدعوهم - أي أصحاب هذا الاشتقاق - الى عملية استبدالِ هذه الأسماء بالمصادر، فيقون لهم: (ما هو رأيكم لو قيل لكم إِن الخيلاءَ مشتقةُ مِن الخيل، وكلا القولين هي دعوىُ فاسدة لادليلَ على صحتها،...لأنه لم توجدْ قَطّ الخيلاءُ إلاّ والخيل موجودة، ولاوجدت الخيل إلاّ والخيلاء موجودة ، ولم يوجد قط أحدُهما قبل الآخر .فَبَطَلَ قولُهم) (٣).

---

(١) الإحكام في اصول الأحكام : ٤ / ٣٩٩.

(٢) المصدر نفسه :١١٢٣/٨.

(٣) المصدر نفسه : ٨ /١١٢٤ .

(٥) ثم يردف ابن حزم قائلا ،اذا كان تناسبُ المعنى، هو الذي قد دعاهم الى ارجاع هذه الأسماء الى هذه الأصول، فيجب أنْ يُقدَّمَ الاهمُّ على المهم ، (فالأُسد أولى أنْ تُسمّى خيلا لأنها أكثرُ خيلاءَ من الخيل، ولكانت النسور أولى أن تسمى بزاة من الصقور، لأنها أشد ارتفاعا منها ، وإلاّ فما الذي جعل القوارير أولى بهذا الأسم من الزمان [١] والعتائد [٢] والادراج والقلال) [٣] .

وذهب ابن حزم الى الردِّ على المغالاة والتطرفِ الذي صدر من أبي القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي، حيث قال في نوادره (العشقة نبت يخضر ثم يصفرّ ثم يهيج ومنه سُمِّيَ العاشقُ عاشقا) [٤] ، فيقولُ ابن حزم مجيبا عن ذلك : (أوَ ما علم هذا الرجل أنَّ كلَّ نبتٍ في الأرض فهذه هي صفته، فهلا يسمى العاشق باقلا مشتقا من الذي يخضر ثم يصفر ثم يهيج، فإنْ ركب هذا الطريق اتسعَ له جدا ، وأخرجَه ذلك الى بعض خَرَّق من أدركناه من أهل الجنون، وأدخلهُ في باب المضاحك والمطايب والمجون) [٥] .

وقد تنبه ابن حزم أيضا الى بعض السقطات التي وقع فيها علماءُ اللغة -على حد قوله - فيقول: لم نسمع من لغوي قَطُّ قال إنّ الشفقَ مشتقٌ من الحمرة، وإنّما عند الشعراء يسمون الحُمرةَ والبياضَ - المختلطين في الحدود - بالشفق على سبيل التشبيه فقط وإنما قلنا: إنّ وقت العشاء الآخرة يدخل بمغيب الحمرة، لأن الحمرة تسمى شفقا والبياض يسمى شفقا، فمتى غاب ما يقعُ عليه اسم شفق من حمرة أو بياض فقد غاب الشفقُ ودخل وقتُها بيقين الخبر في ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم) [٦] .

---

(١) المراد هنا بالرمن : (رمانة الفرس الذي فيه علفه) ، ينظر : لسان العرب : ١٨٦/١٣ مادة (ر م ن)

(٢) العتائد ، جمع عتيدة . وهي كالصندوق الصغير الذي تترك فيه المرأة ما يعز عليها من متاعها . ينظر : لسان العرب : ٢٧٩/٣ مادة (ع ت د)

(٣) الإحكام في اصول الأحكام : ١١٢٤/٨ .

(٤) المصدر نفسه : ٤٠٠/٤ .

(٥) المصدر نفسه : ٤٠٠/٤ .

(٦) المصدر نفسه : ١٨٧/٣

وهذا الذي ذهب اليه ابنِ حزم واضحٍ وصحيح، فالبون شاسع بين هاتين الكلمتين، حتى أنه، لايوجد أيّ ارتباطٍ من النوع الصرفي أو اللغوي بينهما، ولذلك أنكره. فقال: (ماسمعناه ولا علمناه في علم اللغة) (١).

ويبدو لي أَنَّ هذه الاشاراتِ التي ذكرها ابْنُ حزم كافيةٌ لابطال القول بالاشتقاق الكبير بجملته، والدليل القاطعُ على انكاره لهذا الاشتقاقِ هو المزاعمُ التي قام بايرادها لبعض أئمةِ اللغة في تقلبات هذا الاشتقاق، وتَخطئتِهم، واستهجانِ كلامِهم.

---

(١)الإحكام في اصول الأحكام :١٨٧/٢ .

ب-الجمـــــع

الجمع في المصطلـــح النحـــوي واللغـــوي:. هـــو ضـــم شـــيء الـــى شـــيء آخـــر مثله أكثر منـــه. أوهـــو الأســـم الـــذي يـــدل علـــى أكـــثرُ مـــن اثنيـــن أو اثنتيـــن (١) وبذلـــك تكـــون التثنيـــةُ والجمـــعُ شـــريكين مـــن جهـــة الجمـــع والضـــم، وانمـــا يفترقـــان فـــي المقـــدار والكميـــة (٢) .

وقـــد جـــيء بـــالجمع مـــن اجـــل الايجـــازِ والاختصـــار. إذْ إنّ التعبـــيرَ بأســـم واحـــد أخـــفُ مـــن التعبـــير بأســـماءٍ متعـــددةربمـــا تعـــذرُ احصـــاءُ آحادِهـــا جميعِـــها وعطف أحدها علـــى الآخـــر لكَـثرةِ عددِهـــا، أو لكـــون المتكلـــم راغبـــاً فـــي ايصـــال المعنى الـــى الســـامع بوقـــت أســـرعَ ممـــا لـــو عَـــدَّ هـــذه الآحـــاد وعطفـــها. وصـــولا الى أبلـــغ تعبـــير (٣) .

وبذلك يكـــون الجمـــع علـــى حـــد تعريـــف بعضـــهم: (مالـــه واحـــد مـــن لفظـــه صالح لعطـــف مثليـــه او أمثالـــه عليه دون اختـــلاف المعنـــى) (٤) .

والأصـــل فـــي كـــلام العـــرب ان يـــأتيَ الجمـــعُ بلفـــظ الجمـــع ويـــدلّ عليـــــه، ولكنهم قد خرجوا علـــى هـــذا النمـــط وعـــن هـــذا الأصـــل، فوضعـــوا الجمـــع موضـــع التثنيـــه (٥) . واطلقوا علـــى الجمـــع: (اثنيـــن)؛ لأن الجمـــع فـــي اصطلاحـــــهم يطلـــق علـــى الاثنيـــن (٦) . كمـــا يطلـــق علـــى مـــازاد علـــى الاثنيـــن،وتؤيـــد هـــذا الكـــلامَ شواهدُ كثيرةٌ فصيحـــةٌ، فـــي مقدمتـــها القـــرآنُ الكريـــمُ، والنصـــوصُ الشـــعرية (٧) .

---

(١)ينظر : جمل الزجاجي : ٣٠٢ ،معجم مقايس اللغة : ٤٧٩/١ مادة (ج م ع) ، تاج العروس : ٢٠ /٤٥١ مادة (ج م ع) .

(٢)ينظر : اسرار العربية : ٤٨،شرح المفصل : ٣/٥ .

(٣)ينظر: بنية الصرف في كتاب سيبويه :٢٩٢، دلالة ابنية الجموع في القرآن الكريم :٥٠

(٤)شرح الكافية : ١٩/٨

(٥)ينظر : شرح جمل الزجاجي : ٤٤٤/٢ ، الأبنية الصرفية في مجمع البيان : ٨٧-٨٨

(٦)من هؤلاء الذين اطلقوا تسمية الجمع على المثنى : سيبويه ، الفراء ، المبرد ، الزجاجي ، ابو الطيب اللغوي ، ابن خالويه ، الرماني ، الزمخشري ، الطبرسي ، ينظر : على التوالي : الكتاب : ٤٨/٢ ، معاني القرآن : ٣٠٦/١ ، المقتضب : ١٥٦/٢ ، جمل الزجاجي :٣٠٢ ، المثنى : ٧٣ ، ليس في كلام العرب : ٣٣٩ ، توجيه اعراب ابيات ملغزة الاعراب : ١٣٥ ، المفصل :٢٨٧ ، مجمع البيان : ٢٩٣/٢-٣٩٤ .

(٧) ينظر : النحو الوافي : ١١٠/١ .

ولكنّ بعضَهم رفضَ ان يكونَ ماجاوز الواحدَ جمعاً، وربما الذي دعاهم الى هذا الرفض هـو: وجودُ علامةِ التثنيه ورسوخُها في العربية، بَحيث تتصرفُ في حالة الرفع وحالتي النصب والجـر، والسبب الآخر، هو وجودُ علاماتِ الجمع في السالم وصيغ الجمع المكسر ورسـوخُها فـي العربيـة أيضا، وهي في هذا الوجود لاتدل إلاّعلى اكثرَ من اثنين اي ثلاثة فصاعدا أو لأن الذي يمنـعُ هـذه الدلالةَ هو وجود علامة التثنية فيه.فالجمع في هذه الحالة هو ماجاوز المثنى (ثلاثةٌ فصاعدا).

أمّا ابن حزم فيبدو انه ذهب الى موافقة القائلين بان الجمع هو مادلّ على ثلاثة فصاعدا. لأنّهُيقول في حد الجمع، (هو ماعدا الافراد والتثنية) [1] . ومن ثَمّيقوم ابن حزم في كتابـه هذا، بمعالجة بعض مسائلِ الجمع على أساس أنّ الجمع هو ما جاوز الاثنين بدليل انه قد خَرّجَ بعض الآيات القرآنية التي اشتركت الضمائرُ فيها بين التثنية والجمع على أنها جمعٌ مطلـقٌ لا على أنها تثنيةٌ[2] .

وحاول جـاهدا تخطئـةَ الآراءِ التـي أُثـيرتْ علـى خـروج هـذا الجمـع الـى حـد التثنيـة - أي المـراد لفـظ المثنـى - مـن خـلال الآيـات التـي ذكرهـا ومنـها:.

قوله تعالى: (فَإِن كَـانَ لَـهُ إِخْـوَةٌ فَلِأُمِّـهِ السُّدُسُ) [3] .

قال ابـن حـزم(انـه لايجـوز اَنْ تحـطَ الأم عـن الثلـث الـى السـدس عندنـا الا بثلاثة أخوة لاباثنين، وقولنـا فـي ذلـك قـولُ ابـن عبـاس) [4] .

وعنـد تحليـل هـذه الآيـة الكريمـة نجـد أنّ العلمـاء انقسـموا فـي تفسـيرها على فريقيـن:.

الفريـق الأول: ذهـب الـى أَنّ الأخويـن لايحجبانِـها الـى السـدس ، وهـو رأي ابن عباس [5] . الذي أَخـذ بـه ابـن حـزم.

---

(١) الإحكـام فـي اصـول الأحكـام : ٣٩١/٣

(٢) ينظـر : المصـدر نفسـه : ٣٩٢/٣ _٣٩٣

(٣) النسـاء :١١

(٤) الإحكـام فـي اصـول الأحكـام : ٣٩٢/٣

(٥) ينظـر احكـام القـرآن : ٩٨/٢ ، التبيـان فـي تفسـير القـرآن : ١٣١/٤. الجـامع لأحكـام القـرآن : ٥ /٧٢ ، روح المعـاني : ٢٥٥/٤ .

والفريقِ الثـــاني: رأىْ أنـــهما يحجبانـــها الـــى الســـدس (١) .

قـــال الفريـــق الأول ان التعبـــير الـــذي ورد فـــي الآيـــة الكريمـــة جـــاء بلفـــظ الجمع فـــي الآخـــوة، وأكـــثرُ أهـــل اللغـــة قـــد أقـــروا بأَنّ أقـــلَ الجمـــع ثلاثـــة(٢) وبذلك يقـــول ابـــن عبـــاس: (فـــاذا قـــالَ قـــائلٌ: عنـــدي دراهـــمُ أو افـــراسٌ أو رجـــال، فذلك كلُـــه عبـــارة عـــن أكـــثرَ مـــن اثنيـــن) (٣) . وأَنَّ اســـتعمال الجمـــع فـــي الثلاثـــة حقيقةُ وفي غيره مجاز(٤)، فاذا كانوا اقـــلَّ مـــن ثلاثـــة فـــلا تـــأثيرَ لـــهم.

أمـــا الفريـــق الثـــاني ، فقـــالوا: إنّ لفـــظ الجمـــع قـــد يقـــع علـــى الاثنيـــن فـــي اللغة، وذلك لتجويـــز العـــرب التعبـــيرَ بـــه عـــن الاثنيـــن (٥) ، واعتمـــدوا علـــى قـــول الاثنين: (نحن فعلنا) (٦) . وانتما اثنان، فتكلـــم بـــه كمـــا تكلـــم بـــه وأنتـــم ثلاثـــة.

وقد قال الفراء عـــن ذلـــك: (وقـــد يتســـع فيـــه فـــيرادُ بـــه الاثنـــان) (٧) . وقـــد نـــص ابـــنُ منظـــور (ت ٧١١هــــ) علـــى ذلـــك، فقـــال: (الجمـــع هـــهنا موضـــوع موضـــعَ الاثنيـــن) (٨) .

ومثل هذا النمط مـــن الكـــلام قـــد شـــاع عنـــد العـــرب ، فكمـــا يقيمـــون الاثنيـــن مقام الجمع، أقـــاموا الواحـــد مقـــامَ الاثنيـن كقـــول أمـــرىء القيـــس (ت ٥٤٠م):.

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ
بِسَقْطِ اللِّوَىٰ بَيْنَ الدَّخُولِ وَحَوْمَلِ (٩)

حيـــث خـــاطب الشـــاعر هنـــا الواحـــدَ بصيغـــةِ الاثنيـــن ، لأن العـــــربَ مـــن عاداتهم اجراء خطـــــاب الاثنيـــن علـــى الواحـــد والجمـــع (١٠) .

---

(١) ينظر: احكام القرآن: ٩٨/٢، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١٦٤/١، الجواهر في تفسير القرآن الكريم: ٣/ ١٧، أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الاحكام من آيات القرآن التشريعية: ٢٦٩

(٢) ينظر : النحو الوافي: ١٢٥/١

(٣) الصاحبي: ١٨٩- ١٩٠

(٤) ينظر : المصدر نفسه: ١٨٩

(٥) ينظر : مجمع البيان: ٤/ ١٥- ١٦، روح المعاني: ٢٢٦/٤

(٦) : الكتاب: ٤٨/٢، و٦٢١/٣-٦٢٢، ليس في كلام العرب: ٣٣٩

(٧) معاني القرآن : ٣٧٩/١

(٨) اللسان: ٤٩/١٣ مادة (اخا)

(٩) ينظر : ديوان امرىء القيس: ٨ ، شرح المعلقات السبع، للزوزني: ١٠

(١٠) ينظر : شرح المعلقات السبع: ١٠

وقد وضعوا اللفظ المفـــرد موضـــع التثنيـــة، ومـــن قولـــه [١] :

حَمَامَةَ بَطْنِ الوادِيَيْنِ تَرَنَّمِي
سَقَاكِ مِنَ الغُرِ الغَوادِي مَطيرُهَا

ويريد بطنـــي الواديـــين[٢] .

وكذلك استخدم اللفظ المفـــرد واريـــد بـــه الجمـــع، كقـــول الشـــاعر [٣] .

لاتُنكِـرُوا القَتْـلَ وقـد سُـبينا
فـي حَلْقِكُـمْ عَظْـمٌ وقـد شَـجِينَا [٤]

وشاهده هنا استعمال(حلقكـــم) مفـــردا مـــرادا بـــه حلـــوق .

ولدى الموازنـــة بيـــن القـــول الأول الـــذي ذكـــره ابـــن عبـــاس وأخـــذ بـــه ابـــن حزم، والقول الثاني ، يتضح رجحـــانُ القـــولِ الثـــاني مـــن خـــلال الأدلـــة الآتيـــة:.

(١) ورود العديـــد مـــن النصـــوص التـــي عَـــبَّر مـــن خلالـــها القـــرآن الكريـــم عـــن الاثنيـــن بـــتجمع، مـــن ذلـــك قولـــه تعـــالى: (**وَهَـلْ أَتَـاكَ نَبَـؤُا الْخَصْـــمِ إِذْ تَسَـوَّرُوا الْمِحْـرَابَ**) [٥] . حيـــث قـــال: (تســـوروا بـــالجمع، وهمـــا اثنـــان، لأن الله بيَّنهما بعد ذلك بقولـــه: خصمـــان بغـــى بعضنـــا علـــى بعـــض) [٦] .

وقوله تعالى: (**كَـلاَّ فَاذْهَبَـا بِأياتِنَـا إِنَّـا مَعَكُـم مُّسْـتَمِعُونَ**) [٧] .

وكذلـــك ورود **عدد** مـــن الشـــواهد الشـــعرية التـــي تؤيـــد اســـتخدامَ الجمـــع بلفظ المثنـــى، منـــها قـــول أبـــي ذؤيـــب الـــهذلي فـــي رثـــاء أبنائـــه الخمســـة الذيـــن ماتوا بالطـــاعون:.

---

(١) صاحب هذا البيت هو الشمَّاخ بـــن ضِـــرار بـــن سِـــنان بـــن أُمامـــة احـــد بنـــي ســـعد بـــن ذُبيـــان ، ينظـــر :طبقـــات الشـــعراء : ٥٣، الشـــعر والشـــعراء : ٣١٥/١ ، وورد فـــي امـــالي القـــالي منسوبا لتوبة بـــن الحُمَيِّر صـــاحب ليلـــى الاخيليـــة . ينظـــر : الامـــالي : ٨٨/١ .

(٢) ينظـــر : ارتشـــاف الضـــرب : ٢٦٩/١، همـــع الـــهوامع :٥١/١ .

(٣) الشاعر هو المسيب بن زيد مناة الغنوي، ينظر: الكتاب: ٢٠٩/١، شرح المفصل: ٢٢/٦

(٤) ينظر: الكتاب: ٢٠٩/١، شرح جمل الزجاجي: ٢/ ٤٤٤، شرح المفصل: ٦/ ٢٢.

(٥) ص: ٢١، وتجدر الاشارة هنا الى أن هذه الآية قد استشهد بها ابن حزم بعدم خروجها الى لفظ المثنـــى وانما هي للجمع المطلق: ينظر: الإحكام في أصول الأحكام: ٣٩٣/٣

(٦) الكتاب: ٦٢٢/٣، وينظر: أحكام القرآن: ٩٩/٢، الحلقة المفقودة في تأريخ النحو العربي: ٣٥١- ٣٥٢

(٧) الشعراء: ١٥

العَينُ بَعْدَ هُمُـــو كـــأنَّ حِداقَــها

سُــمِلَتْ بِشَــوْكٍ؛ فَــهِي عُـــوْرٌ تَدْمَـــعُ [١] .

فأطلق الجمع فـــي قولـــه: حداقـــها – وهـــي جَمـــعُ: حدقـــة– وأراد الاثنيـــن [٢] .

(٢) يـــرى الزجــــاجي [٣](ت ٣٣٧هــ) والبــــاقلاني [٤](ت ٤٠٣هـــــ)، أن أقل الجمـــع اثنـــان، واســـتدلوا علـــى ذلـــك بقولـــه تعـــالى: (فَــإِن كُــنَّ نِسَــاءً فَــوقَ اثْنَتَيْــنِ) [٥] . لأن (النســـاء) لفظـــه لفـــظ الجمـــع، ولـــولا أن المـــراد بـــه اثنتان لمـــا قال: (فوق اثنتيــن)، فيكـــون معنـــى الآيـــة:

انـــه إذا كـــان هنـــاك جمـــع فـــوق هـــذا الجمـــع فلـــه مثـــل الجمـــع الأول وهـــو الاثنـــان [٦] .

ونحـــن نـــرى أن (نســـاء) اســـم جنـــس، لا مفـــرد لـــه ولذلـــك فـــــاذا أرادَ أنْ يُبيِّنَ الجمعَ من المفـــرد أو المثنـــى ذكـــرَ العـــدد.

ويقـــول الزجـــاجي: (فمِـــن الجمـــوع ماجـــاء علـــى حـــدِّ التثنيـــــة، وهـــــو أنْ تَضُمَّ أسماءً بعضها الـــــى بعـــضٍ متفقـــةَ الألفـــاظ)[٧] .

(٣) ان لفـــظ (الأ خـــوة) الذي وردت فـــي الايـــة الكريمـــة، انمـــا دلـّتْ علـــى معنـــى الجمعيـــة المطلقـــة مـــن غـــير تحديـــد للكميـــة المطلقـــة [٨] . وبمـــا أن الاثنيـــن قد عمتـــها الجمعيـــة المطلقـــة لأنـــه جمـــعٌ واحـــد مـــع الآخـــر، صـــار لفـــظُ الا خـــوة شاملا لـــــهما [٩] .

---

(١) ينظر: شرح أشعار الهذليين: ٩/١

(٢) ينظر: النحو الوافي: ١١٠/١

(٣) ينظر: الإيضاح في علل االنحو: ١٣٧

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٣٣/٢

(٥) ينظر: النساء: ١١

(٦)ينظر: الإيضاح في علل النحو: ١٣٧

(٧) المصدر نفسه : ١٢١

(٨) ينظر: الكشاف: ٥٠٨/١

(٩) ينظر: المصدر نفسه: ٥٠٨/١

(٤) لقد ورد عن الخليل وغيره، جعل الاثنين جمعا،فقد روى ،سيبويه،أنه سأل الخليل عن حسَن وجهي اثنين، فقال: (ما أَحسَنَ وجوهَهما!؟ فقال: لأن الاثنين جميع، وهذا بمنزلة قول الاثنين) [١]

ولقد أنشد الأخفش (ت ٢١٥هـ) شعرا عبَّر فيه عن الاثنين بالجمع فقال:

لمّا أتتنا المرأتان بالخَبَر

فقلن إنَّ الأمرَ فينا قَد شُهِر [٢]

فقد قال عن المرأتين (قلن) بالجمع، وفي ذلك دلالة على أن العرب قد تُطلق الجمعَ على الاثنين . والى مثل هذا الرأي وسابقه ذهب الزجاجي قائلا: (والتثنية اول الجمع) [٣].

(٥) أصل معنى الجمع في اللغة الضم، وقد يتحقق هذا المعنى في الاثنين كما يتحقق في الأكثر منه ، لأنه ضمُّ شيء الى الشيء [٤] .

ومن خلال هذه الأدلة يتضحُ لنا أَنَّ لفظَ الجمعِ قد يقعُ على الاثنين في اللغة، وقد عبر بالجمع في الآية القرآنية السابقة الذكر ولكن المراد به التثنية.

وبهذا يكون الدليل الأول الذي تكلّفَهُ ابن حزم في بطلان اتيان الجمع بمعنى المثنى مرفوضاً.

وبعد ذلك جاء ابن حزم بدليل آخر في انكار استعمال العرب الجمع مرادا به التثنية في اللغة، وهذا الدليل هو قوله تعالى: (إِن تَتُوبَا إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) [٥].

---

(١) الكتاب: ٤٨/٢ ، ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٧٣/٥

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٧٣/٥

(٣) الإيضاح في علل النحو: ١٢٤، ١٣٧

(٤) ينظر: مفردات غريب القرآن: ٩٥ مادة (ج م ع)

(٥) التحريم: ٤

حيث قال: هذا بابٌ محفوظٌ في الجوارح، وكانت حجج الذين وافقوا بورود مثل هذا الجمع في اللغة هو البيت الشعري:

وَمَهْمَهَيْنِ(١) قَذَفَيْنِ مَرْتَيْنْ   ظَهْرَاهما مثلُ ظُهورِ التُّرْسَيْنْ (٢)

حيث قال، وهذا بـــاب لايقــاس عليـــه (٣).

وعنــد النظــر فـــي هــذا الشــاهد الــذي أورده ابــن حــزم فــي عــدم ورود لفـــظ الجمع بلفـــظ المثنـــى فاننـــا لانوافقُـــه الـــرأيَ فـــي ذلـــك، لأن أغلـــبَ العـــرب قـــد اتفقـــت على خروج مثل هـــذا الجمـــع فـــي اللغـــة مـــن خـــلال وروده فـــي الآيـــات البينـــات مـــن الذكر الحكيم، والأبيـــات الشـــعرية الكثـــيرة الـــوارد ذكرهـــا ســـلفا.

وقد عبر بالجمع فـــي هـــذه الآيـــة التـــي ذكرهـــا ابـــن حـــزم والمـــراد بـــه التثنيـــة، من (حيث إنَّ التثنيةَ جمـــعٌ فـــي المعنـــى، ولأنـــه ممـــالايلبـــس ولايشـــكل لأنـــه قـــد علـــم أنَّ الواحـــدَ لايكـــون لـــه إلاّ راسٌ واحـــدٌ أو قلـــبٌ واحـــدٌ، فـــأرادوا الفَصْـــلَ بيـــن هذيـــــن النوعيـــن مـــن خـــلال التثنيـــة بقولـــهم، نحـــن فعلنـــا، وإنْ كانـــا فـــي اثنيـــن فـــي التعبـــير عنهما بلفـــظ الجمـــع) (٤).

وقد قيل في جمع القلوب في هـــذا القـــول الكريـــم عـــدة وجـــوه:

(١) أنَّ التثنيةَ هـــي جمـــعٌ فـــي المعنـــى فوضـــع موضـــع التثنيـــة كمـــا قـــال الله ســـبحانه وتعـــالى: (وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِين) (٥). وانمـــا هـــما داود وســـليمان (٦).

(٢) ان الأصل فـــي هـــذه الايـــة التثنيـــة، فقـــال (صَغَتْ قُلُوبُكُمَا)، وهمـــا قلبـــان (٧)، وهـــذا شـــائع فـــي العربيـــة بشـــكل كبـــير، وفـــي القـــرآن الكريـــم كذلـــك، وكمـــا ذكرنا ســـابقا فـــي قولـــه تعـــالى: (وَهَلْ اتَاكَ نَبَؤُا الخَصْمِ إذ تَسَوَّرُوا المحْرَابَ) (٨)، ثم قــــال: (خَصْمَـــانِ بَغَـى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ)،

---

(١) في الأصل مهمين قذفين، ينظر: الاحكام في أصول الاحكام: ٣/ ٣٩٢، والصحيح: مهمهين قذفين ، ينظـــر: خزانة الأدب: ٣/٣٧٤-٣٧٥ ، والمهمه: القفر، مهمه قذف: بعيد، والمرت: المفازة لاتنبت. ومعنى الشطر الاخير: (حرقتهما بالسير واكتفيت في الدلالة فيهما بان نعتا نمرة واحدة) ، ينظـــر : توجيـــه اعـــراب أبيـــات ملغـــزة الأعراب:١٣٥.

(٢) قيل أن هذا الرجز لخطام المجاشعي، وقيل أيضا هو لهيمان بن قحافة. ينظـــر: الكتـــاب: ٣/٦٢٢، ، شواهد العيني في حاشية الصبان على شرح الأشموني: ٣/٧٤، الخزانة: ٣/٣٧٥

(٣) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام: ٣/ ٣٩٠

(٤) شرح المفصل: ٥/١٥٥

(٥) الأنبياء: ٧٨

(٦) ينظر: مجمع البيان: ١٠/٣١٢

(٧) المثنى، لأبي الطيب اللغوي:٧٣

(٨) ص: ٢١ـ٢٢

فأطلق لفظ الجمع على الاثنين [١] . وهو كثير الاستعمال في لغة العرب [٢] .

(٣) إنَّ أكثر ما يقع مثل هذا الورود في الانسان اثنان اثنان نحو اليدين والرجلين والعينين واذا جمع اثنان الى اثنين صار جمعا فيقال أيديهما وأعينهما[٣] .

وكان الفراء يقول: إنما خُصَّ هذا النوع بالجمع نظرا الى المعنى لأن كلّ مافي الجسد منه شيءٌ واحد فانه يقوم مقام شيئين فاذا ضم الى ذلك فقد صار في الحكم أربعةً والأربعةُ جمع وهذا من أصول الكوفيين الحسنة [٤] .

وقد صرح النحاة ، بأن كلَّ مثنى في المعنى مضافٍ الى متضمنه يجوز فيه الجمعُ والافراد والتثنيةُ والمختار الجمع [٥] ، من نحو قوله تعالى: (**فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**) [٦] .

والقول باختيار الجمع هنا، إمّا على التثنية فلأن المتضايفين كالشيء الواحد فكرهوا الجمع بين تثنيتهما وإمّا على الافراد، فلأن الاثنين جمعُ حقيقيٌ في المعنى [٧] .

وتجدر الأشارة الى أنَّ هناك مَن ذهب الى مشايعةِ ابن حزم والأخذِ بهذا الانكار في عدم اجازة اطلاق الجمع المراد به التثنية، وهو ابن عُصفور (ت ٦٦٩هـ)حيث قال: (وهذا الكلام فاسد، اذ لو كان كذلك لوجب أنْ ينزلَ العضو الواحد منزلةَ اثنين، فيقال: قطعت رأس الكبشين، وذلك غيرُ جائز، فدل على فساد المذهب) [٨] .

ثُمَّ يردفُ قائلا: (وأمّا وضعُ الجمع موضعَ التثنية فهو مقيسٌ ومسموع ، فالمقيس في كل شيئين من شيئين تثنيتُهما جمعٌ، قال الله تعالى: (**إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**)، والمسموع الذي يحفظ ولا يقاس عليه هو كل شيء من شيء واحد أو مستقلين بأنفسِهما مثل قولهم: رجلٌ عظيمُ المناكب، وليس له إلاّ منكبان) [٩] .

---

(١) ينظر: احكام القرآن: ٢/ ٩٩

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٣٣١/١٩

(٣) ينظر: ليس في كلام العرب: ٣٣٩-٣٤٠،الإيضاح، للفارسي: ١٣٦/٢ ، ارتشاف الضرب : ٢٦٩/١.

(٤) ينظر: معاني القرآن: ٣٠٦/١- ٣٠٧، شرح المفصل: ١٥٥/٥

(٥)ينظر: الخزانة: ٣٧٤/٣-٣٧٥

(٦) التحريم:٤، وينظر: حاشية الصبان على شرح الاشموني: ٧٤/٣

(٧) ينظر: مجمع البيان: ١٣٣/١٠، شرح التصريح على التوضيح: ١٢١/٢، النحو الوافي: ١٢١/١

(٨) شرح جمل الزجاجي: ٤٤٦/٢

(٩) المصدر نفسه: ٤٤٥/٢. وينظر: ارتشاف الضرب: ١/ ٢٦٩

ويبدو أَنَّ الزجاجيَّ ذهبَ الى انكار هذا الأمرِ بجُملته، وعدم الاعتراف بوروده في اللغة ، لكنه سَرعانَ ماعاود الموافقةَ على ورود مثل هذا الجمع بلفظ المثنى وأطلق القياسَ فيه [١] .

اما ابن حزم فكان مخالفاً لهذا الراي حيث ذكر انه من الألفاظ المسموعةِ من العرب، ولا يجوز القياسُ عليها.

ومن الممكن أَنْ يكونَ ابن حزم قد اعترفَ بوجود مثلِ هذه الألفاظ وكَثرتِها في العربية ولكنهُ وجدَ أَنَّ ذلك معارضٌ لفكرة القياسِ التي تشدَّد بها ودعا الى رفضِها مطلقاً ، حيث يدعو ابن حزم دائماً الى رفضِ القياسِ ونبذهِ وعدم الاعتراف به.

أما بالنسبة للبيت الشعري الذي استشهد به، وذكر انه لايخرج عن مسامع العرب فقط.

نقول: ان لفظ مرتين (تثنية) مَرْت بفتح الميم وسكون الراء . والشاهد فيه جمع الظهور بعدما ثنى حيث إنَّ التثنيةَ أصلٌ، والافرادَ جائزٌ أيضاً، والجمعُ راجحٌ [٢] .

فقد جمعَ الشاعرُ بين اللغتين فانه اتَى بتثنية المضافِ في ظهريهما ، وبجمعه في ظهور الترسين [٣] .

وقد زعم يونس (ت ١٨٢ هـ) أَنَّهم يقولون : ضربت رأسيهما. وزعم أنه سمع ذلك من رؤبة أيضا، وقد أجروا هذا الكلام على القياس، من مثل قول: (ظهراهما مثل ظهور الترسين) [٤] .

وقد ذهب ابو علي الفارسي الى مقربة جواز جمع مثل هذا النوع (ظهراهما مثل ظهور الترسين) من التثنية، فإنْ قال إِنَّك تقول - نحن فعلنا - إِذا كنتما اثنين كما نقول ذلك في الجماعة [٥] .

---

(١) ينظر: شرح جمل الزّجاجي: ٢/٤٤٥- ٤٤٦

(٢) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني: ٣/٧٤

(٣) ينظر: جمل الزجاجي: ٣٠٢ المفصل: ٢٨٧، خزانة الأدب: ٣/٣٧٤

(٤) الكتاب: ٣/٦٢٢، وينظر: شرح الكافية: ٢/١٧٦

(٥) ينظر: شرح التصريح على التوضيح: ٢/١٢٢

وعلل الفراء هذا الكلام بأنَّ أكثرَه يقعُ في الأعضاء، حيث قال إنَّ أكثرَ مواقع ذلك في الأعضاء وهي الأصل فيه وكثيرٌ من الأعضاء كاليدين والرجلين اذا ضم زوجٌ منها الى الآخر حصَلَ الجمعُ حقيقةً من حيث تصير اربعة ، فأطلق لفظَ الجمعِ على كل شيء من اثنين كالرأسين (١) .

وهذا هو الدليل الثاني الذي جاء به ابن حزم لدعم كلامِهِ في عدم مجيء لفظ الجمع بلفظ المثنى، ولكننا نلاحظ ان المعنى في هذه الآية الكريمة قد جاء بصيغة الجمع الوارد بلفظ التثنية في الأصل، كذلك الجمع الذي (مصل في الأبيات الشعرية) استشهد به ابن حزم وجعله في باب المسموعات التي لايقاسُ عليها، على الرغم من أن أغلبَ النحويين قد استشهدوا به وبغيره لدعم كلامِهم وتأييده.

ومن خلال هذا العرضِ نستطيعُ أنَّ نقولَ بمجيء لفظ الجمع دالاً التثنية في الأصل، لاسيَّما أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى قد ذكر ذلك في عددٍ من الآيات البينات ، وكذلك وروده على السنة العربِ من خلال الأبياتِ الشعرية التي قالوها، ولأنَّ المثنى هو جمع لُغوي في الحقيقةِ وهو ضم شيء الى شيء آخر فقد صرحت العربِ وقالت به.

وبذلك نخالفُ ابن حزم في انكارهِ ورود مثل هذا الجمع في اللغة، زاعمين أنَّ الأدلةَ التي جاء بها لتأييد كلامه كانت عليه لالَهُ، وجميع هذه الآيات التي استشهد بها، جاءت بهذه الصيغة التي ذكرناها سابقاً.

وإن اختيار مجيء الجمع دالاً على المثنى أكثرُ ما يكون في الجوارح لدى الانسان: في اليدين والرجلين والعينين، فلما جرى أكثرُه على هذا ذُهِبَ بالواحد منه اذ أضيف الى اثنين مذهبَ التثنية (٢) .

وقد اجاز الفراء ورود مثلِ هذا النوعِ فيما ليس من خلق الانسان، وذلك أن تقول للرجلين: (خليتما نساؤكما، وأنت تريد امرأتين، وخرقتما قُمُصُكما) (٣) ، على أن بعض النحويين لم يُجِزْ ذلك إلا في خلقِ الإنسان .

---

(١) ينظر: معاني القرآن: ٣٠٧/١

(٢) المصدر نفسه: ٣٠٧/١

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٠٧/١

الفصل الثاني

جهود ابن حزم النحوية

المبحث الأول

الضمير :ـ

الضمير؛ اسم جامد يدل: على متكلم، أو مخاطب، أو غائب[١] .

وهو فعيل بمعنى اسم المفعول من أضمرته إذا أخفيته وسترته فهو مضمر كالحكيم بمعنى المحكم[٢] . وهو بمعنى المضمر على حد قولهم عقدت العسل فهو عقيد أي معقود[٣] .

وذهب النحاة الى أن اطلاق هذه التسمية جاء عن طريق كثرة الاستتار، فاطلاقه على البارز توسع أو لعدم صراحته كالأسماء المظهرة[٤] .

والضمير مصطلح بصري[٥] . ويقابله مصطلح الكناية والمكني لدى

---

(١) ينظر: المرادي وكتابه توضيح مقاصد الألفية: ٢٢٣، النحو الوافي: ١/ ١٩٦

(٢) ينظر: شرح المفصل : ٣/ ٨٤، شرح شذور الذهب: ١٣٤، حاشية الصبان: ١٠٩/١، شرح التصريح على التوضيح: ١/ ٩٥، حاشية الخضري: ٥٣/١

(٣) ينظر: شرح التصريح على التوضيح: ٩٥/١

(٤) ينظر: معاني النحو: ١/ ٤٥

(٥) ينظر: الكتاب: ٢/٥، ٦، ٧٨، ٢٠٤/٣، الاصول في النحو: ٤٠/١، ١٨٨/٢، أبو عمروبن العلاء وجهوده في القراءة والنحو: ١٥١، المرادي وكتابه توضيح مقاصد الألفية: ٢٢٣

الكوفيين [١].

قال ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) : (ولا فرقَ بيّن المضمر والمكنّى عند الكوفيين فهما من قبيل الأسماء المترادفة فمعناها واحد، وإن إختلفا من جهة اللفظ، وأمّا البصريون فيقولون المضمرات نوعٌ من المكنيات فكل مضمر مكنى وليس كل مكنى مضمراً) [٢].

ونلاحظ أن هناك من كان يُسمّي هذه الضمائر بالكنايات، والبعض الآخر يقول، انها نوع من المكنيات [٣].

قال إبن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ): (وضمير الغائب كنايةٌ؛ إذ هو دالٌ على المعنىْ بوساطةِ المرجوع اليه غير صريح بظاهرهِ فيه) [٤]. وأول من أطلق هذه التسمية سيبويه [٥]. وعَبّرَ عنها الكنغراوي (ت ١٣٤٩ هـ) بالمكنيات [٦].

وقد شاع مصطلح الكناية بالضمير في كتب القرَاء ات فقد عقدوا له بابا أسْمَوه هاءَ الكناية [٧]، كما عقد إبن السراج (ت ٣١٦ هـ) بابا أسماه الكناياتِ وهي علامة المضمرين أي المتصلة والمنفصلة [٨].

---

(١) ينظر: شرح المفصل: ٨٤/٣، شرح شذور الذهب: ١٣٤، شرح التصريح على التوضيح : ٩٥/١، همع الهوامع: ٥٧/١، الاصول، دراسة أبيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: ٤٠، المدارس النحوية،(شوقي ضيف: ١٦٦ ، المدارس النحوية اسطورة وواقع: ١٠٧، مدرسة الكوفة: ٣٥٩، نحو القراء الكوفيين: ٣٥١

(٢) شرح المفصل: ٨٤/٣ ، وينظر: معاني القرآن: ٨٥/٢، ٢١٠

(٣) ينظر: شرح المفصل: ٨٣/٣، شرح الكافية: ٩٣/٢، البحث النحوي عند الاصوليين: ٧٦

(٤) شرح الكافية: ٩٣/٢

(٥) ينظر: نشأة النحو: ٨١، نحو القراء الكوفيين: ٣٤٢

(٦) ينظر: الموفي في النحو الكوفي: ٩٢

(٧) ينظر: النشر في القراءات العشر: ٣٠٤/١

(٨) ينظر: الاصول في النحو: ١١٨/٢

ومن المسائل التي يجب الاهتمام بها عودة الضمير، فمهمته جاءت من اجل توضيح المعنى، ويبدو أن ابن حزم قد أولاها عناية فائقة، فقد جعل أحد فصول كتابه هذا (الكناية بالضمير)[١]، وقام بتحليل العديد من النصوص التشريعية، وبين المعنى الدقيق الذي يهدف اليه النص من خلال عودة الضمير.

أما بشان هذه التسمية التي أطلقها ابن حزم، فقد ارتضى لنفسه المزج بين مصطلحي البصريين والكوفيين فأطلق عليها هذه التسمية.

وعندما ذكر ابن حزم هذا العنوان أراد التحدث عن مسألة (عود الضمير)، فقال: (والضمير راجع الى أقرب مذكور...، فلو قلنا: أتاني زيد وعمرو وخالدفقلته، انه لاخلاف بين أحد من أهل اللغة في أن الضمير راجع الى خالد، وانه لايجوز رده الى زيد ولا الى عمرو)[٢].

ونحن نتفق مع ابن حزم في عود الضمير الى اقرب مذكور، فالمثال الذي أورده يعود على خالد لأنه الأقرب الى الضمير، (ولكن مسألة العود هذه ليست في جميع الأحوال تكون على الأقرب، وإنما قد يرجع الى غير مذكور اذا كان في الكلام مايرشد اليه، وإن لم يكن مصرحاً به)[٣].

وفي مسألة عود الضمير هذه يوجد العديد من المسائل التي لم يصرح ابن حزم بها، وكأنه أراد عدم الاطالة في هذه الموضوعات، واقتصر على بعض الأمثلة القرآنية[٤].

ومن المسائل المهمة في عودة الضمير هذه:-

ان الاصل في الضمير أن يعود على الاسم المتقدم، وقد يعود على متأخر في اللفظ متقدم في الرتبة، قد يستغني عن المفسر في اللفظ بما يدل عليه حساً. قد يدل على المفسر للعلم به وان لم يتقدم له ذكر، قد يتقدم معنى

---

(١) الإحكام في اصول الأحكام: ٤١٢/٣

(٢) المصدر نفسه: ٤١٢/٣

(٣) أمالي ابن الحاجب: ١١٨/١، وينظر: الاتقان في علوم القرآن: ٣٣٧/٢

(٤) ينظر: الإحكام في اصول الأحكام: ٤٢٢/٣

المفسر ولا يتقدم لفظه صراحة ، قد يعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة وذلك كضمير الشأن والقصة ونعم وبئس والتنازع،أو أن يكون الضمير مجرورا برب مفسرا بتمييز، اذا تقدم شيئان أو أكثر مما يصلح للتفسير فالأصل أن يعود الضمير على الأقرب، اذاكان في الكلام مضافٌ ومضاف اليه فالأصل أنّ يعوَد الضميرُ على المضاف، ولكنه يعود على المضاف اليه مع وجود القرينة (١).

وبما ان الضمائرَ بشكل عام لاتخلو من الابهام والغموض، سواء اكانت لمتكلم أم للمخاطب، أم للغائب، فلابُدَّ لها من شيء يُزيل ابهامَها، ويقوم بعملية تفسير ذلك الغموض، فاما ضمير المتكلم والمخاطب فيفسرها وجودُ صاحبها وقتَ الكلام؛ فهو حاضرٌ يتكلم بنفسه، أو حاضر بكلمة غيره مباشرة، وأما ضمير الغائب فصاحبه غيرُ معروف؛ لأنه غيرُ حاضرَ ولامشاهَد؛ فلابد لهذا الضمير من شيءٍ يُفَسره،ويقوم بتوضيح المراد منه.

فالأصل في هذا الشيء المفسِّر الموضِّح أَن يكون -في غير ضمير الشأن- متقدما على الضمير، ومذكورا قبله (٢)، ليبين معناه أولا، ويكشف المقصودَ منه، ثم يجيء بعده الضميرُ مطابقا له (٣).

---

(١) لمزيد من التفصيل في هذا الموضوع ،ينظر : شرح الكافية:٢/٥ - ٦، ارتشاف الضرب من لسان العرب: ١/٤٨٢- ٤٨٣. البرهان في علوم القرآن: ٤/٣٠- ٣٩، حاشية الصبان: ١/١٠٩، المغني: ٢/٤٨٩- ٤٩٣. الاتقان في علوم القرآن: ٢/٣٣٤- ٣٣٧، معاني النحو: ١/٦٦- ٦٩. النحو الوافي: ١/ ٢٣٠- ٢٤١.

(٢) الغالب أن يكون المتقدم المذكورهو - في مكانه - أقرب شيء للضميريصلح مرجعا؛ ولذ يقولون ان الضمير يعود على اقرب مذكور، الا اذا كان قبله متضايفان والمضاف ليس كلمة (كل) ولا (جميع) فالأكثر رجوعه الى المضاف دون المضاف اليه،ينظر حاشية الصبان: ١/٧٨.

(٣) ينظر : النحو الوافي: ١/٢٣٢.

ومن هذه الأهمية وفائدةُ مرجعيةِ الضمير الى الأقربِ أو الأبعدِ جاء الكلام الذي خصّه ابنُ حزم؛ في هذا الباب، ومن الشواهد التي أستشهد بها:-

(١) قوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ)[١] .

فقال: (ان الضميرَ راجعٌ الى أقربِ مذكور، فالضمير في (دَخَلْتُمْ بِهِنَّ) راجع الى الأقرب وهو امهات ربائبنا)[٢] .

ونحن نوافق ابن حزم في هذه العودة، ذلك ان الضمير في (دخلتم بهن) يعود على- النساء- ولكن فُهِم من سياق الآية أنهُنَّ أمهات الربائب[٣] .

وذهب ايضا في قوله تعالى: (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[٤] .الى ان الضميرفي (فَاجْتَنِبُوهُ) راجع الى الرجس لأنه تعالى لو أراد الأربعة المذكورة في أول الآية لقال: فاجتنبوها[٥] .

وفي عودة الضمير في هذه الآية خلاف بين العلماء فمنهم من قال ان الضمير في (فَاجْتَنِبُوهُ) عائد على الرجس المخبر عن الأربعة ، فكان الأمر باجتنابه متناولا لها[٦] . وقال الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ): (- فان قلت - إلامَ يرجع الضمير في قوله (فاجتنبوه) - قلت - الى المضاف المحذوف كأنه قيل انما شان

---

(١) النساء : ٢٣

(٢) الإحكام في اصول الاحكام: ٤١٢/٣

(٣) ينظر: الجامع لاحكام القرآن: ١١٢/٥، البحر المحيط: م. ج ٣ :٢١٢. مواهب الرحمن: ٨ -١٠

(٤) المائدة: ٩٠

(٥) ينظر: الإحكام في اصول الاحكام: ٩٦٢/٦

(٦) ينظر: البحر المحيط : ١٤/٤، حاشية الكشاف (كتاب الانتصاف فيما تظمنه الكشاف من وجوه الاعتزال): ٦٤٢/١

الخمر والميسر أو تعاطيهما أو ما أشبه ذلك، ولذلك قال رِجْسٌ من عمل الشيطان)[١] .

وقد أجاب صاحب البحر المحيط عن ذلك قائلا: (ولاحاجةَ الى تقدير هذا المضاف، بل الحكم على هذه الأربعة أنفسها انها رجس ابلغ من تقدير ذلك المضاف لقوله تعالى إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ)[٢] .

وذهب آخرون الى أنّ الهاء في (فاجتنبوه) راجعةٌ الى عمل الشيطان، والتقدير هو (فاجتنبوا عملَ الشيطان)، وكل واحد من شرب الخمر وتعاطي القمار واتخاذ الانصاب والازلام من عمل الشيطان[٣] .

وذهبوا أيضا الى أنّه يجوز أن تكونَ (الهاء) عائدةً الى الرجس، والرجس واقع على الخمر وما ذكر بعدها، وقد قرنَ الله تعالى الخمر بعبادةِ الأوثانِ تغليظاً في تحريمها[٤] .

ونحن نرى أنّ الضميرَ في (فاجتنبوه) عائد على الرِّجس ذلك لوجود التخصيص مع التخصيص، وأيضا لوجود (مِنْ) التبعيضية، التي تقوم باعطاء مفتاح القرينة، ذلك ان الخمر والميسرَ والأنصابَ والازلام، هي بعضٌ من عمل الشيطان،وليست عملَ الشيطان كلّه.هذا من جهة.

والجهة الأخرى، هي أن الرجس مخصصٌ بالعمل، والعمل مخصص بالشيطان، ولأن الرجس مطلقٌ، وقد قيد بالعمل، والعمل مطلق أيضا، وقد قيّد بالشيطان، وليست هذه الأربعة من عمل الشيطان، فرجع الضمير الى الرجس.

وذهب ابن حزم أيضا الى أن الضمير في قوله تعالى: (قُل لَّا أُجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيتَةً أَو دَمًا مَسفُوحًا أَو لَحمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجسٌ[٥]) . (فانه) عائد على الخنزير لا على اللحم[٦] .

---

(١) الكشاف: ٦٤٢/١

(٢) التوبة: ٢٨ ، وينظر التعليق على ذلك في : البحر المحيط : ١٤/٤

(٣) و (٤) ينظر: مجمع البيان: م. ج ٢: ٢٣٩/٧، روح المعاني: ١٤/٧

(٥) الأنعام: ١٤٥

(٦) ينظر :الإحكام في اصول الأحكام :٩٦٢/٦

على أننا نخالفُ الرأى الذي ذهب اليه ابن حزم في عَودِ الضمير على (الخنزير)، ودليلُ ابن حزم في هذا الكلام، هو اعتبارُ الخنزير أقربُ مذكورٍ الى الآية.

أما مخالفتنا لابن حزم فتكمنُ في وجود المضاف والمضاف اليه في سياق الآية الكريمة، وبذلك وجب عودةُ الضمير على المضاف وهو (اللحم) وليس المضاف اليه (الخنزير)، من نحو: (جاء أخو خالد فأكرمته)، أي فأكرمت الأخ وكقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوهَا﴾[1]، فالضمير في هذه الآية عائد على المضاف[2].

وقد يعود الضمير على المضاف اليه لا على المضاف بشرطٍ وجودِ القرينة الدالة عليه، من نحو قوله تعالى: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾[3].

فالضمير في هذه الاية عائد على المضاف اليه وهو موسى، وكقوله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[4].

والذي يرجِّحُ كون الضمير في الآية التي استشهد بها ابن حزم عائداً على اللحم، ان اللحم هو المضاف، امَّا الخنزير فهو مضاف اليه، ومن جهة أخرى هو كون المضاف اليه قيداً في المضاف – غالبا – ولكن بشرط ألا يكون كلمة (كل) أو (جميع) مثل: زارني والدُ الصديق فاكرمته، اي أكرمت الوالد، إلا ان وجد دليل يدل على ان المقصود بالضمير هو المضاف اليه لا المضاف،فيجب الأخذُ بالدليل؛ مثل:عرفت مضمون الرسالة ثُمَّ طويتها؛ لأن تأنيثَ الضمير دليل على أنَّ مرجعَه هو المضاف اليه المؤنث، لا المضاف[5].

---

(١) ابراهيم: ٣٤

(٢) ينظر: حاشية الصبان: ١/ ٧٨، معاني النحو: ١/٦٩، النحو الوافي: ١/٢٣٦

(٣) المؤمن: ٣٧

(٤) النحل: ١١٤. وينظر: البرهان في علوم القرآن: ٤/٣٩، الاتقان في علوم القرآن: ٢/٣٣٧

(٥) ينظر: النحو الوافي: ١/٢٣٦

والملاحظ ان هذه المسألة، وكما يقول الأستاذ سعيد الأفغاني قد انتشرت من كتب الفقه الى كتب النحو[١] .
فقد انتقد ابو حيان (ت ٧٤٥ هـ) مذهبَ ابن حزم هذا فقال: (مسألة الضمير اذا سبقه مضافٌ ومضافٌ اليه وأمكن عودة كل منهما على انفراده، كقولك: مررتُ بغُلامِ زَيدٍ فأكرمْتُهُ، فانه يعود على المضاف دون المضاف اليه، لأن المضاف هو المحدَّثُ عنه والمضاف اليه وقع ذكره بطريق التبع، وهو تعريف المضاف أو تخصيصه)[٢] . كذا ذكره ابو حيان في تفسيره حيث أبطلَ به استدلالَ ابن حزم ومن نحا نحوه، على نجاسة الخنزير بقوله تعالى: (أو لَحْمَ خِنزيرٍ فإنَّهُ رِجْسٌ)، حيث زعموا أنَّ الضميرَ في (فانه) يعود على الخنزير وعللوه بأنه أقربُ مذكور.
والذي يؤكد صحةَ قول صاحب البحر المحيط، ما قاله الدماميني في هذا المجال قائلا: (ينبغي ان يكون المرادُ بالأقرب غيرَ المضاف اليه، أما اذا كان الأقربُ مضافا اليه، فلا يكونُ الضميرُ له الا بدليل)[٣] .
ولقد أشار السيوطي الى مسألة عودة الضميرِ هذه، لكنه وقف منها موقفاً محايدا في هذه الآية الكريمة بالذات، حيث قال: (وأختلف في: (أو لحم خنزير فانه رجس)، فمنهم من أعاده- أي الضمير- على المضاف، ومنهم من أعاده الى المضاف اليه)[٤] .
والسيوطي في هذا الموقف المتردد الذي ذكره، يكون قد ناقضَ كلامَه السابقَ حيث قال:
(الأصل في عودة الضمير على أقرب مذكور،...، إلاّ أنْ يكون مضافاً ومضافاً اليه في سياقِ الكلام، فالاصل في ذلك عودتُه للمضاف

(١)ينظر: نظرات في اللغة عند ابن حزم : ٣٢- ٣٣
(٢) البحر المحيط:٤/٢٤١، وينظر: ارتشاف الضرب : ١/٤٨١
(٣) حاشية الصبان: ١/١٤٦
(٤) الإتقان في علوم القرآن: ٢/٣٣٧

لأنه هو المحَدَّثُ عنه [١]، من نحو: (**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لاتُحْصُوهَا**) [٢].

وقد يعود على المضاف اليه، نحو: (**فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا**) [٣]. اي عودته على المضاف اليه وذلك لوجود القرينة الدالة على ذلك الرجوع [٤].

وأَخيراً فَنحنُ نرى أَنّ الضمير في هذه الآية يعود على المضاف وهو (اللحم)، لاعلى المضاف اليه (الخنزير)، والسبب في ذلك هو كون المضاف اليه- الخنزير- قيداً تابعاً الى المضاف اللحم- غالباً-، ولعدم وجود القرينة الدالة على عودةِ الضمير على الخنزير، وجب عودةُ الضمير على اللحم في هذه الآية.

---

(١) ينظر: الاتقان في علوم القرآن : ٢/٣٣٧

(٢) ابراهيم: ٣٤

(٣) المؤمن : ٣٧

(٤) ينظر: الاتقان في علوم القرآن: ٢/٣٣٧

المبحث الثاني"
حُروفُ المعاني

أ- حروفُ الجرّ:-

وتُسمّى أيضاً حروفَ الاضافة، لأنها تضيف معانيَ الأفعال قبلها الى الأسماء بعدها، وقد سماها الكوفيون أيضا حروفَ الصفات، لأنها تقوم باحداث صفة في الاسم كالظرفية[١] والبعضية والاستعلاءِ ونحوِها من الصفات الأُخَر.

وقالوا أيضاً سُميت بحروف الجر، لأنها تجر ما بعدها من الأسماءِ أي تقوم بخفضها[٢]. والاظهر أنها سميت بذلك لأنّ الاسماء تأتي بعدها مجرورةً كما سُمّيت حروفُ النصب والجزم بذلك لأنّ الأفعال تأتي بعدها منصوبةً أو مجزومةً[٣].

(ومعنى الجر. هو القيام بجر الفك الأسفل الى أسفلٍ إذ من المعلوم أنّ تسمية الحركات الضمة والفتحة والكسرة، وتسمية الحالات الإعرابية من رفعٍ ونصبٍ وجرٍ إنما هو قائمٌ على أوصافِ حركات الفم)[٤]، فالجرُ من عبارات البصريين، ويقابله عند الكوفيين مصطلحُ الخفض[٥]، وهم وإن استعملوا هذا المصطلح وشاعَ عنهم، إلاّ انهم ليسوا الواضعين الأساسيين له، فالخليل هو

---

(١) ينظر: شرح المفصل: ٧/٨، شرح الكافية: ٣٥٤/٢، شرح التصريح على التوضيح: ٢/٢

(٢) ينظر: الاصول في النحو: ٤٩٧/٢، شرح الكافية: ٣٥٤/٢، شرح التصريح على التوضيح: ٢/٢. حاشية الصبان: ٢٠٣/٢

(٣) ينظر: شرح الكافية: ٣٥٤/٢، شرح التصريح على التوضيح: ٢/٢ ، حاشية الصبان: ٢٠٣/٢

(٤) شرح الكافية: ٢٤١/١، وينظر: التعليق على ذلك: معاني النحو: ٦/٣

(٥) ينظر: شرح المفصل: ١١٧/٢

أول من وضعه [١].

(وعلى الرغم من تسمية الكوفيين حروفَ الخفض بهذه التسميةِ، فانها تُعطي المعنى نفسَه- الجر- فان خَفْضَ الشيء انزاله الى اسفل، ومنه المنخفض وهو مايقابل المرتفع، فالخفض على هذا خفض الفك الأسفل) [٢].

أما ابن حزم، فلم يُطلق على هذه الحروف الجَر أو الخفض، وانما قال عنها: (معاني حروف تتكرر في النصوص) [٣]. ويبدو أنّ هذه التسمية التي أطلقها ابن حزم جاءت عن طريق تكرار هذه الحروف في النصوص التشريعية التي أوردها حتى يتسنى له معرفة الحكم التشريعي في هذا النص. لاسيّما انه ذلك الشخص الذي يحاولُ جاهداً البحثَ عن المعنى في هذه النصوص مبتعداً عن التأويلات والمسميات الكثيرة التي تُعقّدُ فَهْمَ هذه النصوص.

والملاحظ على ابن حزم، انه حينما تكلم على هذه الحروف، جعلها ممزوجةً مع حروف العطف، ولم يفصلْ بينهما، أي انه ارتضى لنفسه اطلاقَ حروفِ المعاني هذه على(حروف الجر وحروف العطف)، ولم يكتفِ بهذا بل جعل كلامَه مقتصرا على بعض الأنواع من دون الالمام بها جميعا. وعندما ذكر هذه المعاني جعل دلالةَ خروجِها من المعاني دون بعضِها الآخر. ولم يفصِّل القولَ في جميعها.

ويبدو ان السبب الذي جعل ابن حزم يُطلق هذه التسميةَ على هذه الحروف، هو اشتراكها في المعنى. فكلُّها حروف معان، ومن هذه الحروف التي تكلم عنها:-

أولا:- إلى:- وقال عنها: (معناها الانتهاء أوْ مَعَ) [٤].

---

(١) ينظر: معاني القرآن: ١/٢٠٨، مفاتيح العلوم: ٣٠، المدارس النحوية اسطورة وواقع:١٣٢، النسفي نحوياً: ١٣٨.

(٢) معاني النحو: ٣/٦

(٣) الإحكام في اصول الأحكام: ١/٤٦

(٤) الإحكام في اصول الاحكام: ١/٤٧

ونحن لانخالف ابن حزم في ذهاب هذا الحرف الى هذين المعنيين، على انها لاتقتصر على هذين المعنيين فقط، وانما دلت على عدد من المعاني الأخر، منها:-

أَنْ تكون لانتهاء الغاية، وهو أصلُ معانيها، للمعية، للتبيين، مرادفة للاّم، أَنْ تكون بمعنى فِي، الابتداء، موافقة عند، تكون زائدة [١]. وأضاف الدكتور هادي نهر معنىً آخر وهو التعليل [٢].

والذي يتأمل جميعَ هذه يجدها لاتكاد تخرج عن معنى الانتهاء، والأولى إبقاء الحرف علىُ أصلِ معناه ما أمكن [٣].

ثانيا:- مِنْ: وقال عنها: (معناها ابتداءً أَوْ تبعيضٌ) [٤].

ومِنْ: مِنَ الحروف العوامل، وعملها الجر، ولها معانٍ عدةٌ اضافةً إلى هذه المعاني التي ذكرها ابن حزم، منها:-

---

(١) ينظر: على التوالي: الكتاب: ٣١٠/٢، معاني القرآن: ٧٨/٢، الاصول في النحو: ٥٠/٢، المقتضب: ١٣٩/٤، حروف المعاني: ٦٥، معاني الحروف: ١١٥، المقرب: ٢١٨، الجنى الداني: ٣٧٣- ٣٧٦، المغني: ٧٥/١، الاتقان في علوم القرآن: ٢٢٧/٢

(٢) ينظر: التراكيب اللغوية في العربية: ٦٤

(٣) ينظر: معاني النحو: ١٨/٣

(٤) الاحكام في اصول الاحكام: ٤٧/١

ابتداء الغاية، التبعيض، تفيد بيان الجنس، التعليل، البدل، المجاوزة بمعنى عن، مرادفة للباء، مرادفة في، موافقة عند، مرادفة ربما، مرادفة على، التنصيص على العموم، توكيد العموم، وهي زائدة [(١)] .

ثالثا:- البَاْءَ، وقال عنها: (تفيدُ الاتصال، مثل قولك: مررتُ بزيد، تريد اتصال مرورك به) [(٢)]، وأنكر ابن حزم خروج (الباء) الى معنى التبعيض [(٣)] .

وقد أراد بمعنى (الاتصال) (الإلصاق)، ويُعَدُّ هذا من معاني (الباء) الرئيسة، وما ذكر لها مِنْ معان أُخر تحمل هذا المعنى، قال سيبويه: (وباء الجر انما هي للالزاق والاختلاط، وذلك قولك خرجت بزيد، ودخلت به، وضربته بالسوط، الزقتَ ضربكُ اياهُ بالسوط. فما اتسعَ من هذا الكلام فهذا أصله) [(٤)] . وقيل : (لايفارقُها هذا المعنى) [(٥)] .

ومن معانيها:- التعديةُ، وتُسمىُ باءَ النقل أيضا، الاستعانةُ ، السببيةُ، المصاحبةُ، الظرفيةُ، البدل، المقاربة، المجاوزة كعن، الاستعلاء التبعيض، وبذلك تخالف ما جاء به ابن حزم بعدم خروج هذا الحرف الى معاني التبعيض، القسم،

---

(١) ينظر: على التوالي: الكتاب: ٣٠٧/٢، المقتضب: ١٣٦/٤-١٣٧، اللمع في العربية ١٤٨-١٤٩، الاصول في النحو: ٥٠/٢، حروف المعاني: ٥٠، الصاحبي: ١٧٢، معاني الحروف: ٩٨، شرح المفصل: ١٠/٨-١٣، شرح الكافية: ٣٥٧/٢، الجنى الداني: ٣١٥-٣١٩، المغني: ٣٢٠/١-٣٢٢، شرح التصريح على التوضيح: ٤/٢-١٠، اعراب الجمل وأشباه الجمل: ٣١٧، التراكيب اللغوية في العربية: ٧٠، التطور النحوي للغة العربية: ١٦٠، معاني النحو: ٧٢/٣-٧٦

(٢) الاحكام في اصول الاحكام: ٤٧/١

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤٧/١

(٤) الكتاب: ٣٠٤/٢. وينظر: الأصول في النحو: ٥٠٠/٢، المقتضب: ٣٩/١، ١٢٤/٤، اللمع في العربية: ١٥٠، المقرب: ٢٢٣-٢٢٤

(٥) المغني: ١٠١/١. وينظر: معاني النحو: ١٩/٣

الغاية، التوكيد[1].

رابعا:- واو القسم: قال ابن حزم عنها: (وهذه الواو ليست كواو العطف لأنها قد يُبتدأ بها أول الكلام)[2].

والواو على قسمين، عاملٌ وغير عامل، فالعامل قسمان، جارٌ وناصب. فالجار: واو القسم[3]، وواو (رُبَّ)[4]. والناصب: واو (مع) ينصب المفعول معه عند قوم[5]، والواو التي ينتصب المضارعُ بعدها هي الناصبة له عند الكوفيين[6].

وواو القسم هذه، حرفُ جرٍ يدخلُ على الأسماء الظاهرة[7]،

---

(١) ينظر: علي النواني: الاصول في النحو: ٢/٥٠٠- ٥٠٣ . المقتضب: ١/٣٩، معاني الحروف:٣٦،و ٣٧- ٣٨، سرصناعة الاعراب: ١/١٣٩. المقتصد: ٢/٨٢٦، الكشاف: ١/٤٠٣، شرح المفصل: ٢/١٨- ٢٢، المقرب:٢٢٣- ٢٢٤، شرح ابن عقيل: ٢/١٨، شرح الكافية: ٢/٣٦٣، الجنى الداني: ١٠٢- ١٠٤، المغني: ١/١٠٢- ١٠٦،، شرح التصريح على التوضيح: ٢/١٣، المشكاة الفتحية: ٢٧٢. إعراب الجمل وأشباه الجمل: ٣١٧، التراكيب اللغوية في العربية: ٦٥- ٦٦، التطور النحوي للغة العربية: ١٦٠، دراسة في حروف المعاني الزائدة: ٣١، معاني النحو: ٣/٢٠- ٢١

(٢) الإحكام في أصول الأحكام: ١/٤٧

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٢/٣٠٣

(٤) ينظر: الجنى الداني: ١٨٥

(٥) ينظر: الاتقان في علوم القرآن: ٢/٣٠٣

(٦) ينظر: الجنى الداني: ١٨٥

(٧) ينظر: شرح المفصل: ٨/٣٢، معاني النحو: ٣/٨٥، ظاهرة الشذوذ في النحو العربي: ٢٦٤- ٢٦٥، التراكيب اللغوية في العربية: ٢٤٣

معرفة كان اونكرة، ولا يذكر معها فعلُ القسم (١) ،فلا يقال: أقسم فالله، لما قيل انها عوضٌ عنها، ولاتدخل على قسم السؤال، فلا تقول: واللهِ أخبرني. بصيغة الأمر،وشمل الظاهر الجلالة وغيرها، من نحو: واللهِ إنَّ المعصيةَ علامةُ الضَّيْرِ، والطاعة علامة الخير (٢).

وهذه الواو تكون فَرْعاً من الباء، لأن الباء فُضِّلَتْ عليها بأربعة أوجه (٣). وذهبَ كثيرٌ من النحويين إلى أنَّ هذه الواو بدلٌ من الباء، لانها من الشفة مُخْرَجاً ومعنى (٤)، والباء للإلصاق، والواو للجمع، واستدلوا على ذلك بأن المضمر لايدخل الواو عليه، لأن الاضمار يرد الأشياء الى اصولها.

وقد يلي واو القسم واو ثانية، فهذه الثانية ، تكون للعطف، من نحو: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى) (٥).

ويبدو ان ابن حزم أراد وبشكل مختصر أنْ يُفَرِّقَ بين واو القسم التي يبدأ بها الكلام وبين واو العطف، وعدم التفصيل بهذه التشعبات الكثيرة.

(ب) - (حروف العطف)

ولم يُشِرِ ابن حزم الى جميع هذه الحروف وانما اقتصر على بعضها.

---

(١) الا ان ابن كيسان جوز دخول فعل القسم على الواو، ولم يمنعه من نحو ان تقول: أقسم والله لأفعلن كذا، ينظر: مغني اللبيب: ٢٠٥/١، شرح الأشموني: ٨٧/٤، ابو الحسن بن كيسان وآراؤه في النحو واللغة: ١٧٢، التراكيب اللغوية في العربية: ٢٤٣

(٢) المشكاة الفتحية:٢٧٤ - ٢٧٥، وينظر: أساليب القسم في اللغة العربية: ٦٠-٦١

(٣) ينظر: سر صناعة الاعراب: ١٥٩/١. أسرار العربية: ٢٧٦

(٤) ينظر: الكتاب: ١٤٥/٢، الاصول في النحو: ٥١٥/٢، سر صناعة الاعراب: ١٥٩/١-١٦٠. الجني الداني:١٨٥

(٥) الليل: ١

ان العطف بالحروف من مصطلحات البصريين [١] ، وهو مصدر عَطفتُ الشيءَ على الشيء اذا أملتُه اليه)يقال عطف فلان على فلان، وعطفت زِمامَ الناقة الى كذا، وعطفَ الفارسُ عِنانَه أي:ثناه وأماله، وسمي هذا القبيل عطفا لأن الثاني مُثنيٌ إلى الأول ومحمولٌ عليه في اعرابه [٢] . وقد شاع لدى الكوفيين استعمالهُم مصطلح النسق. وقد جاء في شرح المفصل: (ويسمى عطفاً بحرف ويسمىَ نسقاً، فالعطف من عبارات البصريين، والنسق مِنّ عباراتِ الكوفيين) [٣] .

اما ابن حزم فقد أطلق على هذه الحروفِ (حروفَ معاني)، لأنها قد تكررت في النصوص التشريعيةِ التي أوردَها. وقد جعلها مع حروف الجر، لأنّ المعنى هو القاسمُ المشتركُ بين هذه الحروف.

ومن الحروف التي أشار اليها: الواو، الفاء، ثم، أو [٤] .

وحروف العطف بشكل عام تنقسم على قسمين:-

أحدهما: ما يشرِّكُ المعطوف مع المعطوف عليه مطلقا، أي: لفظا وحكما، وهي: (الواو، ثم، حتى، أم، أو) [٥] .

والثاني: ما يشترك من خلال اللفظ فقط، وهو المراد بقول الناظم [٦] : -

وأتبعت لفظاً فحسبُ: بل ، ولا لكن ،كـ (لَمْ يَبْدُ امروٌ لكن طلا).

---

(١) ينظر: الكتاب: ١٩٢/٢

(٢) ينظر: شرح المفصل: ٨٨/٨

(٣) المصدر نفسه:٨٨/٨، وينظر: مقدمة في النحو: ٨٥ – ٨٦ ، المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري: ١٦٩، النسفي نحوياً: ١٣٧

(٤) ينظر: الإحكام في اصول الأحكام:٤٧/١

(٥) ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح: ٩٣٧/٢، الإيضاح في شرح المفصل: ٢٠٤/١، شرح ابن عقيل: ١٧٦/٢، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٧١

(٦) شرح ابن عقيل: ١٧٧/٢

وهذه الثلاثة التي أشار اليها الناظم، تقوم باشراك الثاني مع الأول في الاعراب، لا في الحكم[1].

أما بالنسبة لابن حزم، فانه تكلم عن (١) واو العطف فقال: (فائدتها هي لاشراك الثاني مع الأول، إما في الحكم، وإما في الخبر عنه على حسب رتبة الكلام)[2].

وهذه الواو هي للجمعية المطلقة[3]، فتقوم بعطف متأخر في الحكم[4]، نحو (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ)[5]، ومتقدم نحو: (كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ)[6]. وتكون مصاحبةً أيضاً نحو: (فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ)[7].

فعندما نقول: (جاءَ زيدٌ وعمرو)، دل ذلك على اجتماعهما في نسبة المجيء اليهما، ويحتمل كونُ (عمرو) جاء بعد (زيد) أو جاءَ قبلهُ، أو جاء مصاحبا له، وانما يتبيَّنُ ذلك من خلال القرينة نحو:(جاءَ زيدٌ وعمرو بعدهُ، وجاءَ زيدٌ وعمرو قبلهُ، وجاءَ زيدٌ وعمرو معهُ)[8] فعطف بها: اللاحق، والسابق، والمصاحب.

---

(١) ينظر: الايضاح في شرح المفصل: ٢٠٤/١، شرح ابن عقيل: ١٧٧/٢

(٢) الإحكام في اصول الأحكام: ٤٦/١

(٣) ينظر: اللمع في العربية: ١٧٤، حروف المعاني: ٥٩، المقتصد في شرح الايضاح: ٩٣٧/٢ ، شرح المفصل: ٩٠/٨، الايضاح في شرح المفصل: ٢٠٤/١، همع الهوامع: ٤٢٨/٢،أبو الحسن ابن كيسان وآراؤه في النحو واللغة: ١٧٧، معاني النحو: ٢١٠/٣

(٤) ينظر: أوضح المسالك: ٣٩/٣

(٥) الحديد: ٢٦

(٦) الشورى: ٣

(٧) العنكبوت: ١٥

(٨) ينظر: شرح ابن عقيل: ١٧٧/٢

ومذهبُ اصحاب الكوفة أنَّ هذه الواو هي للترتيب[(١)] .

ونحن نرى أنَّ هذه الواو لاتدلُ على الترتيب إلاّ بقرينةٍ، لأنها ليست موضوعةً له، خلافاً لبعض الكوفيين، قال ابن هشام (ت ٧٦١ هـ): (ومن أوضح ما يرد عليهم قولُ العرب: اختصمَ زيدٌ وعمرو، مع امتناعهم من أن يعطفوا في ذلك بالفاء أو بِثُمَّ، لكونهما للترتيب. فلو كانت الواو للترتيب مثلهما لامتنعَ ذلك كما امتنع معها)[(٢)] .

وقال السيوطي: (ومما يؤيد عدمَ افادة هذه الواو للترتيب وضعاً أنَّ الصحابة (رضي الله تعالى عنهم)، وهم أهل اللسان قالوا للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، في امر السعي بين الصفا والمروة: بِمَ نبدأ، فقال: (ابدأوا بما بدأ الله تعالى به)[(٣)] . فلو فَهِمَ أهلُ اللسانِ منها الترتيبَ لَما سألوا)[(٤)] .

(٢) الفاء :- وهذه من الحروف التي ذكرها ابن حزم وقال: (تُعطي رتبة الثاني بعد الأول بلا مُهلة كقولك: جاءني[(٥)] زيد فعمرو، فزيد جاء قبل عمرو ولابدَّ، وأتى عمرو بأثره[(٦)] بلا مهلة) .

ويبدو ان ابن حزم قد أعطى هذا الحرفَ معنى (الترتيب فقط)، وعدمَ خروج هذا الحرف الى معان اخر، ولكننا نجدُ أنَّ هذا الحرفَ قد أفاد

---

(١) ينظر: شرح التصريح على التوضيح: ١٣٥/٢

(٢) قطر الندا وبل الصدى: ١٢٩، وينظر: معاني النحو: ٢١١/٣

(٣) ينظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: ٥٩٨/٣.

(٤) المشكاة الفتحية: ٢٨٦

(٥) في الأصل: واثره، والصحيح: ماأثبته . ينظر : الإحكام في اصول الاحكام: ٤٧/١

(٦) الإحكام في اصول الأحكام: ٤٧/١

معاني أُخَرَ اضافة الى معنى الترتيب، وحسب سياقِ الجُملة التي يوضع فيها، ومن هذه المعاني:-

أ- الترتيب[(١)] ،وهو نوعان: معنوي[(٢)] ، أو ذكري[(٣)] ، وهو عطفُ مفصلٍ على مجملٍ.

ب- التعقيب[(٤)] ، وهو في كل شيء بحسبه، وبذلك قد انفصل عن التراخي.

جـ - السببية[(٥)] ، وذلك غالب في العاطفة جملة أو صفة.

وأصل معنى الفاء هو التعقيب ثم يدخلها السببيةُ التي هي أخصُّ منه، وقد اشترطوا لعملها شرطين: كونُ معناها السببَ والجوابَ والترتيبَ والتعقيب، وسبقها بنفي أو شبهه أو طلب أو شبه طلب[(٦)] .

(٣) ثُمَّ:- وقد ذكرها ابن حزم مع حروف العطف، فقال: (توجب الثاني بعد الأول بمهلة)[(٧)] .

ويستدل من تعريف ابن حزم ان - ثُمَّ - تفيد التراخي فقط، وعدم خروجها الى معان أخر . لكننا نخالفه في هذا القول، لأنَّ معنى التراخي أحدُ

---

(١) ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح: ٩٤١/٢، الإيضاح في شرح المفصل: ٢٠٦/١. الإتقان في علوم القرآن: ٢٤٧/٢، التراكيب اللغوية في العربية: ٧٣

(٢) ينظر: شرح التصريح على التوضيح: ١٣٨/٢

(٣) الجنى الداني: ١٢٢

(٤) ينظر: شرح الكافية: ٤٠٤/٢، المغني: ١٦١/١، قطر الندا وبل الصدى: ٣٠٢ الاتقان في علوم القرآن: ٢٤٧/٢، التراكيب اللغوية في العربية: ٧٣

(٥) ينظر: تسهيل الفوائد: ١٧٥، المغني: ١٦٣/١، شرح التصريح على التوضيح: ١٣٨/٢، همع الهوامع:١٣١/٢، التراكيب اللغوية في العربية: ٧٣

(٦) ينظر: التراكيب اللغوية في العربية: ٧٣

(٧) الإحكام في أصول الأحكام: ٤٧/١

معاني – ثُمَّ – وهذا الحرف يخرج للدلالة على عدة معان أهمها:-

أ- التراخي، ومعناه المهلة [(١)] فاذا قلت (أقبل محمد ثم خالد)، كان المعنى انه أقبل محمد أولا وبعده بمهلةٍ اقبلَ خالدٌ.

وقال المبرد: (وثم مثل الفاء في التعقيب والترتيب، إلاّ انها أشدُّ تراخيا) [(٢)].

ب-الترتيب [(٣)]، (وثم حرف يفيد الترتيب كالفاء مع المهلة والتراخي لأنها أكثرُ حروفا منها) [(٤)].

وقد خالف بعضُهم هذا القول -في الترتيب والمهلة-، وزعموا انها لا تفيد الترتيب تمسكا بقوله تعالى: (**خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا**) [(٥)]. وقوله تعالى: (**وَبَدَا خَلْقَ الإنْسانِ مِنْ طينٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهين، ثُمَّ سَوّيه**) [(٦)].

وقد قال السيوطي معقبا علىْ الآية الكريمة إنَّ ثُمَّ هنا هي لترتيب الاخبار لا لترتيب الحكم [(٧)].

---

(١) ينظر: حروف المعاني: ١٠٥، معاني الحروف: ١٦، شرح المفصل: ٩٦/٨، شرح ابن عقيل: ١٧٨/٢ أوضح المسالك: ١٤٣/٣، شرح التصريح على التوضيح: ١٤٠/٢، همع الهوامع: ١٣٠/٢ الإتقان في علوم القرآن: ٢٢٣/٢

(٢) المقتضب: ١٠/١. وينظر: جمل الزجاجي: ٣١، شرح المفصل: ١٩٧/٢، تسهيل الفوائد: ١٧٥

(٣)ينظر: شرح التصريح على التوضيح: ١٤٠/٢

(٤) جواهر الأدب: ٢١٦

(٥) الزمر: ٦

(٦) السجدة: ٧-٩

(٧) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٢٢٣/٢

(٤) أَوْ: ذهب ابن حزم الى القول بأنَّ هذا الحرفَ يُفيد: (الشك والتخيير فقط، من مثل: قولك خذ هذا أو هذا، وفي الشك قولك: جاءني زيدٌ أو عمرو، فأنت لم تقطع بمجيء أحدهما بعينه، ولكنْ حققت أنَّ أحدهما أتاكَ ولم تُعيّنْه)[1] .

وهذا الحرف الذي اشار اليه، هو حرفُ عطفٍ، ومذهب الجمهور انه يُشرك في الإعراب لا في المعنى؛ لأنك اذا قلت: قامَ زيدٌ أو عمرو، فالفعل واقعٌ من أحدهما. وقيل عنها: (انها تُشرك في الإعراب والمعنى، لأن مابعدها مشارك لما قبلها في المعنى الذي جيء بها لاجله، ألا ترى أنَّ كلاً منهما مشكوكٌ في قيامه)[2] .

ونحن نخالف ابن حزم في عدم خروج هذا الحرف الى غير معنى (الشك والتخيير)، وذلك لان لهذا الحرف معانيَ عدة اهمها:-

الشك، الإبهام، التخيير، الإباحة، الإضراب كـ (بل)، التقسيم، أَنْ تكون بمعنى الواو، أَنْ تكون بمعنى (إلا) في الاستثناء، أَنْ تكون بمعنى (إلى)، تفيد التقريب، التبعيض[3] .

على أَنَّ ابن حزم لم يستقر على قوله الأول من عدم خروج هذا الحرف لغير معنى (الشك والتخيير)، فقد نقضَ هذا القول واعترف بخروج هذا الحرف الى معنى آخرَ وهو (الإباحة)، والغريبُ أنهُ أعطى دليلاً على ذلك،

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام: ٤٧/١

(٢) الجنى الداني: ٢٤٥

(٣) ينظر على التوالي: معاني القرآن: ٣٩٣/٢، اللمع في العربية: ١٧٥، الخصائص: ٤٦/٢، شرح ابن عقيل: ١٨٢/٢، تسهيل الفوائد: ١٧٦، شرح الكافية: ٢/ ٤٠٩-٤١٠، الجنى الداني: ٢٤٥-٢٤٦، المغني: ٦١/١-٦٧، أوضح المسالك: ٥٢/٣-٥٣ شرح التصريح على التوضيح: ١٤٤/٢-١٤٥، همع الهوامع: ٣٤/٢، الإتقان في علوم القرآن: ٢٠٨/٢-٢٠٩، التراكيب اللغوية في العربية: ٧٢، ظاهرة الشذوذ في النحو العربي: ٢٦٧، ٣٠٢

من نحو قولـــه: (مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ) (١) .

وفـــي الجملـةِ نسـتطيع القــول:إنَّ ابــن حــزم تحــدثَ عــن بعــض حـــروف الجــر، وبعــض حــروف العطــف. بجــامع انــها حــروف معــان، واقتصـــارُه علـــى المعاني التي ذكرهـــا بــها ليـس جــهلا بالمعـــاني الأُخَــر، ولكــن لَمّاكــان الرجــلُ فقيها فـــالذي يعنيـــهُ دقــةُ المعنــى المصـــاب مــن الحكــم المســتنبطِ والمعـــاني التـــي ذكرهـــا لـــهذه الحـــروف التـــي أوردهـــا هـــي المعـــاني الأكـــثرُ دوراً فـــي القـــرآن الكريم، زِدْ على ذلك أنَّ الرجل فـــي كتابـِـه هـــذا لـــم يكــن لُغويـــاً غايـــةُ همـــهِ أن يجــدَ معنـــى آخـــر لحـــرف فـــي لغـــة العـــرب، وإنمّـــا غايتـــهُ كـــانت فقهيـــــةً بالدرجـــةِ الأســـاس،

ثــم أَننـــا بعـــد هـــذا وذاك إذا علمنـــاَ انَّـــه ظاهريٌّ. يقـــوده مذهـــبُ الظاهريـــــة هـــذا بالتـــالي الـــى التعلـــق بظواهـــر الأشـــياء وعـــدم البحـــث عـــن المعـــاني الأُخَـــر التي تخرج اليـــها هـــذه الحـــروفُ.

---

(١) البقرة : ١٩٦، وينظر الإحكام في أصول الأحكام : ٤٧/١

(ج):- "الواو بين العطف ولاستئناف في آية (٧)آل عمران"

قوله تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا)[1] .

انقسمَ العلماءُ في تفسيرِ الواو في هذه الآية على فريقين:-

الفريق الأول:- ذهبَ إلى أنَّ الواو في(والراسخون، هي للاستئناف، وبذلك يكون الوقف في القراءة على قوله (إلاَّ اللهُ)[2] .

أما الفريق الثاني، فذهبوا الى مخالفة الفريق الأول، في انكار كون الواو هذه للاستئناف، بل قالوا: هي واو العطف[3] ، وهذه الواو هي لمُطلقِ الجمع، وبذلك يكون الوقف على قوله: وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ.

وطبيعة التفسير الذي ذهب اليه كلٌّ من الفريقين، هي التي تجعل من هذه الواوعاطفةً،وغيرً عاطفةفي الآية الكريمة،وبذلك يكون الوقفُ تاماً على تفسيرٍأوْاعرابٍ؛ ويكون غير تام على آخرٍ،من نحو(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ الاّ اللهُ) ، وقفَ تامَّ على أنَّ ما بعدهُ مستانفُ[4] .وهذا القول ذهب اليه نافع (ت١٦٩هـ)،والكسائي،ويعقوب (ت ٢٠٥هـ)، والفراء، وهو غير تام عند

---

(١) آل عمران: ٧

(٢) ينظر: القطع والائتناف: ٢١٣/١، مشكل اعراب القرآن: ١٤٩، مجمع البيان: ١٦/٣، البيان في غريب اعراب القرآن: ١٩٢/١، التبيان في اعراب القران: ١٢٤/١، البحر المحيط: ٣٨٤/٢

(٣) ينظر: المكتفي في الوقف والابتدا: ١٤٠، البيان في غريب اعراب القرآن: ١٩٢/١

(٤) ينظر: ايضاح الوقف والابتداء: ٥٦٥/١-٥٦٦، الكشاف: ٣١١/١

آخرين والتمام عندهم على (والراسخون في العلم)[١] . لان الراسخين نسق على اسم الله عزوجل[٢] .

وقد ذهب بعضهم الى أنَّ معرفة هذا الفن تحتاج الى علوم كثيرة[٣] ، ولا يقوم بالتمام في الوقف إلاّ نحويٌ عالمٌ بالقراءات- عالمٌ بالتفسير والقصص،وتخليص بعضها من بعض عالمٌ باللغة التي نَزَل بها القرآنُ[٤] .

وقد ساهَم ابنُ حزم كغيره من العلماء في تفسير هذه الآية، حيث صَرَّح بالقول: إنَّ الواو فيٍ هذه الآية هي للاَستئناف، وجُملة الراسخون هي مبتدأ، وخبره في (يقولون)، والواو لعطف جملة على جملة[٥] .

وانكر ابن حزم كون الواو لعطف المفردات، وانما هي لعطف جملة على جملة، أي أنَّ جملة (الراسخون في العلم)، معطوفة على ما قبلِها.

وقد رَدَّ ابن حزم على الذين ذهبوا الى كون الواو عاطفةً، حيث قال: (وقال قوم ان قوله تعالى (والراسخون في العلم) معطوفةً على الله عزوجل، نقول: هذا غلطٌ فاحشَ)[٦] .

ويبدو أنَّ ابن حزم في هذا الكلام قد انضم الى اصحاب الفريق الأول، باعتبار الواو للاستئناف، وحكمُها هو كون ما بعدها جملةً غيرُ متعلقة بما قبلها في المعنى ولا مشاركةً له في الاعراب[٧] .

---

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر: ١/ ٢٢٦-٢٢٧. نحو القراء الكوفيين: ٢٩٢-٢٩٣

(٢) ينظر: ايضاح الوقف والابتداء:١/٥٦٥-٥٦٦، المكتفي في الوقف والابتداء: ١٤٠

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١/٣٤٣، الاتقان في علوم القران: ١/٨٧

(٤) ينظر:القطع والائتناف: ١/٨٤

(٥) ينظر: الإحكام في اصول الأحكام: ٣/٤٩٢

(٦) المصدر نفسه: ٣/٤٩٢

(٧) ينظر: شرح المفصل: ٨/٩٠-٩١، الجنى الداني: ١٩٨، المغني: ٢/٣٥٩، واعراب الجمل واشباه الجمل: ٣٦-٣٧

وبما أنَّ الواو في هذه الآية هي للاستئناف، وما بعدها غيرُ مرتبط بحكم ما قبلَها، فيكون المتشابهُ لايعلم تاويلَه إلّا اللهُ، وبعد ذلك يُبتدأ بكلامٍ جديدٍ[1]. اي اعتبار جملة (والراسخون في العلم) جملة ابتدائية، وخبرها في (يقولون آمنا به)[2]. ولذلك جعل الفراء (الراسخون)، جملة رافعة بـ (يقولون)،وذلك جرياً على مذهب الكوفيين في ترافع المبتدأ والخبر[3].

أما اصحابُ الفريق الثاني، فذهبوا الى أنَّ الاصلَ الحقيقيَ في الواو هو كونُها عاطفةً تُفيد معنى الجمع والاشتراك، واستعمالها بغير هذا المعنى يكون ضربا من المجاز، كما نقل ذلك السيوطي عن ابن كيسان وابن مالك (ت ٦٧٢ هـ)، وحَمْلُ اللفظِ على الحقيقة اولى من أنْ يصرفه.

وذهب ابو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)، الى أنَّ الوقفَ على(الله والراسخون في العلم، هو احسنُ ما فيهِ)[4].

وذهب آخرون الى القول: لو كان الراسخون معطوفاً على الله للزم أنْ يكون يقولون خبراً لمبتدأ والتقدير هؤلاءِ أو هم، فيلزم الاضمارُ أو حال. والمتقدم الله والراسخون، فيكون حالاً من الراسخون فقط[5]. حيثُ ورَدَ ذلك في اللغة. كقول: يزيد الحميري[6].

---

(١) ينظر: اثر الدلالة النحوية واللغوية:١٥٢

(٢) المكتفي في الوقف والابتدا: ١٤١، التبيان في اعراب القرآن: ١٢٤/١، وينظر: نحو القراء الكوفيين: ٣٠٩

(٣) ينظر: معاني القرآن: ١٩١/١، البحر المحيط:٣٨٤/٢. نحو القراء الكوفيين:٣٠٩

(٤) اعراب القرآن، للنحاس: ٣٠٠/١

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٣٨٤/٢

(٦) هو ابو عثمان يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ بن ذي العشيرة الحميري، شاعر غزلي جيد، ومن شعراء الحماسة أيضا (ت ٦٩ هـ)، ينظر: وفيات الاعيان: ٣٤٢/٦-٣٥٤

الرِيحُ تَبْكِي شَجوُها   والبُرقُ يضحَكُ فِي الغَمَامةِ [(١)] .

اي البرق يبكي ايضا لامعا في غمامه [(٢)] ، (وهذا القول لـ – ابن عباس والربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير–) [(٣)] .

ويرى الباحث ان الكلام الصائب هو كون الوقف على قوله تعالى (الا الله)، وهو وقفٌ تامٌ عند الجمهور [(٤)] ، (والرَّاسِخُون فِي العِلْمِ) كلامٌ مستأنفٌ، ذلك لأنَّ الواو في هذه الآية الكريمة هي للاستئناف وليس واو العطف، فالعلم بتأويل ما يراهُ الناسُ متشابهًا في القرآن لله وحده، واما الراسخون في العلم فيسلمون وإنْ لم يعرفوا حقيقتَهُ، لانهم عرفوا اللهَ المعرفَةَ الحقّةَ، فيعبدونهُ طاعةً وخشيةً [(٥)] ، (إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ) [(٦)] .

---

(١) ينظر: الاغاني: ١١٢/١٧، تاريخ الادب العربي: ٤٢٩/١

(٢) ينظر: مجمع البيان: ١٦/٣، اثر الدلالة النحوية واللغوية: ١٥٤

(٣) مجمع البيان: ١٦/٣

(٤) ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢٣٢/١

(٥) ينظر: النسفي نحويا: ١١٣

(٦) فاطر: ٢٨

"المبحث الثالث"

البدل:-

وهو رابعُ التوابع وآخرها [(١)]، وهذه التسمية هي للبصريين [(٢)]، أما الكوفيون فقد اختلفوا فيها، قال الأخفش: يسمونه الترجمة والتبيين [(٣)]، وقال ابن كيسان (ت ٣٢٠ هـ): يسمونه التكرير [(٤)].

والبدلُ في اللغةِ بمعنى العِوَض [(٥)] واصطلاحا: هو التابعُ المقصود بالحكم بلا واسطة [(٦)]، والغايةُ من البدل هي الايضاحُ بعد الابهام، وفائدتُه البيان والتأكيد [(٧)]، (وذلك من خلال تقرير الحكم السابق وتقويته بتعين المراد، وايضاحه، ورفع الاحتمال عنه، لان هذا الحكم يُنسب أولا للمتبوع فيكون ذكرُ المتبوع تمهيدا للتابع الذي سيجيءُ، وتوجيها للنفس لاستقباله بشوقٍ ولهفةٍ، فاذا استقبلته

---

(١) ينظر: المشكاة الفتحية على الشمعة المضية: ١٢٩، شرح التصريح على التوضيح: ١٥٥/٢ .

(٢) ينظر: الكتاب: ٣/٨٦-٨٧، شرح الأشموني:١٦١/٢، ظاهرة الشذوذ في النحو العربي: ٣١٧، المرادي وكتابه توضيح مقاصد الألفية: ٤٢٦

(٣) ينظر: مجالس ثعلب: ٢٠/١،شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية: ٢٣٤/٢، تسهيل الفوائد: ١٧٠، هامش رقم (١) ، الموفي في النحو الكوفي : ٦٠ ، النسفي نحوياً : ١٣٦

(٤) ينظر: ابو الحسن بن كيسان وآراؤه في النحو واللغة: ١٤٠-١٤١، المرادي وكتابه توضيح مقاصد الألفية: ٢٢٦

(٥) ينظر: لسان العرب: ١١/ ٤٨ مادة (بدل).

(٦) ينظر: تسهيل الفوائد: ١٧٢، شرح شذور الذهب: ٤٣٩، أوضح المسالك: ٦٤/٣، شرح ابن عقيل: ١٩٤/١، كشف المشكل في النحو: ١٦/٢، الايضاح في شرح المفصل: ٤٤٩/١، الموفي في النحو الكوفي:٦٠

(٧) ينظر: أسرار العربية: ٣٩٨، الاتقان في علوم القرآن: ٢٣٧/٣

وعرفته استقبلت معه الحكم ايضا، فكأنَّ الحكم قد ذكر مرتين، وفي هذا تقوية للحكم وتوكيد)[(١)] .

قال المبرد: (وحقيقة المبدل أن يقام مقام المبدل منه فينتقل التأليف)[(٢)]، (ولأجل تحقيق هذا الغرض، لايَصِحُّ أنْ يتحدَّ لفظ البدلِ والمبدلِ منه الاّ اذا أفادَ الثاني زيادةَ بيانٍ وتوضيحٍ)[(٣)] .

والبدل في كلام العرب على عدة أضرب منها:.

(١) بدل الكل من الكل[(٤)] ، أو بدلِ التفصيل، ويسمى ايضا (بدل المطابقة)، أو بدل المطابق من مطابقه[(٥)] .

وهذا البدل تكون ذاتُه عينَ ذاتِ الأول، وانْ لم يكنْ مفهوماً واحداً، وفائدتُه: توكيد النسبة وتقريرُها لذكره مرتين، ولا يحتاج أنْ يكون معه رابطَ يربطُهُ بالمبدلِ منه، لأنه عينُه نحو: جاءَ زيدٌ أخوكَ،وقوله تعالى: (اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أنعَمتَ عَلَيهِمْ)[(٦)] ، فكلمة: صراط الثانية بدل كل من الأولى، لأن صراط الثانية هو عينُه صراطُ المستقيم، فالكلمتان بمعنى واحدٍ تماما.

---

(١) النحو الوافي: ٣/٦٦٤

(٢) المقتضب: ٣/١١١، وينظر: كشف المشكل في النحو: ٢/١٦، شرح الكافية: ٢/٤٤

(٣) النحو الوافي : ٣/٦٦٥، ٣/٦٧٥

(٤) ذهب بعضهم الى أن تسمية بدل كل من كل، كلام مختل، والصحيح هو بدل الشيء من نفسه. فتجعل البدل والمبدل منه شيئا واحدا، وهذا الأعتدال يقوي مذهب (المبرد) من حيث كون الشريعة لاتقضي استعمال البدل الا عند عدم المبدل منه. ينظر: كشف المشكل في النحو: ٢/١٦

(٥) ينظر: الموفي في النحو الكوفي: ٦٠، معاني النحو: ٣/١٩٨، النحو الوافي: ٣/٦٦٥

(٦) الفاتحة: ٦-٧

والملاحظ في هذه الآية الكريمة هو اتفاق البدل والمبدل منه، ولكن يشرط افادة الثاني زيادة وايضاحاً .

(٢) بدل البعض من الكل [(١)]، أو: بدل جزء من كل [(٢)]، ويكون الضابط في هذا البدل، هو كون البدل جزء ا حقيقيا من المبدل منه (سواء أكان الجزء الأكبر من باقي الأجزاء أم أصغر منها، أم مساويا) [(٣)]، ولابد من اتصاله برابط يربطه بالمتبوع، ومن أهم هذه الروابط (الضمير) [(٤)]، فإن كان الرابط موجودا -أي الضمير- وجب مطابقة المتبوع في الافراد والتذكير وفروعهما٠٠٠٠ ومن الجائز - مع قلته - الاستغناء عن الضمير في بعض الحالات [(٥)].

فمثال الضمير الظاهر: اكلتُ الرغيفَ ثلثهُ او نصفهُ أو ثلثيه [(٦)]، والثاني نحو، قوله تعالى: (وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً) [(٧)]، فالمستطيعون في هذه الاية الكريمة هم بعض الناس [(٨)].

---

(١) ينظر: اللمع في العربية: ١٦٩، جمل الزجاجي:٣٥، المقرب: ٢٦٧، شرح اللمحة البدرية: ٢٣٥/٢، أوضح المسالك: ٦٥/٣، الأساليب الانشائية في النحو العربي: ٢٠، خصائص مذهب الأندلس النحوي: ١٥٢

(٢) ينظر: المقتصد في شرح الايضاح: ٩٢٩/٢. همع الهوامع: ١٢٥/٢-١٢٦، الموفي في النحو الكوفي:٦٠

(٣) ينظر: حاشية الصبان: ١٢٥/٣

(٤) أكان ظاهرا أم مقدرا.

(٥) ينظر: همع الهوامع: ١٢٥/٣-١٢٦، النحو الوافي: ٦٦٧/٣، ولمعرفة هذه الحالات، ينظر: النحو الوافي:٦٦٨/٣

(٦) ينظر: الايضاح في شرح المفصل: ٤٥٠/١، شرح ابن عقيل: ١٩٤/١، شرح التصريح على التوضيح: ١٥٦/٢

(٧) آل عمران:٩٧ وينظر: الكتاب: ٧٥/١-٧٦

(٨) ينظر: الاصول في النحو: ٤٧/٢، معاني النحو: ١٩٨/٣

(٣) بدل الاشتمال؛ وهو بدلُ شيءٍ من شيء يشتمل عاملهُ على معناه اشتمالا بطريقةِ الإجمالِ كـ (أعجبني زيدٌ علمُهُ، أو حُسنهُ) [١] ، و(سُرِقَ زيدٌ ثوبُهُ) [٢] .

ولابد هنا من وجود رابط يربط البدل بالمبدل منه، من نحو قوله تعالى: (يَسئَلُونَكَ عَنِ الشَّهرِ الحَرامِ قِتالٍ فِيهِ) [٣] . وقد نُقِلَ عن بعضهم أنَّ المحققين لايوجبون رابطا في بدل البعض وبدل الاشتمال [٤] .

واطلق الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) على هذا النوع من البدل (بدل الشيء من مكانه) [٥] .

(٤) البدل المباين للمبدل منه- ويسمى: (بدل المباينة) [٦] - ويكون هذا على ثلاثة أنواع، ولابد لكل نوع من هذه الانواع أنْ يكون هو المقصود بالحكم، وأَنْ يقومَ دليلٌ(أي: قرينة) بتوضيح المراد منه، ويمنع اللّبسَ، وهذا القسم بانواعه الثلاثة لايحتاجُ الى ضمير، أو غيره. يربطه بالمتبوع [٧] . وهذه الانواع هي:-

أ-بدل الغلط: الذي ذُكِرَ غلطاً- أي: سبق اليه اللسان- بلا

---

(١) ينظر: أوضح المسالك: ٦٦/٣

(٢) ينظر: شرح المفصل: ٦٤/٣

(٣) البقرة: ٢١٧، وينظر :الاتقان في علوم القرآن: ٢٣٧/٣

(٤) ينظر: المشكاة الفتحية: ٣٠٥

(٥) المقتصد في شرح الايضاح: ٩٣٥/٢

(٦) ينظر: شرح ابن عقيل: ٩٤/١ ،١ الايضاح في شرح المفصل: ٤٥٠/١،اوضح المسالك: ١٦/٣، شرح اللمحة البدرية: ٢/ ٢٣٦ شرح التصريح على التوضيح: ١٥٨/٢، حاشية الصبان: ١٢٥/٣، الموفي في النحو الكوفي: ٦٠

(٧) ينظر: النحو الوافي: ٦٧٠/٣

قصد، ولا يكونُ إلاَّ في المحاورات دون القرآن الكريم [(١)]. فعندما نقول: ركبتُ زيداً الفرسَ، فالفرسُ بدلٌ من زيدٍ، وهو بدل غلط، فريد ذُكِرَ غلطاً لأنكَ أردتَ أن تقولَ ابتداءً: ركبْتُ الفرسَ [(٢)].

ب-بدل النسيان: وهو الذي يذكر فيه المبدل منه قصدا، ويتبين المتكلم فساد قصده، فيعدل عنه، ويذكر البدل الذي هو الصواب؛ نحو: (صَليتُ أمْسِ العُصْرَ، الظُهْرَ، فِي الحقلِ) [(٣)]. فقد قصدَ المتكلمُ النصَ على صلاةِ العصر، ثم تَبيَّنَ له أنه نسي حقيقةَ الوقت الذي صلاّهُ، وانه ليس العصر؛ فبادرَ إلى قيامهِ بذكرِ الحقيقة التي قام بتذكرها وهي (الظهر). ولكنَّ الفرقُ بين هذا البدل وسابقهِ أنَّ بدلَ الغلط يكون من اللسان، أمُا النسيان فيكون من الجَنانِ، وهذا البدل كسابقه لايقعُ في قرآنٍ ولا شعرٍ [(٤)].

جـ - بدل الاضراب: ويسمى أيضا ببدل(البَداء) [(٥)]، وفي هذا البدل يذكر فيه المبدل منه قصداً، ولكنْ يُضْربُ عنه المتكلم (أي: ينصرف عنه ويتركه مسكوتاً عنه)، من غير أن يتعرض له بنفي أو اثبات. كأنه لم يذكره ويقوم بالاتجاه إلى البدل، نحو: سَافرْتُ في قطارٍ، سيارةٍ، فقد نَصَّ المتكلمُ على القطارِ أولاً، ثم أضْرَبَ عنه تاركاً امرهُ، ونصَّ على السيارةِ بعد ذلك [(٦)].

وقد زَادَ بعْضُ النُحاة نوعاً خامساً سَمُّوهُ (بدل الكل من البعض) [(٧)]، حيث قال السِيوطيّ: وقد وجدتُ لهُ مثالاً في القرآنِ الكريم،

---

(١) ينظر: الاصول في النحو : ٢/٤٧، كشف المشكل في النحو: ٢/٢١

(٢) ينظر: همع الهوامع: ٢/٢٢٦ المشكاة الفتحية: ٣٠٥

(٣) النحو الوافي: ٣/٦٧٠

(٤) ينظر: المقتضب: ١/٢٨، شرح المفصل: ٣/٦٦

(٥) شرح الكافية:١ / ٣٧٢-٣٧٣، وينظر: أوضح المسالك: ٣/٦٦، همع الهوامع: ٢/١٢٦، خصائص مذهب الاندلس النحوي: ١٥٢

(٦) ينظر: النحو الوافي: ٣/٦٧٢

(٧) حاشية الصبان: ٣/١٢٦ وينظر: الاساليب الانشائية في النحو العربي: ٢٠

وهو قوله:(يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا، جَنَّاتِ عَدْنٍ) [١] ، فـ (جَنَّاتُ عَدْنٍ)، بدلٌ من الجنةِ التي هي بعضٌ) [٢] ، ولهذا كان البدل كلا والمبدل منه أيضا، ومنه قول الشاعر [٣] :

رَحِمَ اللهُ أَعْظُمًا دَفَنُوهَا بسِجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلحاتِ

فكلمة (طلحة) بدل من (أعظم) التي هي جزءٌ من طلحة [٤] .

أما بالنسبة لابن حزم فقد تحدَّثَ عن انواع البدل، وقام بتقسيمها على عدة أضرب، من دون التعريف بالبدل، ولا باهميته، ولافائدته في اللغة، ولكنه قال: (البدلُ على أربعةِ اضربٍ: بدلُ البعضِ من الكلِ، وبدلُ البيان، وبدلُ الغلط، وبدلُ الصفةِ من الموصوف) [٥]

ويرى الباحث أنَّ نوعَي البدل: بدل البعض من الكل، وبدل الغلط، من الانواع المهمة في البدل، التي سبق التعريف بهما.

ولكن ابن حزم قد أضافَ إلى هذه الاضرب بدلا اطلقَ عليه بـ (بدل البيان)،وقال عنه: (يكون حكم البدل من حكم المبدل منه/في هذا النوع، كقولك: مررتُ بزيدٍ رجلٍ صالح، على أنَّ احدَهُما نكرة ولآخر معرفة) [٦]

والمثال الذي أطلق عليه ابن حزم (بدل البيان) هو(بدل الكل من

---

(١) مريم: ٦٠-٦١

(٢) الاتقان في علوم القرآن: ٣٣٨/٣، وينظر: همع الهوامع: ١٢٧/٢، السيوطي النحوي: ٥٨٥

(٣) البيت من قصيدة للشاعر ابن قيس الرقيات، ينظر: الدرراللوامع: ١٦٢/٢-١٦٣، السيوطي النحوي: ٥٨٦

(٤) همع الهوامع: ٢٧/٢، النحو الوافي: ٦٧٤/٣، السيوطي النحوي: ٥٨٦

(٥) الاحكام في أصول الأحكام: ٩٢٦/٦

(٦) المصدر نفسه: ٩٢٦/٦

من الكل)[١] ، لأنَّ هذا البدلَ فائدتُه الايضاحُ والتبيين، ويؤدي البدل والمبدل منه باجتماعهما معنى لايُؤدّى بانفراد احدهِما عن الآخر فقد يكون الأول مبهما فيوضحُه الثاني[٢] ، من نحو، قوله تعالى: (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ)[٣] . فقوله (يَسُومُونَكم سُوءَ العَذاب) مبهم يحتمل أمورا كثيرة فأوضحه البدل (يُذبّحونَ أبنَاءكُمْ وَيَسْتَحيونَ نسَاءَكُم).

قال ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) : (واعلم انه قد اجتمع في البدل ما افترق في الصفة والتاكيد، لأن فيه ايضاحا للمبدل ورفع لبس كما كان ذلك في الصفة، وفيه رفعُ مجاز وابطالُ التوسع الذي كان يجوز في المبدل منه، الا ترى أنَّك اذا قلت (جاءني اخوكَ) جاز ان تريد كتابتَه أو رسولَهُ فاذا قلت (زيدٌ)، زال ذلك االاحتمالُ كما لو قلت نفسهُ أو عينهُ، فلذلك قال صاحب الكتاب: وليُفادَ بمجموعهما فضلُ تاكيد وتبين ولا يكون في الافراد، يعني انه حصل في البدل والمبدل منه من تاكيد مايحصل (بالنفس والعين)، ومن البيان ما يحصل بالنعت ولو انفرد كلٌ واحد من البدل والمبدل منه لم يحصل ما حصلَ باجتماعهما كما لو انفرد التاكيد والمؤكد أو النعت والمنعوت لم يحصل باجتماعهما)[٤] .

وأضاف السيوطي قائلا: (والقصدُ به- اي بدل كل من كل- الايضاحُ بعد الابهام، وفائدتُه البيان والتاكيد، امَّا الأول فواضحٌ أنَّك اذا قلت: (رايتَ زيداً اخاكَ)، بينت انك تريد بزيدٍ الاخَ لاغير، واما التاكيد فلأنه على نية تكرار العامل فكانهُ من جملتين، ولانه دل على ما دل عليه الاول)[٥] .

ولكن ابن حزم قَدْ سَهَا عن أنْ يذكر أنَّ ابدالَ النكرة من المعرفة التي

---

(١) النحو العربي، قواعد وتطبيق: ١٩٦، وينظر: ابن كيسان وآراؤه في النحو واللغة : ١٤٣

(٢) ينظر: مغني اللبيب: ٥٠٦/٢، معاني النحو: ١٩٨/٣

(٣) البقرة : ٤٩

(٤) شرح المفصل: ٦٦/٣

(٥) الاتقان في علوم القرآن: ٧٠/٢

تكلم عنها . (لم يحسن إلا موصوفها؛ لأنها إن كانت بدلاً من الكل فهي في المعنى، فلا يحسن ان يؤتى بالمقصود من غير زيادة على ما هو غير المقصود، وإن كان غير بدل الكل من الكل لزم أن يكون ثم ضمير يرجع الى المبدل، فإن كان متصلاً به رجع معرفة، وإن كان منفصلاً عنه رجع موصوفا به)[1] .

أي إن النكرة هذه يجب أن تكون مختصة - لامحضة- لأن النكرة المختصة، الخالية من فائدة التعريف - نحو : مررت بزيد رجل صالح - قد تفيد مالا تفيده المعرفة المشتملة على فائدة التعريف. ومما يؤيد هذا أن الغرض من البدل لايمكن له ان يتحقق بالنكرة المحضة غير المختصة.

ومن امثلته القرآنية، قوله تعالى: (لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ)[2]، فهذا هو بدل نكرة من معرفة[3]، فالناصية الأولى معرفة، والثانية نكرة وهي بدل منها[4].

ولعل ابن حزم حينما اطلق مصطلح- بدل البيان- أراد مسايرة اصحاب الكوفة في هذه التسمية حينما سموها بـ (الترجمة و التبيين)، فاطلقه على باب من ابواب البدل

وفي هذا الصدد يقول احد الباحثين: (ان بدل الكل من الكل جاء لغرض بياني كمجيء النعت لها، ولا يمكن الاستغناء بالنعت عن منعوته مع الحفاظ على الغرض البياني الذي اراده المتكلم، ويبدو أن تسمية الكوفيين للبدل بـ (الترجمة أو التبيين) أكثر دلالة على معناه)[5] .

ومن هذا الكلام الذي اشار اليه ابن حزم، يبدو لنا أنه اطلع على المصطلحات الكوفية وقد تاثر بها بعض الشيء، مما ادى الى اطلاق بعض هذه المصطلحات على بعض الاضرب النحوية، ولكنه لم يبحث هذه المسائل النحوية

---

(١) الايضاح في شرح المفصل: ٤٥١/١

(٢) العلق: ١٥-١٦

(٣) ينظر: الكتاب: ٢٦٠/١، الاصول في النحو: ٤٦/٢، كشف المشكل في النحو: ٢٤/٢

(٤) ينظر: جمل الزجاجي: ٣٥

(٥) ابو الحسن بن كيسان وآراؤه في النحو واللغة: ١٤٢

بحثاً دقيقاً، وانما اتجه نحو الاهتمام و البحث عن المعنى الموجود في النص التشريعي من خلال استقصائه لهذه النصوص، اكثر من بحثه عن الظواهر الاعرابية.

ويبدو أنّ ابن حزم لم ينفرد بهذه التسمية، بل ذهب الى مشايعته في هذه التسمية، ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١ هـ)، حيث قال: (فاما الذي من بدل البيان، أن يكون الثاني جُزءاً مما قبله كقولك: ضربتُ زيداً رأسَهُ)[١].

ونحن نخالف - البطليوسي-، في اطلاقه هذه التسمية على مثاله هذا، لأن هذا النوع هو بدلُ بعضٍ من كل، وهو ابدال لفظ من لفظ، بشرط، ان يكون الثاني واقعاً على بعض مايقع عليه الاول.

فعندما نقول: ضربتُ زيداً رأسَهُ- (يكون فيه ضربٌ في البيان، نحو أن نقول: ضربتَ أخاكَ زيداً، فيعلم أنّ الاخَ المضروب هو الذي اسمه زيد)[٢]. وقوله تعالى: (وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الذِينَ ظَلَمُوا)[٣]، فالبعض في هذا كله بدل من الكل، ولو قلت بدل الشيء من الشيء وهو بعضه لكانت عبارة جيدة[٤].

وقد أخفقَ ابنُ حزم فجعل للبدل ضرباً جديداً سمّاه بـ (بدلُ الصفة من الموصوف)، علي أننا لانجدُ لهذا النوع وجوداً في العربيةِ وفي انواعَ البدل. ولم ياتِنا بمثال بيّن لكي نتبيّن قصدَه من ذلك. ولعلهُ ارادَ به بدل كل من كل، فاذا قلت: ابو العباس المبرّد، فالمبرّد بدل من ابي العباس، وهو بدل كل من كل، وهو في الاصل طبقه، فلعل صاحبنا كان يقصد ذلك، وربما كانَ من باب (بدل الموصوف من الصفة)[٥]، وذلك لان الموصوفَ اصل ولايدخلُ ضمن الفرع.

---

(١) الحُلل في اصلاح الخَلل من كتاب الجُمل: ١٢٩

(٢) كشف المشكل في النحو: ١٦/٢، وينظر: المقتصد في شرح الايضاح: ٩٣٢/٢

(٣) الأنبياء: ٣

(٤) ينظر: كشف المشكل في النحو: ١٩/٢

(٥) أو انه خطأ مطبعيٌ وجِدَ داخل الكتاب وقع فيه الناسخ او الناشر. واذا كان من باب قيام الصفة مقام الموصوف، فانه يخرج من هذا الباب- اي باب البدل -

"المبحث الرابع"

" القراءة بين الخفض والنصب في آية الوضوء"

قوله تعالى: (وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)[١] .

انقسم القراء في قراءة هذه الآية على فريقين، فمنهم قرأ (وأرجلَكُم)، بالنصب[٢] ، من هؤلاء، ابن عامر (ت ١١٨هـ)، وعاصم (ت ١٢٧ هـ) ونافع ، والكسائي ، ويعقوب ، وآخرون قرأوا بالخفض[٣] ، منهم: ابن كثير (ت ١٢٠هـ)، وابو عمرو (ت ١٥٤)، وحمزة (ت ١٥٦هـ)، من السبعة، وانس (ت ٩١ هـ)، وعكرمة (ت ١١٥ هـ) من غير السبعة.

على أنَّ الجميع اتفقَ على كونِ الواو في هذا النص القرآني، هي للعطفِ، وأَن الارجلَ معطوفٌ على ما قبلِها. ولكنهم اختلفوا في المعطوف عليه.

فذهب بعضهم الى كون (الواو) عائدةً على الوجوه فالواجب فيها الغَسْل[٤] ، وذهب الباقون الى أَنَّ (الواو) هنا عائدٌ على الرؤوسِ فالمراد المسح وليس الغسل[٥] .

واختلف بعضهم في وجوب غسل الرجلين أو القيام بمسحيما أو التخيير

---

(١) المائدة: ٦

(٢) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات: ٤٠٦/١، التبيان في اعراب القران: ٢٠٩/١، حجة القراءات: ٢٢١، النشر في القراءات العشر: ٢٥٤/٢

(٣) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: ٤٠٦/١، التبيان في اعراب القرآن: ٢٠٩/١، حجة القراءات: ٢٢١،النشر في القراءات العشر: ٢٥٤/٢

(٤) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: ٤٠٦/١، الجمل على الجوار في القرآن الكريم: ٥٠، نحو القراء الكوفيين: ١٢٥

(٥) ينظر: مشكل اعراب القرآن: ٢١٩، المكتفي في الوقف ولابتداء: ٣٤٥، مجمع البيان: ١٦١/٦-١٦٣، البيان في غريب إعراب القرآن: ٢٨٤/١.

بين الغسل والمسح أو وجوب الامرين كليهما. وهو ما ذهب اليه الحسن البصري (ت١١٠هـ)، والجُبّائي[١].

أمّا موقف فقيهنا ابن حزم في توجيه قراءة هذه الآية فهو: (أنّ القراءةَ بالخفض والفتح، كلاهما لايجوز إلاّ أنْ يكون معطوفاً على الرؤوس في المسح ولابدّ، لأنه لايجوز أنْ يُحالَ بين المعطوف والمعطوف عليه بخبر غير الخَبر عن المعطوف عليه، فلما جاءت السنةُ بغسل الرجلين صح أن المسحَ منسوخٌ عنها)[٢].

فابن حزم هنا في هذه الآية وإنْ أخذَ بظاهر النص في بداية كلامه، إلاّ أنهُ قد استدار له استدارةً بعيدةً هي أنّ السنة نسخت القرآن، وبذلك فقد تكلف ابن حزم في توجيه هذا النص تكلفاً لغويّاً، لايُلتفتُ إليه.

واختلفت حجج كلا الفريقين في اثبات صحة ما ذهبوا اليه، فذهب أصحاب الفريق الثاني، الى الاستدلال على كون الواو عاطفةً على الرؤوس لورودها في قراءةٍ مشهورة وهي الخفض، وهذه القراءةُ تُرجّحُ كون الواو هنا عاطفةً على الرؤوس، التي جُرّت بالباء، وكون الواو تقومُ باشراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم والاعراب، حيث دلّت القراءةَ على أنّ الارجلَ ممسوحةٌ كالرؤوس[٣].

لكنّ هذا الرأي لم يسلم من مطاعن الفريق الأول، فقالوا انّ العطف في (وارجلكم)، في المعنى يكون على (الوجوه)، وانما جُرّت هذه القراءة،

---

(١) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجُبّائي، من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره. واليه نسبه الطائفة (الجُبّائية)، (ت ٣٠٣ هـ)، ينظر: وفيات الاعيان: ٤٨٠/١، البداية والنهاية: ٤٤٥/١١، مفتاح السعادة: ٣٥/٢، الاعلام: ١٣٦/٧ ،وينظر : التعليق على ذلك في : مجمع البيان : ١٦١/١-١٦٣

(٢) الإحكام في أصول الأحكام: ٤٨٢/٣

(٣) ينظر: المكتفى في الوقف والابتدا: ٣٤٥ التبيان في اعراب القرآن: ٤٢٢/١

وذلك لمجاورتها (الرؤوس) لفظا [١]، ودليلهم على ذلك هو قيام العرب باعطاء الشيء حكم الشيء اذا جاوره [٢]. وقد استشهد النحويون لمثل هذا النمط من كلام العرب بكثير من الامثلة، من نحو قولهم: (هذا جحرُ ضبٍ خربٍ)، بجر (خرب) مع كونه صفة الجحر، والسبب يعود لمجاورة (الضب) [٣]. ونحو قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ﴾ [٤]. بجر (وحور عين) [٥]. في قراءة من قرأها بالجر.

وذهب ابن هشام (ت ٧٦٢ هـ) الى القول إنَّ (قراءة - وارجلكم- بالخفض، هو عطف على- ايديكم، لاعلى (الرؤوس)، إذ إنَّ الارجل هي مغسولةٌ وليست ممسوحةً، ولكنَّ الخفضَ جرى لمجاورة (رؤوسكم)؛ والذي عليه المحققون أنَّ خفض الجوار يكون في النعت قليلا، وفي التوكيد نادرٌ،

---

(١) ينظر: اعراب القرآن، للنحاس: ٤٨٥/١، أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الاحكام من آيات القرآن التشريعية: ١٦٢-١٦٣

(٢) ينظر: المغني: ٦٨٣/٢

(٣) ينظر: الكتاب: ٦٧/١، اعراب القرآن المنسوب للزجاج: ٣٧٦/١، ٣٨٠-٣٨١. البيان في غريب اعراب القرآن: ٢٨٤/١، أمالي ابن الحاجب: ٨٨/١، مغني اللبيب: ١٣٢/٢، ١٣٩، احياء النحو: ١٢٥-١٢٦

(٤) الواقعة: ١٧-٢٢، لمزيد من التفصيل في هذه الآية، ينظر: الحمل على الجوار في القرآن الكريم: ٥٣-٥٤

(٥) المكتفى في الوقف والابتدا: ٣٤٤-٣٤٥

كقول الشاعر (١) :-

يا صَاحِ بَلِّغْ ذَوِي الزَوجاتِ كلِّهمُ   أنْ ليسَ وَصْلٌ إذا انحلّتْ عُرا الذَنَبِ .

حيثُ نقلَ ابن هشام عن الفراء انه قال: (انشدنيه ابو الجراح بخفض كلهم، فقلت له، هلا قلت كلَّهم- يعني النصب- فقال، هو خيرٌ من الذي قلتُهُ انا ثم استنشده اياه، فانشدنيه بالخفض، ولا يكون في النسق؛ لان العاطف يمنع من التجاور) (٢) .

ويبدو أنَّ الفراء ذهب الى أنَّ الخفض بالجوار ممتنع إلاّ ما سُمِعَ عن العرب (٣) .

فكذلك في قوله تعالى: (وارجلِكم)، قد جر لمجاورته (رؤوسِكم)، مع انه معطوف على الوجوه وذهب صاحب الكشاف الى تعليل هذه القراءة قائلا: (الارجل من بين الاعضاء الثلاثة المغسولة، تغسل بصب الماء عليها، فكانت مظنة للاسراف المذموم المنهيِّ عنه، فعطفت على الثالث الممسوح لا لتمسح، ولكنه ليتنبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها) (٤) .

وتعليل صاحب الكشاف في تأويل هذه القراءة، لايقبلهُ العقل ولا يستسيغه الذوق في قوله (مظنة الاسراف بالماء)، ولاينسجمُ مع طبيعةِ العرب في ذلك الوقت.

---

(١) هو ابو الغريب، قال صاحب الخزانة، انه اعرابي له شعر قليل ادرك الدولة الهاشمية، هذا ماذكره صاحب الخزانة دون ان يشير الى مصدر محدد، وقد حاولت جاهدا، العثور على ترجمة له الا انني لم اجد له ترجمة فيما وقفت عليه من مصادر. ينظر: خزانة الأدب: ٢/٣٢٥، المغني: ٢/٨٩٥. شرح شواهد المغني: ٢/٩٦٢

(٢) المغني :٢/٦٨٣

(٣) معاني القرآن: ٢/٧٤-٧٥، وينظر: الحمل على الجوار في القرآن الكريم ٣٠

(٤) الكشاف: ١/٦١٠

ولم تسلم قضية (الحمل على الجوار)، من مطاعن الفريق الثاني، في عدهم هذا الباب لحناً في اللغة ولايؤتى بهذا العطف إلا للضرورة[١]

فقد انكر الزجاج الخفض على الجوار في القرآن الكريم، فقال: (وقال بعض أهل اللغة هو جرعلى الجوار، فأما الخفض على الجوار فلا يكون في كلمات الله)[٢]، وقام السيرافي (ت ٣٦٨هـ) بانكاره ايضاً[٣].

وذهب ابن خالويه الى انه ضرورة والقرآن لايحمل على الضرورة[٤]. وانكره ايضا ابن جني[٥]،ورأى مكي (ت ٤٤٧ هـ) ان القرآن لايحمل عليه[٦] وأنكره الطوسي (ت ٤٦١ هـ)[٧]، والطبرسي(ت ٥٤٦ هـ)[٨]، وكمال الدين الانباري (ت ٥٧٧ هـ)[٩]، ووصفه ابو حيان بأنه تأويل ضعيف جدا[١٠].

ومن المحدثين فقد انكره الأستاذ سعيد الأفغاني في تحقيقه لـ (حجة القراء ات)،لأبي زرعة[١١]. ومن انصار هذه المسألة المتحمسين لها،

---

(١) ينظر: روح المعاني: ٢/٢٦٠، أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الاحكام من آيات القرآن التشريعية:١٦٣

(٢) معاني القرآن واعرابه: ١٦٧/٢

(٣) ينظر: المغني: ٦٨٤/٢، حاشية الدسوقي على المغني: ٣٠٤/٢. همع الهوامع: ٥٥/٢

(٤) ينظر: الحجة في القراء ات السبع: ١٠٤

(٥) ينظر: الخصائص: ١٩٢/١، المغني: ٦٨٤/٢. الحمل على الجوار في القرآن الكريم: ٤٠

(٦) ينظر: مشكل اعراب القرآن: ٢١٩/١

(٧) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤٥٢/٣

(٨) ينظر: مجمع البيان: ٦/ ٣٧-٤٠

(٩) ينظر: الانصاف في مسائل الخلاف: ٣٥٨/٢

(١٠) ينظر: البحر المحيط: ٤٣٧/٣، همع الهوامع: ٥٥/٢

(١١) ينظر: حجة القراء ات: (حاشية ١): ٢٢٣.

الفـــراء[١] ، (وابـــو عبيــــدة (ت ٢١٠ هــــــ) والأخفـــش)[٢] ، وابـــو القاســـم الزمخشـــري[٣] ، ابـــو البقـــاء العكـــبري (ت ٦١٦ هــــــ)[٤] ، والتفتـازاني (ت ٧٩٢ هــــــ)[٥] .

وذهـب اصحـاب الخفـض أيضـا، الـى أنَّ الـواو فـي (وارجلكـم). معناهـا (مـع)، وهـذا الكـلام يقـوي كـون الأرجـل ممسـوحة، لأن معنـى الآيـة، سـوف يصبح: (وأرجلكم مـع الكعبيـن) كمـا ورد فـي قولـه تعـالى (وَلاتَـأْكُلُواْ أَمْوَالَـهُمْ إِلىٰ أَمْوَالِكُـم)[٦] .

ولم يسـلم هـذا الـرأي مـن مطـاعن الفريـق الأول، حيـث قـالوا: إذا كـانت هذه الـواو بمعنـى (مـع) فانـها دلـت علـى المعيـة، واذا كـانت للمعيـة فـإنَّ مـا بعدها يجب أنَّ يكـون مفعـولاً معـه، وقـال ابـن جنـّي عـن المفعـول معـه: (كـل ما فعلـت معـه فعـلا)[٧] ، والأرجلُ هنـا لايفعـلُ معـها الفعـلُ إنمـا يقـع عليـها، وايضـا يسـتلزم فعـلَ المسـح الـرأس مـع الأرجـل، أي: ليكـنّ مسـح رووسـكم مصاحبا لأرجلِكم، والواقـع انـه ليـس مصاحبـا، فـهي إذن ليسـت للمعيـة[٨] .

وكون الواو بمعنى (مع)، جَوَّزه الكسائي وأصحابُه، وقد أفاد ابو حيان، أنَّ مجـيء الواو بمعنى (مع)، إنما يكونُ في حالاتٍ خاصةٍ، وذلك إذا كان المعطـوف بـالواو لايمكـن الاسـتغناءُ عنـه، و أجـازهُ بعـد فعـلٍ يـدل علـى المشـاركة،

---

(١) ينظـر : معـاني القـرآن: ٧٤/٢-٧٥

(٢) ينظـر: مجـاز القـرآن: ١٥٥/١، معـاني القـرآن واعرابـه: ١٦٧/٢، التبيـان فـي تفسـير القـرآن: ٤٥٢/٣، التبيـان فـي اعـراب القـرآن: ١٧٤/١

(٣) ينظـر: الكشـاف: ٥٤٧/٢

(٤) ينظر: التبيـا فـي اعـراب القرآن: ١٧٤/١

(٥) ينظـر: شـرح التصريـح علـى التوضيـح: ١٣٧/٢

(٦) النسـاء: ٢، وينظـر: صفـوة البيـان لمعـاني القـرآن: ١٤٤/٦

(٧) اللمـع فـي العربيـة: ١٣٢

(٨) ينظر: اثـر الدلالـة النحويـة واللغويـة: ١٦٧

مثال: اختصمَ زيدٌ وعمرو، فاجازوا اختصام زيد مع عمرو [١]، ومثل هذه الحالة تكون غير منطقية على الواو وذلك لجواز الاستغناء عن المعطوف فيها [٢].

والذي نراه أنّ كلام الفريق الثاني، وما ذهب اليه ابن حزم في الشطر الثاني من عدم الاحالة بين المعطوف والمعطوف عليه بخبر غير الخبر عن المعطوف عليه، هو الأصوبُ. أي أنّ المرادَ بهذه الآيةِ القرآنية هو المسح وليس الغسل.

(فالذي ذهب الى أن المراد بالمسح هو الغسل، فمذهبُهُ غيرُ مقبول من وجوه عِدة، أحدُها أنّ فائدةَ اللفظتين في اللغة والشرع قد اختلفت في المعنى، وان الله سبحانه وتعالى قد فرق بين الأعضاء المغسولة وبين الأعضاء الممسوحة، فكيف يكون المسح والغسل واحداً ؟

والآخر، إِن الأرجل اذا كانت قد عُطِفَتْ على الرؤوس، وكان الغرضُ في الرؤوس المسحَ الذي ليس بِغَسْلٍ بلا خلاف. فيجب بذلك أنّ يكونَ حكمُ الأرجل هو المسّحَ لأنَ حقيقةَ العطفِ تقتضي ذلك [٣].

أما الفريق الذي ذهب الى أنهُ معطوفٌ على الجوار، فقد بينا أن جُلّ علماء العربية قد أنكروا ورود مثل ذلك في القرآن الكريم، وانه لايجوز. ومن أجازه في الكلام (فانما اجازه مع فقد حرف عطف وكلّ ما استشهد به على الاعراب بالمجاورة فلا حرفَ فيه حائلاً بين هذا وذاك، وكذلك فان المجاورة انما وردت في كلامهم عند ارتفاع اللبس والامن من الاشتباه) [٤]

يقول الأستاذ سعيد الأفغاني في تحقيقهِ لـ (حجة القراءات)، لأبي زرعة. (جُملةً أولعَ بها قدماء النحاة ومن بعدهم – أي العطف على الجوار –، ولا حجة فيها من وجهين، الأول: إِنّ قائلَها – انْ وُجِدَ – مجهولٌ. والثاني:

---

(١) ينظر: ارتشاف الضرب: ٥٣٩/١ .

(٢) ينظر: أثر الدلالة النحوية واللغوية: ١٦٧

(٣) مجمع البيان: ١٦٥/٦-١٦٦

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٦٦/٦

إنَّ الوقوف على الآخر بالسكون، إذ العربي لايقفُ على متحرك، فمن أين علموا أنَّ قائلها جر كلمة (خربٍ)؟ هذا والجر على الجوارضعيفٌ جداً، لم يرد بطريقٍ موثوقٍ إلاَّ في الضرورةِ الشعرية بندرةٍ، والضرورات لا يحتج بها)[1].

وأمَّا من جعلهُ مثلَ قول الشاعر[2] :-

عَلَفْتُهَا تِبْناً وَمَاءً بَارِداً حَتَّى غَدَتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا .

أي التقدير: علفتها تبنا وسقيتها ماء[3] .

فكأنه أراد من هذا الكلام أنَّ يقدر الآية الكريمة وأغسلوا أرجلكم، فهذا القول بعيدٌ عن الجميع، لأن مثل هذا لو جاز في القرآن الكريم، لَدَلَّ على ضعفه وبعده عن سائر الكلام، فانما يجوز اذا استحال حمله على ظاهره، واما إذا كان الكلامُ مستقيماً ومعناهُ ظاهرا فكيف يجوز مثلُ هذا التقدير الشاذ البعيد[4] .

---

(١) حجة القراءات: (حاشية ١): ٢٢٣

(٢) نسب الدكتور جايد زيدان مخلف في كتاب (المكتفى في الوقف والابتدا)، هذا البيت الشعري للشاعر ذي الرمّة، على اننا لم نجد هذا البيت في ديوان الشاعر المذكور. حيث اتفقت أغلب المصادر على أن هذا البيت من الشواهد التي لم يذكر العلماء نسبتها الى قائل معين، فذكر البعض عجز البيت هو:
حَتّى شَتَتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا
والبعض الآخر، جعله عجزا وصدره:
لمّا حَطَطْتُ الرَّحْلَ عَنْهَا وَارِداً
ينظر: المقتضب: ٢٢٣/٤، المكتفى في الوقف والابتدا: ٣٤٥، الانصاف في مسائل الخلاف: ٣٥٧/٢، شرح المفصل: ٨/٢، شرح ابن عقيل: ٢٠٧/١، مغني اللبيب: ٦٣٢/٢، شرح شذور الذهب: ٢٤٠، شرح شواهد المغني، القسم الثاني: ٩٢٩، همع الهوامع: ١٣٠/٢، خزانة الأدب: ٤٩٩/١

(٣) ينظر: الخصائص: ٤٣١/٢، برواية (حَتّى شَتَتْ)، همع الهوامع: ١٣٠/٢

(٤) ينظر: مجمع البيان: ١٦٦/٦-١٦٧

الفصل الثالث

جهود ابن حزم اللغوية

المبحث الاول : نشأة اللغة عند ابن حزم

المبحث الثاني : ابن حزم واللغات الجزرية

المبحث الثالث : المفردات المشتركة وتنقسم على :

أ- مفردات تشترك في المعنى (الترادف).

ب- مفردات تشترك في اللفظ (المشترَك اللفظي والتَّضَاد).

المبحـــــــــث الاول

نشـــأة اللغـــة عنـــد ابـــن حـــزم

ما اللغـــة؟

اللغـــة هـــي اداةٌ مـــن ادوات التعبـــير والتفـــاهم فـــي داخـــل المجتمعـــات، بـــل هي ضـــرورةٌ مِنْ اهـم الضَّـــرورات علـــى الإطـــلاق، يمكـــن بواسـطتها انْ نشـرحَ حاجاتِنا، ونُعبِّرَ عـــن رغبَاتنـــا، فلولاهـــا لَمَـــا وصـــلَ الحـــالُ بـــهذه المجتمعـــات الـــى درجات الرقـــي والتقـــدم الحضـــاري، ولولاهـــا لَمَـــا ســـاد التفـــاهمُ وبُنِيـــت الكيانـــات، وقامت اُواصرُ الوحـــدة الاجتماعيـــة بيـــن الجنـــس البشـــري(١).

وقد حدّ ابن جنـــي هـــذه اللغـــة بقولـــه: (اَمَّـــا حدُّهـــا فإنـــها اصـــواتٌ يُعـــبِّرُ بـــها كلُّ قومٍ عـــن اغراضِـــهم)(٢).

وهـــذا التعريـــف هـــو تعريـــفٌ جـــامعٌ مـــانعٌ، فـــهي اصـــواتٌ وهـــي اداةُ تعبـــير عند قومٍ بعينـــهم لتعـــدد اللغـــاتِ والالســـن فـــي النـــاس وذلـــك للتعبـــيرِ عـــن مختلـــف الاغـــراض(٣).

وقـــد اتفـــق اغلـــب اللغوييـــن المحدثيـــن علـــى انّ اللغـــةَ نظـــامُ مـــن الرمـــــوز الصوتيـــة(٤)، او هـــي تلـــك الاصـــوات التـــي انتجـــها جـــهازُ النُطـــقِ فـــي الانســـان معبراً عما يُحسّ به مِـــنْ حاجـــاتٍ يريـــد بيانَـــها والايضـــاحَ عنـــها (٥).

وبذلـــك تكـــون اللغـــة وعـــاءَ النشـــاطِ الانســـاني واداتَـــهُ ايضـــاً. او بعبـــارةٍ اخـــرى: (هـــي عبـــارة عـــن نظـــام مـــن الرمـــوز التـــي يســـتدعيها حـــدوثُ الكـــلام الفعلي)(٦). حيـــث يشـــترك فـــي هـــذه العمليـــة كـــلٌّ مـــن المتكلـــم والســـامع، ويشـــترك فيـــها الاول بطريقـــةٍ ايجابيـــةٍ، بوصفـــهِ بادئـــاً، والثـــاني بطريقـــةٍ ســـلبيةٍ، بوصفـــهِ مســـتقبلاً. امَّـــا الكـــلامُ -بمعنـــى القيـــام بعمليـــة التكلـــم- فيســـتدعي صُـــورَ الكلمـــات

---

(١) ينظر: اللغة والنحو: ٧، فقه اللغة، للمبارك: ١٤

(٢) الخصائص: ٣٣/١ ، علما ان صاحب الفلسفة اللغوية / عرفها بتعريف ابن جني دون ان يشير اليه / ينظر: الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية : ١٩

(٣) ينظر: نظريات نشأة اللغة عند العرب، (بحث) منشور في مجلة المورد، م٧ ع٣ /١٩٧٨ : ١٠-١٢

(٤) ينظر: فقه اللغة في الكتب العربية : ٦١، اللغة العربية عبر القرون: ٤، اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٤

(٥) ينظر: في علم اللغة العام: ٢٢

(٦) دور الكلمة في اللغة: ٢٩

والرموزِ الاخرى التي انطبعت في اذهان كُلِ المتكلمين، ثم يُرجعها الى اصواتٍ فعليةٍ واضحةٍ ذاتِ مغزى[١].

(ومهما يكن من امرٍ فإنّ هذه اللغةَ في اشكالها الملفوظة والمكتوبة هي اداةٌ عجيبةٌ تنتقل بها الأشياءُ التي تقع عليها حواسُنا الى أذهانِنا ،فكل ماتموجُ بهِ الدنيا مِن مشاهدَ وصورٍ في الطبيعةِ او المجتمع، ينتقل الى الذهنِ بطريقةِ الكتابة او اللفظ، وكذلك كل ما في الذهنِ من خواطرَ ومشاعرَ وافكارٍ ينتقل الى الآخرين، وينتقل من عصرٍ الى عصر ، ومن جيلٍ الى جيل. فاللغة هي الجسرُ الذي يصل بينَ الحياة والفِكر، تسبق وجودَ الأشياء احياناً وتلحقها احياناً أُخَر، فالفكرة التي تجول في الذهن مجردةٌ تنتقل الى شَيءٍ يتحقق وجودُه، وبعد أَنْ يوجَد الشئ ينتقل الى اذهان الآخرين بطريقةِ اللغة)[٢].

وليس مهماً في سياق البحث هذا أَنْ نعرفَ أَنَّ لفظ (لغة) على زنة(فُعلة) بضم الفاء من لَغوتُ أي تكلمت واَصل هذه الكلمة هو (لغوة)[٣]، لأن ذلك ليس من صميم البحث، انما الذي يهمنا هو اصواتُها ونشأتُها.

اما البحث في قضية نشأةِ اللغة، فقد شَغلَ الناسُ به منذ القديم[٤]، ولايزالون يشتغلون به، حيث يرى البعضُ أَنَّ البَحث في هذا الموضوعِ متجذرٌ في العُرفِ البشري عامةً وهو بحكم ذلك قد كان من المشاغلِ الامهات في تاريخ الفِكْر العربي الاسلامي[٥].

ولقد شارك علماءُ كُثْرٌ-على اختلاف معارفهم-في محاولة الاجابةِ عن الاسئلة التي طُرحَتْ في كيفية نشوءِ هذه اللغة، غيرَ أَنَّ الدرسَ اللغوي الحديث يقرر-في نهاية الامر-تنحيةَ البحث في هذا الموضوع (حذفه) من مباحثه ، لأن (العلم) لا يبحث إلاّ في ما تؤكده (المادة) المحسوسةُ، وليس من سبيل الآن لدى الانسان،أَنْ يصلَ في هذاالموضوع الى نتيجةٍ يطمئنّ اليها المنهجَ

---

(١) ينظر دور الكلمة في اللغة ٢٩-٣٠/والمزيد من التفاصيل في تعريفات اللغة، ينظر: توطئة لدراسة علم اللغة، التعاريف: ١٣٠-١٤٠.

(٢) فقه اللغة وخصائص العربية: ١٤

(٣) ينظر: انخصائص: ٣٣/١، جمهرة اللغة: ١٥٤/٣ و ٢٦٤/٣، معجم مقاييس اللغة: ٢٥٥/٥، سر الفصاحة: ٤٨، اللسان: مادة (لغا) : ٢٥٠/١٥، وينظر: تفصيل ذلك في: اصول اللغة والنحو: ٩-١١، مولد اللغة: ١١-١٣

(٤) ينظر: محاضرات في اللغة، القسم الأول: ١٠، فقه اللغة العربية: ٣٠

(٥) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية: ٥٧

(العلمي) وكلّ ما يكون الوصولُ اليه لا يكونُ إلّا ضرباً من الاجتهاد، يَخرجُ عن حيِّز التخمين أو الافتراض[(١)].

ولقد يَئِسَ غالبيةُ البَاحثين من التوصل الى معرفةِ الحلِ النهائي الصحيح في النشأة هذه، مما دفعَ بعضهم الى طرحها جانباً، وعدم اضاعة الجهدِ والوقت في قضيةٍ خاسرةٍ لا نتيجةَ لها، (فليس باستطاعتنا أنْ نصل الى نتائجَ نهائيةٍ في هذا الشأن. اننا اولاً وقبلَ كلِّ شئ لانعرف ما إذا كانت اللغةُ الانسانية قد ظهرت في مكانٍ واحد، او في اماكنَ متعددةٍ على وجه الارض، كما انه ليس من المنتظرِ انْ نحصلَ علىشواهدَ تدل دلالةً مباشرةً على ما قد حدث بالفعل منذ نصفِ مليون سنة او ما يقرُبُ من هذا التاريخ)[(٢)] . حتى اننا نلاحظُ إطالةَ النقاشِ فيها، واستمراره عشرات القرون دون جدوى، ولهذا يقول فُندريس: (إنَّ مسألة أصلِ الكلام ليست من مسائلِ علم اللغة)[(٣)] ، ومن اجل هذا قررت الجمعيةُ اللغوية في باريس سنة ١٨٧٨م منعَ تقديم ابحاث عن هذا الموضوع[(٤)] .

وقد اختلف الباحثون والعلماءُ في نشأةِ اللغة وذهبوا في ذلك مذاهبَ شتى[(٥)] بعضُها اعتمد على النقل والإخبار والتسليم بهما دون نظرٍ وتمحيصٍ، وبعضُها اعتمد المنطقَ المجردَ من حيث فهمُ طبيعةِ المجتمع وتشعبِ حاجاته وازديادها المؤدي إلى نشوءِ الألفاظ الجديدة والمسميات الأُخرى، وبعضُها مما يؤيده العلمُ اللغوي الحديثُ وان كانت من الاراء القديمة، وهذا ما يجعلنا اكثرَ اعتزازاً بنتاج اسلافِنا العلماء[(٦)] .

وابن حزم قد أدلى دلوَه في مجال نشأةِ اللغة كغيره من العلماء الذين سبقوه، وجعلَ كلامَهُ عن ذلك مدخلاً رئيساً لكتابه(الإحكام في اصول الأحكام)، حيث استهله بالحديث عن قضيةِ نشوءِ اللغة، وبعد ذلك توصّلَ إلى الحكم الاخير في الأخذ بالرأي الصائبِ في هذا المجال من خلال الادلة والبراهينِ العقلية والنقلية التي اعتدَّ بها ابن حزم، جاعلاً منها الركنَ الاساس الذي استند اليه في عرضه لاتجاهه الظاهري الذي انفردَ به.

---

(١) ينظر: فقه اللغة في الكتب العلابية: ٧٧
(٢) دور الكلمة في اللغة: ٨٨، (في الاصل: ماذا كانت، والصحيح: ما إذاكانت).
(٣) اللغة: ٣١، وينظر: فقه اللغة وخصائص العربية: ١٨٦-١٨٧
(٤) ينظر: فقه اللغة في الكتب العربية: ٧٧، من قضايا اللغة والنحو: ٢٦١
(٥) ينظر: المزهر: ٨/١
(٦) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية: ٥٧-٥٩

(حيث ينادي ابن حزم دائماً بقداسة النص اللغوي، والوقوف امامه والتمسك الشديد بحرفيته وعدم الخروج عن معانيه الظاهرة، شأنه في ذلك شأن اصحاب الظاهر حيث يرون ان اللغة مقدسة وكاملة لاتحتاج الى تعديل او زيادة لأنها من عند الله خالق كل شيء)[١]، ونظرته هذه هي نظرة الاصوليين لانهم ركنوا فيها الى العقل والادراك والفهم لمعاني الكلمات مفردةً ومركبةً وكذلك العناية بالاساليب المختلفة للجملة لأنّ غرضهم هو الوصول الى معرفة معنى الكلام، وهذا لايتم إلاّ عن طريق فهم الانماط المتباينة للجملةومعرفة الانماط الاصولية لها[٢].

وقد استعرض ابن حزم في بداية كلامه النظريات القائلة بتفسير كيفية نشأة هذه اللغات، وتعديل نشوئها، بشكل مُفصّل حيناً، وبشكل موجز حيناً آخر، ومن اهم هذه النظريات :-

١- نظرية القائلين بالوحي والتوقيف الالهي:- (يقرر هذا الرأي ان الفضل في نشأة اللغة الانسانية يرجع الى الهام الهيّ هبط على الانسان فعلّمه النطق وأسماء الاشياء)[٣]. وقد ذهب الى الاخذ بهذا الرأي في العصور القديمة الفيلسوف اليوناني هيراكليت Heraclite [٤]، وقد ناقش اليونانيون مشكلة النشأة هذه، و اختلف الرأي فيها أهي طبيعية ام اصطلاحية[٥]، وقد اخذ بهذه النظرية ايضاً بعض علماء الهنود الذين رأوا أن اللغة (قديمة وهي هبة الهية وليست من صنع البشر. وصرّحوا أنّ المعنى الاساسي للفظ لم يأتِ عن طريق الاصطلاح ولكن عن طريق الاله)[٦]. وقد ايد هذه النظرية جمهرة من العرب المسلمين، والعديد من المفسرين والفقهاء[٧]. وأخذ بهذا الرأي ايضاً متكلمو الاشاعرة والاصوليون[٨].

---

(١) ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية:١٠٠

(٢) ينظر: منهج البحث الادبي بين التراث وعلم اللغة الحديث: ٤٨-٤٩

(٣) نشأةاللغة عند الانسان والطفل: ٣٠،و ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية: ٦٧، علم اللغة،(وافي:٨٨، نصوص ودراسات عربية وافريقية: ٨٧

(٤) ينظر: نشأة اللغة عند الانسان والطفل: ٣٠

(٥) ينظر:محاضرات في اللغة: ١٠-١١

(٦) البحث اللغوي عند الهنود: ٩٩

(٧) ينظر: مجمع البيان: ١/٧٧، الجامع لاحكام القرآن: ١/٢٨٢، البحر المحيط: ١/١٤٥، روح المعاني: ١/٢٢٤

(٨) الاقتراح في علم اصول النحو: ٦، المزهر: ١/٨، روح المعاني: ٢/٢٢٤، رواية اللغة: ٢٩٨، فقه اللغة العربية: ٣٤

وفي العصور الحديثة اخذت طائفة من العلماء بهذا الرأي امثال الاب لامي Lami في كتابه (فن الكلام)، والفيلسوف دوبونالد VicomtdeBonald في كتابه (التشريع القديم) [١].

ولا يكاد اصحاب نظرية التوقيف الالهي هذه يقدّمونَ بين يَدي مذهبهم دليلاً عقلياً يُعتدُ به. امّا بالنسبة لادلتهم النقلية فبعضُها يحتمل التأويل والأخرُ يكاد يكون دليلاً عليهم لا لَهمْ. فالمؤيدون لهذا الرأي من باحثي العرب يعتدّون بقوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا)[٢]، وهذا النص يبدو انه ليس صريحاً بما فيه الكفاية للجزم والاخذ بهذه النظرية، اذ يحتمل انْ يكونَ معناه-كما ذكر ابن جِنّي وذهب اليه أئمةُ المفسرين-أنّ الله تعالى أقْدَرَ الانسان على وضع الالفاظ[٣]. واما القائلون بهذه النظرية من الفرنجة، فيعتمدون على ماورد في سِفْر التكوين اذ يقول: (وَجَبَلَ الرّبُّ الإلهُ منَ الأرض كُلَّ حيوانات البَرِيَّةِ وكُلَّ طيور السَّماء. فأحضَرها إلى آدمَ ليرىَ ماذا يَدْعوها. وَكُلُّ ما دَعَا به آدم ذاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُها. فدَعَا آدمُ بِأسْماءِ جميع البَهائِم وطيور السَّماءِ وَجميع حيوانات البَرِّيَّة)[٤].

وقد اصطفى ابن حزم لنفسه فكرةَ الاخذِ بهذا المذهب، حيث يقول: (إنَّ اصلَ الكلام توقيفٌ من الله عز وجل بحجةٍ وسمع، وبرهانٍ ضروري، فاما السمع، فقول الله عز وجل (وعلَّم آدمَ الأسماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرضَهُم عَلى المَلائِكَة)، واما الضروري بالبرهان فهو أنَّ الكلام لوكان اصطلاحاً لَما جاز أنْ يصطلحَ عليه إلا قومٌ قد كملت اذهانُهم، وتدربتْ عقولُهم، ونمت علومُهم، ووقفوا على الاشياء كلّها موجودةً في العالم، وعَرَفُوا حدودَها واتفاقها، واختلافَها وطبائعَها ،وبالضرورة نعلم أنّ بينَ وجود الانسان الاول، وبين بلوغه هذه الصفةِ سنينَ كثيرةً جداً يقتضي في ذلك تربيةً، وحياطةً، وسبيلاً الى تعايش الوالدينَ والمتكفلينَ والحُضّان إلاّ بكلام يتفاهمون به مراداتهم فيما لابدَّ لهم منه، فيما يقُومُ معايشَهم من حرثٍ أوْ ماشيةٍ أوْ غِراسٍ، ومن معاناة ما يطرد من الحَرِّ والبرد والسباع...، ولابد لكل هذه من اسماء يتعارفون بها ما يعانونَهُ من ذلك، وكلُّ انسان فقد كان

---

[١] ينظر: نشأة اللغة عند الانسان والطفل: ٣٠

[٢] البقرة: ٣١

[٣] ينظر: الخصائص ١/٤٠-٤١، الفلسفة اللغوية (هامش الناشر) :١١٣، نشأة اللغة عند الانسان والطفل: ٣١

[٤] الكتاب المقدس، سفر التكوين، الاصحاح الثاني:٥-٦ وينظر: التعليق على ذلك في: الدراسات اللغوية عند العرب: ٤٤

في حالة الصغر التي ذكرنا من امتناع الفهم والاحتياج الى كافل،والاصطلاح يقتضي وقتاً لم يكن موجوداً قبله لانه من عمل المصطلحين ، وكل عمل لابدّ من أنْ يكون له اول؛ فكيف كانت حال المصطلحين على وضع اللغة قبل اصطلاحهم عليها؟ فهذا من الممتنع المحال ضرورة)[١].

وابن حزم هنا يُذعِنْ لصريح الاية فيرى انها دلّتْ على توقيف مباشر من الله ثم يحاول أنْ ينظرَ الى هذا التفسير نظرةً عقليةً فيبني جدلية النشأة اللغوية على استدلالٍ متناسِلٍ يُفضي الى ربطِ قضيةِ اللغة بالبرهان على وجود الله باعتبارهِ معلّمَ كلِّ شيءٍ[٢]على انه-استطرادٌ لتدعيم نظريتِهِ- يصوغ بعضَ المقومات المبدئية عادّاً إياها برهانيةً بالاضطرار، وتتدرج اساساً على محور الزمنية[٣]، إذ يقول: (وامّا الضروريّ بالبرهان فهو أنّ الكلام لو كان اصطلاحاً لما جاز أنْ يصطلحَ عليه الأقوامُ قد كَمُلَتْ اذهانُهم وتدربت عقولُهم، وتمت علومُهم...)[٤].

وبهذا نلاحظ انه قد اخذ بالقول بتوقيفيةِ اللغةِ، وقامَ بتعضيد كلامِه بالسمع القاطع،والبرهانِ الضروري، مستنداً كغيره من اللغويين العربِ المسلمين الى قوله تعالى: (وعَلّم آدمَ الاسماءَ كُلَّها...).وهذا الرأي قد تبنّاه اصحابُ الظاهرِ جميعُهم باعتبار أنّ العاملَ هو المتكلم نفسُه[٥].

ويبدو أنّ هذا هو الرأيُ الراجحُ الذي استراح لديه إذْ خلّصَه من كلّ ما أورده من اعتراضٍ على غيرهِ في هذا المجال[٦] وتعليقاً على ذلك نقول: إنّ توجيهَ هذه الاية الكريمةِ بتلك الصورة يُحمّل النصَ فوق مقصده، ويحمّل ايضاً القدرةَ العقليةَ لآدم فوق طاقتِها، ذلك أنّ الله تعالى قد ألهَم آدمَ بعضَ الأسماء، ومدلولاتِها مما كان يُحيط به في زمنه، ومماكانت تدعو حاجتُه اليه، ويتجه دائماً نحو التعليم بما يُوحي الى فائدة الموحى اليه بقدر حاجته وامكانه ولا مزيد- هكذا عوّدنا التنزيل - وفي النصوصِ الموحى بها خيرُ دلالة عليه، وهذا هو مقصدُ الآية، فاذا انتقلنا الى القدرة العقلية

---

(١) الإحكام في اصول الأحكام: ٢٨/١
(٢) ينظر:الإحكام في اصول الاحكام: ٢٩/١ ،وينظر: التعليق على ذلك في التفكير اللساني في الحضارة العربية: ٦٨
(٣) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية: ٦٨-٦٩
(٤) ينظر: الإحكام في اصول الأحكام: ٢٩/١
(٥) ينظر: ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية: ١٠٠-١٠١، ١٠٥، اصول النحو العربي: ٢٥٥
(٦) ينظر: نظرات في اللغة عند ابن حزم:١٧

البشرية لآدم، استعصى على العقل أن يقتنع بأنَّ آدم كان له من الادراك ما يعي به كلّ مسميات ما يموج به الكون مما يُرى ولا يُرى، وما كان ومما سيكون، و ما زال الناسُ يتكشفونه خلال حياتهم التي استغرقت ملايين السنين ويعلم اللهُ كم تستغرق![1]ويرى الباحثُ أنَّ الخوضَ في توقيفية اللغة هذه، التي تطرّقَ اليها اغلبُ العلماء -وابن حزم - من بينهم كانت غايتُه تعبديةً اكثرَ منها علمية، فقد كانوا، يصدرون في آرائهم من تَدَيُّنٍ وتَحفُّظ ورغبةٍ في ان يكون اللهُ موجِدُ كلِّ شئ وسببَ جميعِ الظواهر وخالقُ الناس وألسنتِهم وطباعِهم، وقلنا - غير علمية- لافتقار هذه الآراء الى حجة علمية مقنعةٍ من جهة، ولمخالفتها سننَ التطور المنطقية، وطَبيعة نشأة الظواهر الاجتماعية من جهةٍ اخرى[2].

ومما يؤيد كلامَنا هذا هو اذ عانَ العديد من العلماء بحريةِ القول في هذه النشأة، أمثالِ ابن عباس والاشعري وأبي علي الفارسي وابن جنّي وابن فارس، وغيرهم، فنحن نعرف ما لهؤلاءِ مِن الاسلام والالتزام بنصوصه وتشريعاته، أنّ ابا علي الفارسي وابن جني كانا من المعتزلة الذين عُرفُوا باستخدام العقل والتحررِ المنطقي من النص وجدناهما يترددان كثيراً بين المذاهبِ المختلفة في نشأة اللغةِ من غيرِ التزام بالتوقيفِ الذي قالا به مرة من المرات، فهما في هذا التنقل يَجمعانِ بين التعبّدِ المَحْضِ والاعتزال، وبين النقل والعقلِ، وهذا التفسير لا نجدُه عند ابن عباس أو الاشعري أو ابن فارس الذين كان لهم من اختصاصاتِهم في التفسير والفقه ما يخولُهم، أنْ يَجزموا بتوقيف اللّغةِ من الله[3].

وابن حزم كغيره من العلماء، فحينما تعرّضَ للقول بنشأة اللغة، والأخذِ بالتوقيف، كان بحثُه من ناحية اصولية فقهية، ولا سيّما هو من اصحابِ الظاهر، الذي يعتمد بالدرجة الاولى على فَهمِ الآية القرآنية أو النص القرآني بصورةٍ واضحة من دون تعقيد. وعدمِ الاعتماد على التأويل في ذلك، حيث يرفده الايمانُ المطلقُ بقداسةِ اللغة التي هي لغةُ القرآن والتشريع.

---

[1] ينظر: التصور اللغوي عند الاصوليين: ٥٢-٥٣

[2] ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب: ٤٤٥

[3] ينظر: نظريات نشأة اللغة عند العرب، المورد، م٧ع٣ ،١٩٧٨: ١٣

والذي يؤيد كلامنا هذا هو انّ القائلين بنظرية التوقيف في العصور الحديثة من أمثال الاب لامي والفيلسوف دوبونالد كليهما يصدران عن ذهنية تحترم النقل، ولابدّ انهما اعتمدا على النص الذي وُجدَ في سفر التكوين، فيكونان بذلك ممن يَصدُقُ عليهم تفسيرُنا الذي ذكرناه فيمن يذهب الى القول بتوقيفية اللغة(١).

٢- القائلون بالاصطلاح والتواضع :- وحاول اصحابُ هذا المذهب تفسيرَ نشأة اللغة على أنها اصطلاح وتواضع، أوْ كما تسمى ايضاً مُواضعة(٢)، من خلال الاتفاق بين الناطقين عن طريق المواضَعَة، بحيثُ يكون ارتجالُ الالفاظِ أساساً في بناء اللغة(٣).

وقد ذهب الى هذا الرأي والأخذ به عددٌ غيرُ قليلٍ من العلماء، حيث لقي رواجاً في المدارس الاسلامية التي تُعنى بالعقل، وخاصةً المدارس الاعتزالية، ومَن هو قريبٌ من آرائهم كالشيعة الامامية، وان كان الذين ذهبوا اليه منهم قليل(٤).

وممن ذهب الى هذا الرأي من فلاسفة اليونان القدامى ديموكريت Democrits (من فلاسفة القرن الخامس ق. م.)(٥). وقد اشار الهنود الاوائلُ الى ذلك في أحد آرائهم في نشأة اللغة(٦).

وذهب بعض علماء المسلمين كذلك الى هذا المذهبِ ومنهم الاخفشُ الاوسط(٧)- وان كان قد جمع بينَ الرأيين (٨)- وايضاً ابن جنّي في احد اقواله ولعل استاذَه ابا علي الفارسي مالَ اليه في شئ من تأويل رأيه، وقد قال بهذا الرأي ابو اسحاق الاسفراييني (ت ٣١٦ هـ) (٩) ، وابنُ خلدون

---

(١) ينظر : نشأة اللغة عند الانسان والطفل :٣٠

(٢) ينظر : الصاحبي :٣٣

(٣) ينظر : في علم اللغة العام : ٧١

(٤) ينظر : فقه اللغة العربية : ٤٠

(٥) ينظر : الفلسفة اللغوية : ١٣٢(هامش الناشر) ، نشأة االلغة عندالإنسان والطفل : ٣٢

(٦) ينظر : البحث اللغوي عند الهنود: ١٠٠

(٧) ينظر : الخصائص : ٤٤/١

(٨) ينظر: فقه اللغة العربية : ٤٠

(٩) ينظر: التصور اللغوي عند الأصوليين:٤٦

(ت ٨٠٨ هـ)[١]، ولا نميلُ الى القول بأنَّ السيوطي (ت ٩١١هـ) قد قال بهذه النظريةِ وانما عرضَ كلَّ النظريات دون أنْ يُبديَ رأياً، خلافاً لمن عدّه مِن القائلين بها[٢].

وفي العصور الحديثة قال به من الفلاسفة الانجليز آدم سميث Adam Smithe وريد Reid ودجلدستيوارت Dugald Stewart[٣]، وقد قال بهذه النظرية ايضاً جُرجي زيدان من العرب[٤]. فبعد أنْ تساءَل (هل اللغة ضرورية توقيفيةام مكتسبة اصطلاحيّة) وبيَّنَ أنَّ الانسان ينشأ على اللغةالتي يتكلم بها قومُه، ولو أنَّ الانسانَ بين قوم آخرين لكان قد تكلَّمَ لغتَهم وهكذا، ينتهي الى النتيجةِ بقوله:(وجملة القول أنَّ اللغة مكتسبةًاصطلاحية والقضيةُ واضحة جلية)[٥]، غيرَ أنَّ ما يُلاحَظُ هنا انه قد فَهِمَ الاصطلاح على انه اكتساب، والامر مختلفٌ تمامَ الاختلاف عند اسلافهِ اللغويين العربِ الذين فهموا الاصطلاحَ على أنّه اجتماعُ الحكماء واتفاقُهم على وضع ما يريدون بالايماءِ المصحوبِ بلفظ الاسم. والاكتسابُ شئ يقررُه العلمُ اللغوي الحديث وهو بعيدٌ عن الاصطلاح أوالتواضع الذي تقصدُ اليه هذه النظرية[٦].

وقد اختلفَ اصحابُ هذا المذهبِ فيما بينهم، فمنهم مَنْ رأى أنَّ آدمَ (ع) وغيره، هو الواضع للغة، وهم المعتزلة، ويُسمّى مذهبُهم مذهبَ الاصطلاح[٧]، ومنهم من ذهب الى أنَّ الواضعَ جماعةٌ من الحكماء

---

(١) ينظر: مقدمة ابن خلدون.

(٢) ينظر: المزهر: ١/١٨

(٣) ينظر:علم اللغة لوافي:٩٠، نشأة اللغة عند الانسان والطفل:٣٢

(٤) ينظر: الفلسفة اللغوية: ١٢٩

(٥) المصدر نفسه: ١٢٩-١٣٠

(٦) ينظر: نظريات نشأة اللغة عند العرب، المورد ،م٧ ج٣ : ١٥-١٦

(٧) ينظر:الخليل بن احمد الفراهيدي :٨٤

استعانوا على وضع اللغة بالاشارة وتكرارها كما يفعل المربون في تلقين الاطفال (كأن يجتمع حكيمان او ثلاثة فصاعداً، فيحتاجوا الى الإبانة عن الاشياء الى المعلومات، فيضعوا لكل واحد سِمَةً ولفظاً، إذا ذكر عرف به مسمّاه، ليمتاز من غيره، وليُغْنى بذكره عن احضاره الى مرآة العين، فيكون بذلك اقربَ واخفَّ واسهلَ من تكلف إحضاره، لبلوغ الغرض في إبانة حاله. بل قد يحتاج في كثير منَ الأحوال الى ذكر ما لا يمكن إحضارُه ولا إدناؤُه، كالفاني، وحال اجتماع الضدّين على المحل الواحد، كيف يكون ذلك لو جاز، وغير هذا مما هو جار في الاستحالة والبعد مجراه، فكأنهم جاءوا الى واحدٍ من بني آدم (ع)، فأومأوا إليه، وقالوا: إنسان إنسان إنسان، فأيَّ وقتٍ سُمِعَ هذا اللفظ عُلِمَ أنَّ المرادَ به هذا الضَّرْبُ من المخلوق)(١).

وقد استمد اصحاب هذا الرأي -كما يقول الدكتور ابراهيم انيس- من المنطق العقلي، وفسروا ما ورد من نصوص بما يلائم اتجاهَهم، إلاّ انه لا يُعلمُ لهذه الفئة من القائلين زَعيمٌ استمسك بهذا الرأي جهاراً، ودافع عنه في ثبات وإصرار، بل نُسِبَ هذا الرأي الى ابن جِنّي كما ورد في النص السابق- واستاذه ابي علي- وغيرِهم ممن جاءوا بعد ذلك(٢).

وليس لهذه النظرية أيّ سندٍ عقليّ او نقليّ او تاريخيّ. بل إنّ ما تقرره ليتعارض مع النواميس العامة التي تسير عليها النظمُ والقوانين الاجتماعية، وهذه النُّظم لا تُخلَقُ من العدم ولا تُرتجل ارتجالاً. بل تتدرجُ في وجودها شيئاً فشيئاً من تلقاء نفسِها حتى تستوي نظاماً ناجحاً مكتملاً، هذا الى ان التواضع على التسمية يتوقف في كثير من مظاهره على لغة صوتية يتفاهم بها المتواضعون. فما يجعله اصحابُ هذه النظرية منشأ للغة

---

(١) الخصائص: ٤٤/١

(٢) ينظر: دلالة الالفاظ: ١٧-١٨، فقه اللغة العربية: ٤٠

يتوقف هو نفسه على وجودها من قبل[١].

أما بالنسبة لابن حزم فقد كان من أشد اللغويين عنفاً في محاربة الفكرة القائلة بالاصطلاح والمواضعة، إلا أن المتتبع لكلامه واقواله المبثوثة في الكتاب، يلاحظ انه كان يعلن بين الحين والآخر عن ايمانه الصريح لبعض الاجزاء الاساسية من آراء اهل الاصطلاح، حيث كان مثلهم يؤمن بالالفاظ المشتركة ويجاريهم في الإقرار بوجودها في اللغة[٢]، مخالفاً بذلك جمهور العلماء المتمسكين بالمذهب التوقيفي الذين كانوا يعتقدون أن لكل مسمى لفظاً واحداً لا يمكن أن يشترك في اي مسمى آخر، كما لا يمكن أن يتشارك لفظان أو اكثر في مسمى واحد[٣].

فابن حزم يصرح من خلال اقواله المبثوثة في الكتاب انه لا ينكر اصطلاح الناس فيما بينهم على إحداث لغات شتى[٤]. من خلال جعله المجموعة اللسانية هي المعنية مباشرة بأمر المواضعة والاصطلاح. فتكون صاحبة التشريع في الوضع اللغوي[٥].

أي أنه في بداية كلامه يشدد القول بالانكار على اصطلاح اللغة بين الناس، ولكنه بعد ذلك يعود فيخفف من حدة القول وهذا الرفض الصارم، فيجوّز ان تكون هذه اللغة اصطلاحاً وتواضعاً.

اما بالنسبة لأدلته في هذا الرفض في اصطلاح الناس على هذه اللغات فكانت:-

(١)ان هذا الاصطلاح يستدعي بالضرورة وجود تطور عقلي بشري

---

(١) ينظر: علم اللغة ، وافي : ٩٠ ، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل : ٣٢

(٢) سنلاحظ العديد من الأمثلة على وجود الألفاظ المشتركة في المبحث الثالث من هذا الفصل التي تؤيد ان ابن حزم قد اعترف بوجود هذه الألفاظ.

(٣) ينظر : ابن حزم لغوياً :٣١١

(٤) ينظر : الإحكام في اصول الأحكام : ١/ ٣٠

(٥) ينظر : التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٧٧

ولغة، وامكانية علمية وثقافية ناجحة، واطلاع شامل على طبائع الحياة، وما تحويه من اصناف المخلوقات وانواعها، ومعرفة بكل صغيرة وكبيرة في هذا العالم الواسع المترامي الاطراف، وهذا ما لم يتمتع به الانسان في بداية وجوده على هذه الارض، إذ انّ الانسان في نظر ابن حزم يحتاج الى العديد من السنوات حتى يرتقي الى سُلَّم اللغة هذه وابتداعها فهو يقول: (إنّ الكلام لو كان اصطلاحاً لَمَا جاز أنْ يَصطلِحَ عليه إلا قومٌ قد كَمُلَتْ اذهانُهم وتدربت عقولُهم، وتمت علومُهم، ووقفوا على الاشياء كلِّها الموجودة في العالم، وعَرَفُوا حدودَها، واتفاقَها، واختلافَها وطبائعَها ، . . . ، ومِنْ معاناةٍ ما يُطردُ به الحَرُّ والبردُ والسباعُ، ويعاني به الامراضَ، ولابدَّ لكل هذا من اسماء يتعارفون بها ما يعانونه من ذلك، وكل انسان فقد كان في حالة الصغر التي ذكرنا من امتناع الفهم والاحتياج الى كافل)[1] .

(٢) ويقول إنّ الاصطلاح على وضع لغةٍ لابدَّ من أن يكونَ باستخدام كلامٍ متقدمٍ قد اتفقَ المصطلحون عليه، أوْ مِنْ خلالِ الاشارات التي اتفقوا على فهمها، فيقول: (إنّ الاتفاقَ على فهم تلك الاشارات لا يكونُ إلا بكلام ضرورة و معرفة حدود الاشياء وطبائِعها التي عبَّر عنها بالفاظ اللغاتِ لا يكون إلا بكلامٍ وتفهيمٍ، ولابد[2] من، فقد بطل الاصطلاح على ابتداء الكلام)[3] .

(٣) ومثلما رفض ابن حزم الاعتقاد بكون اللغة في بداياتها كانت رموزا صوتية واشارات،وانما هي في نظره عبارة عن الفاظ وكلمات ناضجة في بداية امرها، وهي باجمعها تتكون من الحروف التي تم تجميعها وتركيبها، لذا فهو يتساءل عمن قام بهذا التجمع والتركيب، اذ لابد لكل فعل

---

(١) الاحكام في اصول الاحكام : ٣٠/١ ، وينظر : ابن حزم لغوياً : ٢١٠ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه :٢٨/١ _ ٢٩، في الاصل لابد والصحيح ولابد .

(٣) المصدر نفسه : ٢٩/١ .

من فاعل يقوم به، فان قالوا: انه الانسان، ابطل ذلك وكذبه، لانه لابد لهذا الانسان من ان يكون قد تعلم هذا الفن والعلم من غيره، وهذا بدوره من شخص آخر، وهكذا سيتسلسل الامر في منهجه حتى يصل الى الفاعل الحقيقي الاول وهو الله. وبذلك يقول ابن حزم: (والكلام حروفه مؤلفة، والتأليف فعل فاعل ضرورة لابد له من ذلك، وكل فعل فله زمان ابتدئ فيه، لان الفعل حركة تحدها[1] المدد، فصح لهذا التأليف اولا، والانسان لا يوجد دونه، وما لم يوجد قبل مدة له اول ضرورة، فصح ان للمحدث محدثا بخلافه، وصح ان ما علم من ذلك مما هو مبتدأ من عند الخالق تعالى، مما ليس في الطبيعة معرفته دون تعليم فلا يمكن البته معرفته الا بمعلم علمه الباري اياه، ثم علم هو اهل نوعه ما علمه ربه تعالى)[2] .

(٤) ويقول ايضا ان الايمان بالاصطلاح يقتضي وجود مرحلة زمنية سابقة كان الناس يعيشون فيها صامتين بلا لغة معينة تعينهم على تبادل الافكار والاحاسيس.

وهذا في تصور ابن حزم وهم وخيال لا يتحقق، لان وجود الانسان عنده مرتبط ارتباطا وثيقا بوجود اللغه فلا انسان بلا لغه كما انه لا لغة بلا انسان. يقول: (الاصطلاح يقتضي وقتا لم يكن موجودا قبله، لانه من عمل المصطلحين، وكل عمل لا بد من ان يكون له اول فكيف كانت حال المصطلحين على وضع اللغة قبل اصطلاحهم عليها؟ فهذا من الممتنع المحال ضرورة. وهذا دليل برهاني ضروري من ادلة حدوث النوع الانساني، ومن ادلة وجود الواحد الخالق الاول تبارك وتعالى، ومن ادلة وجود النبوة والرسالة لانه لا سبيل الى بقاء احد من الناس ووجوده دون كلام)[3].

---

(١) ينظر : الاحكام في اصول الاحكام : ٢٩/١ في الاصل، تعدها، والصواب ما ثبته

(٢) المصدر نفسه : ٢٩/١ / وينظر : ابن حزم لغويا : ١٤٠-٢١٠

(٣)المصدر نفسه : ٢٨/١ _ ٢٩

ونحن نرى أنّ كلام ابن حزم بضرورةِ الكمال لاهلِ الاصطلاح؛ لتأكيد قدرتهم على المواضعة لا يسعنا إلاّ عدمُ قبوله ، فعلماء الامس البعيد كانوا يحفلون بكل تقدير مع قلةِ ما كان لهم وسمع لهم- كما هو متبادر من كلام ابن حزم-، حيث عاش مجتمعُهم يأخذ عنهم ما بايديهم ويقرر لهم الاقتدار، ولذلك فانه قد يكون مَنْ قامُ بالمواضعةِ منهم ليسوا بالاقتدارِ الذي يتفقُ واللغةَ التي وجدها ابنَ حزم في زمانه، غيرَ أنّ الاخذَ برأيه هذا يغفلُ عامل التطور على مدار الآف السنين الذي عمل في الموضوع من الالفاظ زيادة وتهذيباً كلما دعت الحاجةُ الى ذلك[1].

(٣) مذهب المعتقدين بعامل الاماكن والبلدان:- وكان اصحاب هذا المذهب يَرونَ أنّ اللغات انما نتجت عن طريق تأثرِها بالاصقاع الجغرافية، من خلالِ التفاعلِ البشري مع الظروفِ المحيطة بالسكان[2]، حيث يقولون: (ان الاماكنَ اوجبتْ بالطبع على ساكنيها النطقَ بكل لُغةٍ نطقوا بها)[3].

وقد رَدَّ ابن حزم هذا القول، واصفا اياه بانه محالٌ ممتنع، لانه لو كانت اللغاتُ على ما اوجبته الأمكنةُ لَمَا وُجدَ مكانٌ إلاّ بلغةٍ خاصةٍ قد اوجدتها انطباع، حيث قال: (وهذا يُرى بالعيان بطلان هذا المذهب لأنّ كلّ مكان في الاغلب قد دَخلتْ فيه لغاتٌ شتى على قدرِ تداخل أهل اللغات ومجاورتهم، فبطلَ ما قالوا)[4].

وقد أوردَ ابن حزم دليلاً آخر علىٰ تكذيبِ اصحابِ هذا المذهب استند فيه الىٰ أنّ قضية تسمية الاشياء باسمائها المعهودةِ في اللغة بزعم هؤلاء قد نتجت عن طريق الطبيعة المكانية، وهذه القضية تحتاج دائما الى تفسيرٍ وتأويل، حيث سيبقى التساؤلُ مطروحا دائما عن السبب الذي مِن اجلهِ سمي هذا المسمى بهذا الاسم دون غيره. (فليس في طبعِ المكان أنّ

(١) ينظر : التصور اللغوي عند الاصوليين : ٥٣

(٢) ينظر ابن حزم لغويا : ٣٠٤

(٣) الإحكام في اصول الأحكام : ٢٩/١

(٤) المصدر نفسه :٢٩/١

يوجب تسمية الماء ماء دون ان يسمى باسم اخر مركب من حروف الهجاء)[١] .

(٤) مذهب القائلين بعامل الاصوات التعجبية او العاطفية، او نظرية Pooh-Pooh [٢] :-

وتعني هذه النظرية (أنّ الكلمات الاولى التي نطق بها الانسان كانت اصواتاً تعجبيةً عاطفيةً، صادرةً عن دهشةٍ او فرحٍ او حزنٍ او استغراب، او تقززٍ او تأفف)[٣] .

ومعنى هذا الكلام أنّ نشأة اللغة هذه ترجعُ الى غريزةٍ خاصة زوّدَ بها في الاصل جميعُ افراد النوع الانساني، وأنّ هذه الغريزة كانت تحمِل كُلّ فردٍ على التعبير عن كل مُدركٍ حسي أومعنوي بكلمة خاصةٍ به ، كما أنّ غريزة التعبير الطبيعي عن الانفعالات تحمل الانسانَ على القيام بحركاتٍ واصواتٍ خاصة كلما قامت به حالةٌ انفعاليةٌ معينة مثل: انقباض الاسارير وانبساطِها، وقوف شعر الرأس، الضحك، البكاء،...)[٤] .

(وقد تبنّى هذا الاتجاه قديما فيثاغورس، وافلاطون والرواقيون من بعد بأنّ اللغة قد نشأتْ نشأةً طبيعية حيث انها استجابةٌ للفطرة الانسانية التي تفرض عليه حاجاتٍ ماديةً وعقلية لابدّ مِن وجودِ اللغة للوفاء بها)[٥] .

ويدين أصحاب هذا الرأي بنظريةِ دار ون، إذ هم يربطون النشأة اللغويةَ للانسان بتلك الأصواتِ الغريزيةِ والانفعالية التي تصدر عنها، مِن آهاتٍ واصواتِ دهشةٍ وتعجب، ويجعلونها جميعاً الاساسَ الأولَ الذي منه استمدت اللغة الانسانية نشأتَها[٦] .

أمَّا إذا رجعنا الى لغويينا القدماء نستعرض آراءَهم، نُجدُ بين هذه الاراء ما يُشير إلى التفاتهم إلى هذه النظرية، واخذهم بها، وانْ لم تكن من النضّج والوضوح لديهم بدرجةٍ تخولنا الجزم باكتمالها مذهباً. ولعل أولَ هذه الاشارات لهذه النظرية جاءت عن طريقَ ابي علي الفارسي

---

(١) إلإحكام في اصول الأحكام: ٩٩/١ ، وينظر: ابن حزم لغوياً: ٣٠٥ .
(٢) ينظر: فقه اللغة العربية: ٤٩
(٣) نظريات في اللغة: ١٨، وينظر: دلالة الالفاظ: ٢٣، فقه اللغة وتاريخ الكتابة: ١٣٢، فقه اللغة العربية وخصائصها، د. اميل يعقوب:١٨
(٤) نشأة اللغة عند الانسان والطفل: ٣٣، وينظر: فقه اللغة، للمبارك: ١٩، الفلسفة اللغوية: ٥٧، في علم اللغة العام: ٧٢
(٥) محاضرات في اللغة: ١٠
(٦) ينظر: دلالة الالفاظ: ٢٣

وتلميذه ابن جِنّي في تفسيرهم الآيةَ الكريمةَ (وعلَّمَ آدمَ الاسماءَ كُلَّها) ، الى أنَّ الله أقدَرَ آدمَ على الوضع[١] ، وهذا الإقدار هو خَلْقُ القُدرةِ على التكلم، أي خلقُ الغريزة الخاصة[٢] .

ومن اشهر من اخذ بهذا المذهب من الباحثين الغربيين العلاّمة الالماني ماكس مولر Max Müller والفرنسي رينان Renan[٣].

وقد اعتمد ماكس مولر في تأييد هذه النظرية على ادلة مستمدة من البحث في اصول الكلمات في اللغاتِ الهندية الاوربية[٤]، (فقد ظهر لَهُ أنَّ مفردات هذه اللغاتِ جميعا ترجعُ إلى خمسمائةِ أُصلٍ مشترك، وان هذه الاصول تمثل اللغَةَ الاولى التي انشّعبت منها هذه الفصيلةٍ، فهي لذلك تمثل اللغات الانسانية في اقدم عهودها. وتبين له من تحليل هذه الاصول انها تدل على معانٍ كلية، وانه لاتشابه مطلقا بين اصواتِها مما تدل عليه من فعل او حالة)[٥].

اما بالنسبة لابن حزم، فَقَد نَصَّ بايجازٍ شديدٍ على هذا المذهب، حيث ذكر بعضَ الاشارات اليسيرة إلى أنَّ بعضَ الباحثين يرى أنَّ اللغةَ أوْ الكلام هي فعلٌ مِن أفعالِ الطبيعة[٦].

ومع أنَّ عالمنا لم يُفصِّلِ القول في معنى كلمةِ الطبيعة، إلاّ أنَّ من المسَّلم به انه قصد بلفظة الطبيعة، الغريزةَ التي كان قسمٌ من العلماء والباحثين يعزون الفضلَ في نَشأةِ اللغةِ الطبيعي أو الغريزي الى ماكس مولر ورينان[٧].

---

(١) ينظر: الخصائص: ١/ ٤٠
(٢) لمزيد من التفصيل في ذلك، ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب: ٤٥١
(٣) ينظر: علم اللغة،لوافي: ٩٦، الفلسفة اللغوية: ٥٧
(٤) سوف نشير الى هذه الفصيله في المبحث التالي من الفصل نفسه
(٥) نشأة اللغة عند الانسان والطفل :٣٥ ، وينظر : علم اللغة ،لوافي : ٩٦
(٦) ينظر الإحكام في اصول الأحكام : ٢٩/١
(٧) ينظر:ابن حزم لغويا :٣٠٦

وهـذه الغريـزة زُوِّدَ بـها جميعُ افـراد النـوع الانسـاني فـي الاصـل، وهي تحمِلُ كلَّ فـرد علـى التعبـيرَ عـن كـلِ مُـدرك، حسـي او معنوي، بكلمـةٍ خاصـة(١).

وفي اعتقاد ابـن حـزم انـها لاتصلـح اساسـا لانْ تكـونَ سـببا فعـالا لاحـداث أي لُغـةٍ مـن اللغـات، فـهذا فـي نظـره ضربٌ مـن المسـتحيل الـذي لايمكـن ان يتحقـق.

وقد التقـى ابـن حـزم فـي هـذا الـرأي مـع العديـد مـن العلمـاء المحدثيـن الذين عدّوا هذا الاعـتراضَ مِـن اقـوىْ الاسـلحةِ للدفـاع عنـهم ضـد اقطَـاب هـذه النظريـة، ذلـك أنَّ (هـذه الاصـوات فجائيـةٌ منعزلـةٌ عـن الكـلام أوْ التكلـم الـذي يصدر عن المرء بصـورة اراديـة، فبينـها وبيـن الكلمـات فجـوةٌ تجعلنـا نعـد تلـك الاصـواتَ (الغريزيـة) تشـتمل علـى عنـاصرَ صوتيـةٍ لانكـاد نسـمعها فـي كـلام البشر مثـل اصـواتِ الليـن المهموسـة، والشـهقاتِ التـي تنشـأ مـع دخـول الـهواء الى الرئتيـن)(٢).

ومهما يكـن مـن امـر هـذه النظريـةِ فانـها اقـلُ قبـولا لـدى المحدثيـن مـن سـابقاتها، كمـا كـانت كذلـك لـدى القدمـاء، إذْ إنَّ اشـاراتهم لـهذه النظريـة كـانت غـيرَ واضحـةٍ، وتصورُهـم لـها يدخـل ضمـن ايمانـهم بـالتوقيف علـى الاكـثر، حتى اننا نلاحظ ان الدكتـور علـي عبـد الواحـد وافـي يقـول عنـها:(علـى الرغـم مـا فيـهْ مـن دقـةٍ وطرافـةٍ وعُمـقٍ فـي البحـث، إلاّ أنَّـها فاسـدةٌ)(٣).

---

(١) ينظر : في علـم اللغـة العـام :٧٢

(٢) المصـدر نفسـه :٧٢ ، وينظـر دلالـة الالفـاظ :٢٣

(٣) نشأة اللغـة عنـد الانسـان والطفـل : ٣٦

المبحث الثاني

ابن حزم واللغات الجزرية *

* يرى الباحث ان اطلاق تسمية اللغات الجزرية قد يكون اولى من اللغات السامية لأن التسمية الثانية لاتستند إلى اساس رصين من الواقع التاريخي ولا تدعمها المصادر المعتمدة والأدلة المستندة إلى التمحيص الموضوعي والدقة العلمية ولما كانت هذه المجموعات البشرية قد اندفعت من شبه الجزيرة العربية سواءً من شمالها الغربي (منطقة الجزيرة الفراتية) أو من اجزائها الأخرى ، فيستحسن اطلاق التسمية الأولى (سكان الجزيرة العربية) عليهم . ينظر: فقه اللغة العربية :٦٧-٧٢، اللغة الاكدية (البابلية _ الاشورية):٦٨، محاضرات في التاريخ القديم،القسم الاول:٩٨-١٠٧،المدخل الى تاريخ اللغات الجزرية:٣، من تراثنا اللغوي القديم ما يسمى في العربية بالدخيل :١٧، النظرية اللغوية العربية الحديثة:٥٤.

ابن حزم واللغات الجزرية

بدأ التفكير بتقسيم اللغات الإنسانية إلى مجموعاتٍ لُغويةٍ في أواخر القرن الثامن عشر، وذلك بعد أن عُرفت اللغة السنسكريتية الاولى، وقد اختلف الدارسون المتصدون لذلك في تقسيم اللغات، تبعاً لاختلافاتهم في الاساس الذي يقوم عليه هذا التقسيم[1].

وقد حاول عدد من علماء اللغة أن يُرجِع هذه اللغات الإنسانية -بعد أن تم تفرعها تحت تأثير عدد من العوامل[2]- الى فصائل لغوية[3]، حيث اختلفت وجهات نظر العلماء في هذا الصدد.

فبعضهم نظر اليها من (ناحية التطور والارتقاء، فقسّم اللغات الانسانية على ثلاثة اقسام -على نحو ما فعل شليكل Schlegel -تختلف افراد كلٍّ منها عما عداها في درجة رقيها، وتُمثل كلٌّ منها مرحلة خاصة من المراحل التي اجتازها الكلام الانساني في سبيل تطوره)[4].

وهي: اللغات غيرُ المتصرفة او العازلة، واللغاتُ اللصقية او الوصيلة. واللغاتُ المتصرفة او التحليلية[5].

ولم تلق هذه النظرية قبولاً لدى علماء اللغة المحدثين، بل ذهبوا الى تخطئتها، مستندين في ذلك على ادلةٍ عدة[6].

وبذلك فقد عُدِلَ عن هذا التقسيم الى تقسيمٍ آخَر وهو تقسيمٌ يُعتمدُ على صلات القرابةِ اللغوية الموجودة بين هذه اللغات بعضِها ببعض. وهذه القرابة تشمل اصولَ الكلمات وقواعدَ البنية وتركيبَ الجمل. كما لحظوا أنَّ الناطقين بهذه المجموعة اللغوية يؤلفون مجموعةً انسانيةً متميزة، ترجع إلى اصولٍ شعبية، وروابطَ بيئيةٍ، واخرى جغرافيةٍ، وتاريخيةٍ واحدة، أو على الاقل تكون متقاربةً فيما بينها، ولعل اشهرَ من قام بتقسيم هذه اللغات

---

(١) ينظر: البحث اللغوي:٢٦، البحث اللغوي عند العرب:٢٢٤، دراسات في اللغة العربية: ١٢، الدراسة اللغوية عند العرب:٤٦١، لغات البشر: ٥٩

(٢) لمعرفة هذه العوامل،ينظر: علم اللغة، لوافي: ١٦٩-١٧٤

(٣) ينظر البحث اللغوي: ٢٦، : علم اللغة، لوافي: ٥٩٥، النظرية اللغوية العربية الحديثة: ٥٣

(٤) فقه اللغة العربية: ٥٩، وينظر: ابحاث ونصوص في فقه اللغة: ١٠٤-١٠٥، دراسات في فقه اللغة: ٤٥، فقه اللغة، للمبارك: ٢٢، في فقه اللغة وتاريخ الكتابة:١١٩

(٥) لمزيد من المعرفة في هذه اللغات ينظر : دراسات في فقة اللغة : ٤٥-٤٦، نظريات في اللغة :٢٨

(٦) لمعرفة هذه الأدلة ينظر فقه اللغة العربية :٦٠-٦١ .

الى هذه الفصائل هو العالم اللغوي الغربي ماكس مولر Max Müller[١]، الذي ارجع اللغات الانسانية جميعها إلى ثلاث فصائل لغوية وهي:-

(١) الفصيلة الهندية- الاوربية[٢]

(٢) الفصيلة السامية-الحامية[٣]، أو الافرو-آسيوية، أو الاسيو افروية، أو الجزرية-الافريقية، حسب المصطلحات البديلة المستخدمة حديثاً.

(٣) الفصيلة الطورانية[٤].

وكل واحدة من هذه الفصائل الثلاث هي في الأصل لغة ولد من اولاد نوح الثلاثة: سام وحام ويافث[٥]، الذين انتشر ابناؤهم في بقاع الأرض.

ويبدو أنّ الذي جعلهم يؤمنون بهذا التقسيم اللغوي، هو اعتمادهم الكلي على الفكرة القائلة برجوع اللغات جميعها الى لغة واحدة هي اللغة الام، فان (معنى تقسيم اللغات الى اسر هو أنْ نضم للاسرة الواحدة كلّ اللغات التي تدل الشواهد على انتمائها الى اصل واحد)[٦].

وتجدر الاشارة هنا الى تحذير الدكتور عبد الصبور شاهين، من اساءة فهم مصطلح القرابة اللغوية في مجال التقسيم اللغوي،حيث دعا الى تحديد معناه بصورة واضحة، فهو في نظره لا يدل بالضرورة على لغات الفصيلة اللغوية التي وُلّدت احداها من الاخرى، (اذ لا شئ من الشبه بين قرابة اللغات وبين التوالد بالمعنى الوظيفي لهذه المصطلحات، وليس من الممكن لاحدى اللغات أنْ تلد لغة اخرى، وليس في وسع أي عالم لغوي- كما يقول فندريس- ان يحدد الساعة التي وقع فيها هذا الميلاد. فاذا قلنا: إنّ الفرنسية قد خرجت من اللاتينية، فمعنى ذلك أنّ الفرنسية هي الصورة التي صارت اليها اللاتينية خلال العصور في اقليم من الاقاليم، واذا قلنا: إنّ السامية قد ولدت العربية، فليس معنى ذلك سوى أن العربيةهي الصورة التي آلت اليها السامية الاولى-على فرض وجودها- في تلك البيئة المنعزلة، الجزيرة العربية)[٧].

والذي يعني موضوع البحث من هذه المجاميع، هي (المجموعة السامية، أي الجزرية)، التي تضم في طياتها لغات عدة منها العربية، وهذه الفصيلة بالذات كانت لها اشارات واضحة وجلية لدى عالمنا اللغوي

---

(١) ينظر: اسس علم اللغة: ٥٥، في علم اللغة العام: ١٨١، نشأة اللغة عند الانسان والطفل:٦٢

(٢) ينظر: البحث اللغوي :٢٦ ، النظرية اللغوية العربية الحديثة : ٥٣

(٣) ينظر: اللغة الأكدية :٧٠ ، فقة اللغة العربية : ٦١-٦٢

(٤) ينظر: علم اللغة ، وافي : ١٩٦

(٥) ينظر: دروس في اللغة العبرية :٥

(٦) لغات البشر :٥٩

(٧) في علم اللغة العام : ١٨٤

ابن حزم، الذي حاول في ذلك الوقت أنْ يُشيرَ الى العلاقةِ بين هذه اللغات، على ما سنرى فيما بعد.

وتنقسم هذه الفصيلة الى عدة اقسام: شرقيةٍ وغربيةٍ. فالشرقيةُ هي اللغات البابلية-الآشورية (أوْ الاكدية كما يسميها المحدثون من فقهاء اللغة نسبةً الى بلاد اكادAkkad) ، وكان الاقدمون يسمّونها (الاسفينيّة أوَ المسمارية)، اما الغربية فتنقسم على شعبتين: شماليةٍ وجَنوبيةٍ، وفي الشمالية: الكنعانية، والآرامية، اضافة إلى اللغة الابلية. أُما الجنوبية: فتشمل لغتين عربيتين عظيمتين وهما: العربيةُ الجنوبية والعربيةُ الشمالية[1] .

(وأول مَن استخدم هذا الوصف أي-اللغات السامية- العالمان الالمانيان شلوتزر Sohlozer وايكهوزن Eichhorn، في اوآخر القرن الثامن عشر)[2] . وقد اقتبس هذا الكلام مما ورد في سفر التكوين[3] . وذلك عام ١٧٨١م.

(ولكن هذا التصنيف الذي وردَ في التوراة لا يقوم على اعتباراتٍ لغوية، ولا على اعتبارات عرقيةٍ وجغرافية، وانما اعتمد صاحبُ التصنيف هذا على امور سياسية)[4] .

ويبدو ان الاسباب التي دعت العلماء قديماً وحديثاً الى الدعوة الى الاهتمام بهذه اللغاتِ هي الخصائصُ التي إنمازت بها هذه اللغة والصفات المشتركة التي اتصفت بها [5] .

والمَلاحظ ان علماءَنا العربَ الاجلاء قد سبقوا غيرَهم من المستشرقين في معرفة صِلة القرابة بين فروع هذه الفصيلةِ من اللغات والاشارات التي ذكروها تدل على صدق النتائج والابحاث التي توصلّوا اليها.

فهذا هو عالم العربية الاول، الخليل بن احمد الفراهيدي- ولعلّه اولُ من اشار الىوجود قرابة لغوية بين لغتين ساميتين- يقول وهو يعالج مادةَ

---

(١)ينظر: ابحاث ونصوص في فقه اللغة العربية: ١١٤، اسس علم اللغة: ١٧١، ١٧٥، اللغة الاكدية: ٧١،تاريخ اللغات السامية: ٢٠، دراسات في فقه اللغة: ٤٩، الدراسات اللغوية عند العرب: ٤٦٢، علم اللغة، للضامن: ١٢٥-١٢٦، علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة: ١٠٢ و١١٠، في علم اللغة العام: ١٨٧، فصول في فقه العربية: ٢٥-٣٥، فقه اللغة ، الوافي: ٢، فقه اللغة العربية: ٦٥، اللغات السامية، الوافي: ٦-٧، اللغات السامية، لنولدكه:٢٠، مدخل الى علم اللغة، حجازي: ٢١، مدخل الى علم اللغة، محمد حسين عبد العزيز: ١٥٣، المدخل الى اللغات الجزرية: ١٠-١١، نشأة اللغة عند الانسان والطفل: ٦٩

(٢) فقة اللغة الوافي :٣ وينظر فقة اللغات السامية :١

(٣) الاصحاح العاشر :٢١-٣١ ، والحادي عشر :١-٢٦

(٤)نظريات في اللغة :٦٤

(٥) ينظر : تاريخ العرب قبل الاسلام – القسم اللغوي - : ٢٩/٧، تاريخ اللغات السامية : ١٤ ، دروس في اللغة العبرية : ١٩ ، الفراهيدي عبقري من البصرة : ٤٧-٤٨ ، مقدمة في الاصول اللغوية :٤

(كَنَعَ): (وكنعان بن سام بن نوح، ينسب اليه الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تُضارعُ العربيّة)(١) . وكذلك فيما نقله ابن جِنّي (ت ٣٩٢هـ) عن الاخفش الاوسط في تفسيره لنشأةِ اللغة، فهو دليل ايضاً علىٰ معرفةِ علمائنا بوجود القرابةِ اللغوية بين عائلاتِ هذه الفصيلة إذ يقول: (إن الله سبحانه علم آدم أسماءَ جميع المخلوقات بجميع اللغات: العربية والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية وغير ذلك من سائر اللغات. فكان آدم وولْدهُ يتكلمون بها، ثم إنَّ ولده تفرقوا في الدنيا، وعلق منهم بلغة من تلك اللغات فغلبت عليه، واضمحلَ عنه ما سواها لبعد عهدِهم بها)(٢).

فالخليل عندما ذكر هذا الكلام لا يعني معرفتَه بالكنعانية(٣)، وعلى الرغم من دلالة قول الاخفش على معرفته بتقسيم اللغات وتشعباتها، اكثر من أي شئ آخر، إلا انه يدل ايضاً على اشارته الى وجود قرابةٍ لغويةٍ بين هذه اللغات بعضِها ببعض، فيكون رجوعُها الى لغة واحدةٍ في الاصل هجرت بعد انْ بَعُدَ العهد بها(٤).

---

(١) العين : ٢٠٥/١ وينظر :التعليق على ذلك في :اللغة الأكدية :٦٤ هامش رقم (١)
(٢) الخصائص: ٤١/١
(٣) ينظر : الدراسات اللغوية عند العرب: ٤٦٤
(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٤٦٥

وحتى ابن دريد ففي جمهرته الكثير من الاشارات الى المقارنات الصحيحة بين السريانية والعربية والاشارات العديدة الى اللغات السامية (يمنية، وسريانية)(١). وايضاً المسعودي (ت٣٤٦هـ) في كتابيه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) و(التنبيه والاشراف)، ويبدو أنّ الكتاب الذي نُسِبَ اليه (اخبار الزمان)، فيه معلوماتٌ دقيقةٌ عن الامم الساميّة وعلاقاتها. وفي هذا الصدد يقول الاستاذ كراتشكوفسكي: (من الغريب أن توجد لديه فكرة وحدة الشعوب السامية وذلك قبل عهد طويل من ظهورها كنظرية علمية في اوربا)(٢).

وبعد ذلك يأتي دور فقيه الاندلس ابن حزم، الذي كان اكثرَ صراحة من غيره وهو يعرضُ هذا الموضوعَ، ويبدو ان الذي جعل ابن حزم يتوصل الى هذه الآراءِ الصائبة الدقيقةٍ في مجال ذكر العلاقة بين اللغات السامية، هو المكانة الطيبةُ التي اخذت تعتني بها بلادُ الاندلس، بالدرس والعناية، حيث توجهت نحوها جهودُ بعض العلماء الباحثين على اختلاف مشارقهم ومغاربهم.

ويقول ابن حزم في هذا المجال: (إنّ الذي وقفنا عليه، وعلمناه يقيناً، أن السُريانية والعبرانية والعربية هي لغة مُضرَ وربيعةَ، لا لغةُ حِميَر واحدة تبدلت بتبدل مساكن اهلها....)(٣).

(والراجح أنّ الذي جعلَ ابن حزم يقرر هذا الكلام، هو وجودُه في بلادِ الأندلس وتوافُره علىٰ اللغةِ العبرية فيها، إذ شهدت هذه الاقاليم والمدن نشاطاً كبيراً من لدن الدارسين اليهود في دراسة العبرانية، والتأليف في قواعدِها واصولِها، من خلال تأسيس المدارس الخاصةِ بهم)(٤).

---

(١) ينظر :مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية: ١٨
(٢) تاريخ الادب الجغرافي العربي: ١٨٣/١، وينظر: مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية: ١٩
(٣) الإحكام في اصول الأحكام : ٣٠/١ ، وينظر اللغة الأكدية : ٦٤ هامش رقم (١)
(٤) الدراسات اللغوية عند العرب :٢٤٥

ويقول الدكتور ابراهيم السامرائي في هذا الشأن : (إنّ اليهود الأندلسيين قد سبقوا المستشرقين في لَمْح الصلةِ التي تربط هذه اللغات – والمقصود هنا اللغات السامية – فأشاروا في رسائلهم إلىُ العلاقة بين العبرانيةِ والعربية ، وفي ضوءِ هذه العلاقة تناولوا المواضيعَ وكتبوا كتباً كثيرة) [1] .

ويبدو أنَّ الامر الذي جعل الدكتور ابراهيم السامرائي يُصرّح بهذا القول هو ما ذكره الاستاذ نولدكه في كتابه (اللغات السامية)، حينما تحدث عن القرابة الموجودةِ بين اللغات السامية التي كانت معروفةً في ذلك الوقت، فقال: (وقد تنبّه علماء اليهود ومنذ عدة قرون إلىُ هذه العلاقة مثل : يهود ابن قريش، حوالي مطلع القرن العاشر الميلادي)[2] .

(أما بالنسبة لعباراتِ ابن حزم في ادراكه الى وجود هذه القرابة اللغوية بين اللغات، وانها من اصل واحد، وانها كانت لغةً واحدةً في الاصل، فانه لم يأتِ بالشواهدِ التي تؤيد ما ذهب اليه، وانما اعتمد اعتماداً كلياً على الكلام فقط كغيرهِ من العلماءِ الذين سبقوه)[3] .

وفي هذا الصدد قال الدكتور محمود فهمي حجازي: (كان كثيرٌ من الباحثين الاوربيين قد لاحظوا منذ قرون أوجهَ الشبه بين العربية والعبرية، وكان العارفون بهما وبالسريانية في عصر الحضارة الاسلاميةِ قد ادركوا أن هذه اللغات مُتقاربةٌ، بل وحتى ابن حزم قد عَرَفَ هذه القرابة اللغويةَ الحاصلة بين العربيةِ والعبريةِ والسريانية)[4] .

وقد شبّهَ ابن حزم هذه القرابةَ بقرابةِ لهجاتِ اللغةِ الواحدة[5] .

---

(١) محاظراتُ الدكتور ابَراهيم السامرائي على طلبة قسم اللغة العربية (مدونة) الدكتور محمد حسين آل ياسين ، (وتجدر الاشارة الى ان الباحث حاول جاهداً الحصول على هذه المحاضرات ولكن بدون فائدة) ، ينظر : نظريات نشأة اللغة عند العرب ، المورد ، مج ٧ العدد ٣ :٢٠-٢١

(٢) اللغات السامية: ٩

(٣) دراسات في اللغة العربية: ١١، وينظر : البحث اللغوي عند العرب:٢٢٤

(٤) علم اللغة العربيةً: ١٣٢

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٤

وهذا الرأي الذي ذكره ابن حزم هو رأيٌ لم يكن معروفاً عند اللغويين العرب، ولا عند غيرهم قبل البحوث اللغوية (المقارنة) في القرن التاسع عشر، اللّهم الا ما اشار اليه الخليل من أنّ الكنعانيين، كانوا يتكلمون بلغة تضارعُ العربية[١].

ومن الباحثين من قال: (ان كلام ابن حزم -وحده- يشعرنا بأنّ العربَ يعرفون الحقيقةَ، والمعروف أنّ العبرية هي احدى لهجات الكنعانية وان السريانية من الآراميات وبذلك يكون ابن حزم قد ارجعَ ذلك كلّه الى اصل واحد، وهو ما اتّفق عليه علماءُ اللغةِ في اوربا منذ القرن الثامن عشر حتى الآن)[٢].

ونحن نقول: إن ما توصل اليه ابن حزم يتفقُ اليوم اتفاقاً تاماً مع أحدث ما توصلت اليه الدراساتُ اللغوية الحديثةُ، فهو نادى بالفكرة القائلةِ إنّ هذه العربية التي بين ايدينا انما هي عربيةُ ربيعةَ ومضرَ، وهي العربية التي نزل بها القرآنُ والتي تكلم بها نبيّ الله اسماعيل وهي عربية قريش، وهذه العربية تختلف اختلافاً جوهرياً عن عربية قحطانَ وحميرَ التي يعتقد بعض المؤرخين انها كانت موجودةقبل اسماعيل عليه السلام[٣].

ولعل ابن حزم قد استفاد من اشارات ابن دريد والمسعودي وغيرهما استفادةجليلة[٤]، مما ادى به الى ذكر هذه الآراء الصائبةِ الى حد ما، حتى وصف احد الاساتذة تعليلَ ابن حزم في معرفة هذه العلاقة بين اللغات بـ(العلمية العالية)[٥].

ومن الواضح انه ما كان لابن حزم أنْ يأخذَ بل يُؤيِّدَ هذه الآراءَ التي قيلت في اللغات الجزرية، من دون أنْ يكونَ على درايةٍ من امره في معرفة هذه اللغات، فهو حينما يستبعد لغةَ حميرَ من مجالِ دراسته وآرائه اللغوية، فانه يُعطي الدليل القاطعَ على مدىً دقةِ احكامه وثباتها، والرغبةِ الواضحة في أنْ يكون القارئُ على درايةٍ ومعرفةٍ بمصطلح (اللغة العربية)، وهذا المصطلح الذي جعله ابن حزم قاصراً علىَ اللغةِ التي نطق بها شعراءُ الجاهلية، واللغة التي نَزَلَ بها القرآنُ الكريم، وتَنَقّلتْ هذه

(١) ينظر: البحث النحوي عند الاصوليين: ٥٣-٥٤
(٢) أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية: ١٠٨
(٣) ينظر: المزهر: ٢٧/١ / ابن حزم لغوياً: ٢٢٥
(٤) لمعرفة جهود العلماء في ضوء الدراسات السامية، ينظر: مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية: ١١-٢٣
(٥) المصدر نفسه: ٢٣

اللغةالعظيمة بين المسلمين جميعاً، فهو يُنبه على أنَّ اللغةَ العربيةَ التي يصرّح بها دائماً هي (لغة مضر وربيعة، لا لغة حمير)[١].

وهذا ما تنبه اليه ابو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) قبل ابن حزم، حيث يقول:

(ما لسانُ حِمْيرَ واقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتُهم بعربيتنا)[٢]. وابو عمرو بن العلاء عندما يذكر هذا فانه قصد من لسان حِمّير الحميرية القديمة[٣].

وهذه اللغة هي نفسُها التي اطلق عليها علماءُ اللغات الجزرية لُغة جنوب الجزيرة[٤]. وقد اشتهرت ايضاً (بلغةِ المسند) وهو الخط العربي الذي عُرفت به هذه اللغةُ، وهو خط يتكون من تسعةٍ وعشرين رمزاً، ويقوم اساساً على تدوين الصوامت فقط، ولا يدون الحركات[٥]، والملاحظ لدى تتبع هذه اللغة الاختلافُ الذي حصل بين الباحثين والعلماء في تقسيم لهجاتها، فمنهم من يرى أنّها لا تعدو ان تكوّن فرعاً من فروع اللغة العربية الجنوبيةِ التي تحمل تحت طياتها: اللغةَ المعينية، واللغةَ السبئية، اضافة الى اللغةِ الحميرية[٦]، في حين نلاحظ أنّها في نظرِ آخرين تعني اللغة العربية الجنوبيةَ برمتها، والبعض الآخر رأى أنّ هذه اللغة قد انشعبت إلى شعبتين هما: (اللغة السبئية والمعينية)[٧]، ويقول: وقد وصلت الينا الكثير من النقوش، التي تدل على ذلك، وتتراوح مدتُها ما بين القرن الثاني عشر قبل الميلاد والقرن السادس الميلادي[٨]، وبعضهم ذهب في انقسامها الى اقسام عدةٍ منها: المعينيةُ، والسبئيةُ، والقتبانيةُ، والحضرميةُ[٩].

---

(١) الإحكام في اصول الأَحكام: ٣٠/١ / وينظر: ابن حزم لغوياً: ٦٢٦.

(٢) طبقات الشعراء: ٢٩

(٣) ينظر: دراسات في اللغة العربية: ٤٥-٤٦، اللغات السامية، لوافي: ٧٧، هامش رقم(١)

(٤) ينظر: لهجات اليمن قديماً وحديثاً: ١٣

(٥) ينظر: علم اللغة العربية: ١٨٥، مدخل الى علم اللغة، حجازي: ٩٢، المدخل الى اللغات الجزرية: ٤٠-٤١

(٦) ينظر: مدخل الى علم اللغة، حجازي: ٩٢، في حين يرى الاستاذ أُحمد شرف الدين، أن اللهجة الحميرية هي نفسها اللهجة السبئية كما دلت على ذلك النقوش التي عثر عليها. ينظر: لهجات اليمن قديماً وحديثاً: ١٣

(٧) فصول في فقه العربية: ٣٥، وينظر: المخطط العام لهذه اللغات في المصدر نفسه:٢٦، الادب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة: ٢٠٤

(٨) ينظر: فصول في فقه العربية: ٣٥، فقه اللغة، المبارك: ٣٥

(٩) ينظر: التهذيب في اصول التعريب: ٧٧

ولم يتوقف الباحثون عند هذا الحد في هذه التقسيمات بل اضافوا اليها لغةً خامسةً أُطلِقَ عليها (الهرمية)، او الاوسانية على حسب رأي بعض المستشرقين[١] . وهم مُجمعون على أَنَّ هذه اللغةَ كانت هي التوأم للغة العرب الشماليين فكلتاهما ترجِعُ إلىٰ أَصلٍ واحد، إلاّ أنَّ احداهما - وهي اللغة الشمالية- تطورت ثم دخلت مع الجنوبية في صراع طويلٍ -من خلال المجاورة- الذي انتهى بتغلب الشمالية على الجنوبية وساعدها على ذلك عواملُ عدةٌ منها الدينيةُ والتجاريةُ والسياسيةُ[٢] . وكان ايضاً لبزوغ شمس الاسلام،ونزولِ القرآن الكريم بلغةِ الشمال آخر العوامل المهمة التي اخمدت الانفاس الاخيرةَ التي بقيت للهجة الحميرية الجنوبية التي دخلت في نزاع مع عربية ربيعةَ ومُضرَ الشمالية منذ القرن الخامس الميلادي، حيث فسحت المجالَ للّهجة الشماليةِ خلال القرن الاول الهجري ولم يتبق منها إلاّ بعضَ الاساليب والكلماتِ البسيطة التي ظلت متداولةً في جزءٍ يسير من المناطق الصغيرة المنعزلةِ في جَنوبِ الجزيرة[٣] .

اما بالنسبة لابن حزم، فانه حينما قام باستبعاد اللغةِ الحميرية هذه فهو كغيره من العلماء الذين سبقوه، ولا نعرف السببَ الذي جعله يستبعد هذه اللغة، مع العلم أنَّ اللغة العربية اقربُ الى اللغة الحميرية منها الى اللغتين العبرية والسريانية، لان اللغة الحميرية هي لغة عربيةٌ جَنوبية، بل إنَّ هذه اللغةَ وكما رواها علماء العرب في كتبهم عبارةٌ عن لهجةٍ عربيةٍ نشأت من احتكاك اللغات العربية الجنوبية القديمة وهي لغة مُعينَ وسبأ وحضرموتَ بلغتنا العربية وهي لغة ربيعةَ ومضرَ، على الرغم من قول ابن خلدون في مقدمته: (ولغةُ حِمْير لُغةٌ اخرىٰ مغايرة للغةِ مُضَر في الكثير من اوضاعها ونصاريفها وحركاتِ إعرابها، كما هي لغةُ العربِ لِعهدِنا مع لغة مضرَ)[٤]

والملاحظ ان ابن حزم حينما تكلم عن القرابة الموجودة بين هذه اللغات، كان كلامه عبارةً عن اشارات سريعة من دون تحليلٍ وتعليل، مع العلم انه وضع قدمَه في اول الطريق الواضحةِ التي كان من المحتمل أنْ توصلَ هذا الفقيه الاندلسي الى سبل الافادةِ من هذا الكشف.

---

[١] ينظر: أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية: ١٣٦-١٣٧، دراسات في فقه اللغة: ٥٢، دراسات في اللغة العربية: ٤٦، فقه اللغة، للمبارك: ٦٩، اللغات السامية، لوافي: ٧٣، اللغة الاكدية: ٨٨

[٢] ينظر: لهجات اليمن قديماً وحديثاً: ٩، واللهجات العربية الحديثة في اليمن، محاضرات د. مراد كامل على قسم الدراسات الادبية واللغوية: ٣٠-٣٣

[٣] ينظر: لهجات اليمن قديماً وحديثاً: ١٠ / ١ ابن حزم لغوياً: ٢٢٧ .

[٤] المقدمة: ٥٥٧، وينظر: التعليق على ذلك في: دراسات في اللغة العربية: ١١

وفي هذا الصدد يقول الدكتور خليل يحيى: (..إنَّ لغويي العرب اكتفوا بالجمع والوصف والتدوين، ولم يهتموا بالتحليل والتعليل، وإنَّ كانوا قد تعمقوا في دراسةِ بعضِ العلوم غيرَ انهم في المسائل اللغوية اهتموا بالمظهر والشكل اكثرَ من اهتمامهم باللُّب والموضوع، وانهم وإنَّ كانوا قد عَرَفُوا أَنَّ اللغة العربية والعبرانيةَ والسريانية من اصل واحدٍ إلاّ انهم لم يحاولوا أَنْ يدرسوا او أَنْ يتبينوا مدى العلاقةِ التي توجد بين تلك اللغات، كما انهم لم يحاولوا أَنْ يستعينوا بدراسة تلك اللغات في فهم اسرارِ اللغةِ العربية، وفي معرفة تاريخ تطورها، كما فعل المستشرقون فيما بعد)(١)

ومع ذلك فان الكلام الذي اورده ابن حزم في صلة القرابةِ الحاصلةِ بين اللغات تظل في نظر الدكتور محمود فهمي حجازي، فتحاً كبيراً وصيحةً كبرى في عالم الدراسات اللغويةِ، وكان خليقاً بها أَنْ تؤدي الى بث بذور ثورة في علم اللغة، ذلك انها تمثل خروجاً عن اسلوب التعصب والتحجر اللغوي الذي كان ابن حزمٍ يحاربه بشتى الوسائل والطرق، فالذي توصل اليه انما: (ينطبق تمام الانطباق على ما يقوله الباحثون المعاصرون في اللغات الجزرية. ولكن هذه الاشارة لم تدفعْ الى البحث التاريخي، المقارن لهذه اللغات)(٢) .

اننا نلاحظ ان كلام ابن حزم هذا لم يُثر انتباهَ علمائنا فقط، بل اثار انتباهَ بعضِ اللغويين الفرنسيين، فالدكتور حسن ظاظا، يقول: (إنَّ اللغوي الفرنسي جان بيرو Jeen Perrot ،قد اورد كلامَ ابنِ حزم في كتابه علم اللغة (LaLingsxique ,p,80)، الذي طبع عام ١٩٢٥، مُدلِلاً على أَنَّ ابن حزم كان من اوائل اللغويين المسلمين الذين ادركوا أَنَّ العربية والعبريةَ والسريانية متفرعة من اصل واحد وانها كلُّها من نفس العائلة اللغوية)(٣) .

وقد ذاع صيت هذا النص في المحيط العربي اولَ مرة حينما ادرجه الاب انستاس ماري الكرملي في كتابه:/اللغة العربية ونشوؤها ونموُها واكتهالها(٤) ، ثم تتابعت بعد ذلك دراسات الباحثين الاجلاء والعاملين في مجال الدراسات اللغوية على ايراده والاستفادة منه، حيث قدَّم الدكتور عبد الصبور شاهين هذا النصَ دليلاً يمثل حالةً فريدةً حينما ادلى باولِ محاولةٍ

---

(١) دراسات في اللغة العربية: ١١
(٢) اللغة العربية عبر القرون: ١٧ ، وينظر: ابن حزم لغوياً: ٢٤٠-٢٤١ .
(٣) اللسان والانسان: ١٥٨-١٥٩ ، وينظر التعليق على ذلك في ، ابن حزم لغويا : ٣٤٢
(٤) ٦٧-٦٨

ناجحة في مجال إدراك العلاقة او القرابة اللغوية بين هذه اللغات من بين اولئك اللغويين القدماء الذين (لم يكن بوسعهم أن يقوموا بدراسة مقارنة للفظ في عديد من اللغات، لانّ فكرة تقارب اللغات السامية لم تكن آنذاك منهجاً مطروحاً للبحث فضلاً عن أنّ تاريخ نشأة هذه اللغات مجهول في اكثر من ناحية)[١] . كما ان الدكتور رمضان عبد التواب اشار الى نص ابن حزم في ادراكه لهذه القرابة والعلاقة بين اللّغات العربية والعبرية والسريانية[٢] .

ولكن الحقيقة توجب علينا أنْ نقول إن الكلام الذي ذكره ابن حزم ليس صحيحاً كلّه، فهو وإنْ اقتربَ من النتائج والبراهين التي يؤكدها علم اللغة الحديث، إلّا أنّ التوفيق قد خانه في قسم منه، فهو صائب كل الصواب ومحق في القسم الاول في اعتقاده أنّ هذه اللغات الثلاث في الاصل ترجع كلّها الى ارومة واحدة، (حتى أنّ الطبيعة قد صيغتها بطريقة واحدة)[٣] ، وبذلك اصبحت هذه الاشارات من الامور البدهية لدى علماء اللغة التي اثبتتها دراسة الفصائل اللغوية، حيث ذكر الاستاذ عبد الله امين بعد اجرائه الموازنة بين هذه اللغات الثلاث أنّ بينها (من وجوه الشبه ما يحمل الباحث على الجزم، بأنّ ثلاثتها اخوات لأمٍّ واحدة، أو أنّ إحداها كانت أمّاً للأخريين، وقد اختلف علماء اللغات السامية في ذلك)[٤] فهو محق في ذلك لانهم لم يستطيعوا العثور على أي نص يشير الى الأم الاولى، وان كانت الغالبية من علماء اللغات السامية تجمع على أنّ اللغة العربية هي اقدم واقرب نص الى تلك اللغة البائدة.

اما القسم الثاني من كلامه، فانه قال: (ان العربية والعبرية، قد تفرعتا عن اللغة السريانية)[٥] ، والملاحظ على هذا الكلام أنّ ابن حزم ربما اراد القول أن الفتح الفارسي قد مكّن الارامية من تحقيق اعظم انتصاراتها، والسريانية هي احدى لهجات الارامية، فمن القرن السادس الى القرن الرابع قبل الميلاد، نشأت عن امتداد الحكم الفارسي الى ساحل سوريا وفلسطين كلّه وحدة مؤقتة في شمال دنيا الساميين، وفي الوحدة الحضارية التي قامت نتيجة لذلك، صارت الارامية اللغة الرسمية لذلك الجزء من

(١) في التطور اللغوي: ١١٦
(٢) ينظر: فصول في فقه العربية: ٤٣
(٣) البحث اللغوي عند العرب: ٢٢٦
(٤) الاشتقاق: ٤٤٨ / وينظر: ابن حزم لغوياً: ٢٤٩ .
(٥) الإحكام في اصول الأحكام: ١/٣٠-٣١

الامبراطورية الفارسية التي تقع بين مصرَ ونهرِ الفرات، ولَمّا كانت اللغة الرسمية ذاتُ التاريخ الطويل تميلُ الى الحلول محلَ اللغات المحلية، فقد اخذت الارامية بمرور الزمن تحل شيئاً فشيئاً محلَ العبريةِ والفينيقيةِ وسائِرِ اللغات السامية في المنطقة، وكان من اكبر الصعاب في وجه إحياء اللغة العبرية بعد العودة من المنفى، أنّ جانباً من الشعب هجر فعلاً لغتَه الاصلية[1].

ولكن ابن حزم سَها عن الفتح العربي الذي ادّى الى حلول العربية محل الارامية تماماً تقريباً. فكان على الارامية أنْ تختفيَ، بعد بقائها قروناً عدة بالغة الاهمية وسيلةً للمزج الحضاري[2].

والذي يتأمل البحوث اللغويةَ الحديثَة وتقسيمَها لهذه اللغات، يلاحظ انها تؤكد على أنّ ابن حزم قد جانَبَ الصوابَ في هذا القسم، من خلال تصوره أنّ العربيةَ والعبرية، تفرعتا عن السريانية، حيث أنّ اللغة العربية تمثل هي واللغة الحبشية الفرع الجنوبي الغربي للغات الجزرية[3].

في حين أنّ اللغة العبرية واللغةَ السريانية تمثلان مع لغات أُخَرَ الفرعَ الشمالي الغربي للغات الجزرية[4]، حيث نلاحظ أنّ اللغة العبرية ترجع في اصولها الاولى الى الكنعانية الجنوبية[5] امّا اللغة السريانية فانها تمثل النوعَ الشمالي الغربي ايضاً، ولكنها تُعتبر اهمَّ لهجةٍ من لهجات الارامية. وقد سمّى الاراميون انفسَهم بالسريان، بعد اعتناقهم الدينَ المسيحي؛ لان الاسم الشعبي القديم، صار عيباً يدل على الكفر[6].

ولقد بقيت السريانية زمناً طويلاً تمثل لغةَ العلوم والحضارة، لكنها اندحرت امام تقدم الجيوش الاسلامية، الامر الذي جعل اللغة العربيةَ هي الاولى ثم شيوعها وانتصارها في العديدِ من المدنِ فيما عدا بعضِ الاماكن النائية التي مكثت هذه فيها واصبحت لغة الحديث والحوار كما هي الحال

---

[1] ينظر: الحضارات السامية القديمة: ١٨٠-١٨١

[2] المصدر نفسه: ١٨٠

[3] ينظر: علم اللغة العربية، حجازي: ١٨٣، فصول في فقه العربية: ٣٥، فقه اللغة، لوافي: ٩٢، فقه اللغة العربية: ٩٣، اللغات السامية، نولدكه: ٦٩، اللغة الاكدية: ٨١-٨٢، اللهجات العربية الحديثة في اليمن: ٢٨-٢٩

[4] ينظر: علم اللغة العربية، حجازي: ١٦٤، فصول في فقه العربية: ٢٧-٢٨

[5] ينظر علم اللغة العربية، حجازي: ١٦٥، فقه اللغة، لوافي: ٤١، فقه اللغة، للمبارك: ٢٧، اللغة الاكدية: ٧٣-٧٤، مدخل الى علم اللغة، حجازي:٨٨

[6] ينظر: فصول في فقه العربية: ٣٣، فقه اللغة، للمبارك: ٢٩، اللغة الاكدية: ٧٦

في جبال شمال العراق كمنطقة زاخو[١].

وقد المح الدكتور خليل يحيى نامي الى الطرف الوحيد الذي قارب الصواب من وجهة نظره في قول ابن حزم، حيث اشار الى ان العبرية والعربية وقعتا تحت تأثير اللغة السريانية وسلطانها في بعض ادوار عزها وقوتها، حيث قال (انها قد اثرت تاثيراً قوياً واضحاً في اللغتين العبرية والعربية)[٢].

وعلى اية حال فقد تمكن ابن حزم من رصد العديد من القضايا اللغوية التي اثبت العلم اللغوي الحديث صدقها، وأن اغلب علماء اللغة متفقون على صحتها، حيث جعل ابن حزم سبب الخلاف الذي حصل بين اللغات العربية والسريانية والعبرانية مكانياً، وكذلك سبب الاختلاف الذي حصل بين لهجتي فحص البلوط وقرطبة وبين الاندلسي وبين القيرواني[٣].

وكان تشخيص ابن حزم لاكثر من عامل في هذا الاختلاف الذي حصل باسلوب يدل على تفكير سليم[٤]، فقد ذكر عامل اتساع رقعة الارض وسماه (اختلاف البلدان)، واختلاط الامم . وسماه (مجاورة الامم)، واضاف الى ذلك (طول الازمان)، وعزا ايضاً اسلوب الاداء الفردي فاسماه (تبديل العامة للالفاظ)، فهو يقول: (فمن تدبر العربية والعبرانية ايقن أن اختلافهما انما هو من نحو ما نذكر من تبديل الفاظ الناس على طول الازمان، واختلاف البلدان ومجاورة الامم، وانها لغة واحدة في الاصل)[٥]

أي انه اشار الى الاختلافات الحاصلة بين اللغات التي ادت الى انقسام هذه اللغة السامية وهي الام الى لغات فضلاً عن أن هذه الفروع التي ذكرها قد غيرت فيها عوامل كثيرة اجتماعية وبيئية ولغوية وجنسية مما ادى الى ظهور بعض الاختلافات فيها[٦].

---

(١) ينظر: اللغات السامية، نولدكه: ٦١-٦٣، اللغة الاكدية: ٧٥
(٢) دراسات في اللغة العربية: ١١/ ، وينظر: ابن حزم لغوياً: ٢٤٢
(٣) ينظر: الإحكام في اصول الأحكام: ٣٠/١
(٤) ينظر: مساهمات العرب في دراسة اللغات السامية: ٤٣
(٥) الإحكام في اصول الأحكام: ٣٠/١، وينظر: التعليق على ذلك: مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية: ٤٣-٤٤
(٦) ينظر: ابحاث ونصوص في فقه اللغة العربية : ١٢٤

والــذي يثــير الانتبــاه، أنّ العــامل الــذي اشــار اليــه ابــن حــزم الــذي ســماه (تبديــل الفــاظ النــاس علــى طــول الازمــان)، لــه مــن الاهميــة البالغــة الــذي لا يمكن نكرانه فــي تبديــل اللغــات وتحويرهــا وتغيرهــا.

ويمكــن القــول إنّ هــذا العــامل هــو الــذي أُطلــق عليــه اللغويــون المحدثــون عامل (بلــى الالفــاظ)، الــذي قــد يقــوم بتغيــير وتبديــل بعــض حــروف الكلمــة، او قد يقوم في بعض الاحيــان بمســخها مســخاً تامــاً يــؤدي بالتــالي الــى نشــوء معنــى جديد لها، فكثيراً مــا تتطــوّر صــوَر الكلمــات، ويــترتبُ علــى هــذا التطــور تغــيّرٌ وتطورٌ في الدلالة. وقـــد يصــل هــذا التطــوُر فــي الصــورة مــداه، فتندثــر الكلمــة، وتَفنى من الاســـتعمال، ولا ســيما اذا كــانت قصــيرةَ البنيــة[1] .

---

[1] ينظر : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه : ٩٥-٩٧ / ابن حزم لغوياً: ٢٤٥ .

المبحث الثالث

(أ) المفردات المشتركة في المعنى:

الترادف

عُرِفَتْ العربيةُ بثرائها وسَعتِها ووفرةِ مفرداتِها وخاصة تلك التي تُطلقُ على اشياءَ تَقَعُ بمتناول حواس العربي، كالجَمل والفرس والسيف، قالوا: للسيف الفُ اسم، وللاسد خمسمائة، وللعسل ثمانون. وكانت هذه السَعةُ في المفردات اللغوية من اهم المميزات التي يُثيرها المتحمسون للعربية وفضائلها[١]. ويبدو أنَّ هذا التعددَ في نظر اللغويين برهانٌ ساطعٌ على مدىُ النضج والرقي التي تمتعت بها لغتُنا العربية، (فإنَّ من المفيدِ أنْ نعلمَ أنَّ هذا التعددَ في معنى اللفظ الواحد، أوْ معنى المجموعةِ الصوتية الواحدة – سمةٌ من سمات اللغات المتحضرة–، اذ هو اولاً يوفر على الذهن الانساني مهمةَ معرفةِ كثير من المجموعات التي تعني كلٌ منها معنى واحداً فقط، كما يقوم على اساس الذكاء الانساني الذي يستطيع أنْ يضعَ الكلمةَ في موضعها، وأنْ يفهمَ ما يُراد بها حين ينظر في سياقِها،على العكس من اللغات البدائية التي تضع لكل شئ تسميةً خاصةً، حتى ولو تشابهت الاشياءُ، او كانت بينها علاقةٌ تسمح بتوحيد الاسم المطلق عليها)[٢].

وقد دارت ابحاثُ العلماء قديماً وحديثاً على اهمية هذا الموضوعِ وبُعدِ غورِه، وقد تعددت التعريفات في ذكر هذا المصطلح –أي الترادف–.

فالترادف لغةً: ركوب احد خلف آخر، يقال رَدِفَ الرجلُ وأَردفه أي رَكِبَ خلفه، وأرتدفه خَلْفَهُ على الدابةِ، ورديفُك الذي يرادفُك[٣].

وأصطلاحاً: هو ما اختلف لفظُه واتفقَ معناه، او هو أنْ يَدلَّ لفظان على معنى واحد، مثل: اسهبَ واطنب واسرف واغرق، بمعنى واحد[٤].

وذهب بعضهم الىُ أنَّ الترادفَ: (هو عبارةٌ عن الاتحادِ في المفهوم، وقيل هو توالي الالفاظ المفردة الدالة على شئ واحد باعتبارِ واحدٍ)[٥].

---

[١] ينظر: رواية اللغة: ٣٢٥، وينظر: كتاب المورد، دراسات في اللغة، بحث للبروفسور ف.م.بيلكين وترجمة د. جليل كمال الدين، بعنوان: حول طابع الكلمات المترادفة في اللغة العربية الفصحى: ٢٠٣

[٢] في علم اللغة العام: ٢٥-٢٦

[٣] ينظر: لسان العرب ٩/١١٤ مادة (ردف)

[٤] ينظر : ابو علي النحوي: ٧٥، الدراسات اللغوية عند العرب: ٤١٤، فصول في فقه العربية: ٣٠٩، فقه اللغة، للضامن: ٦٢، فقه اللغة، للمبارك: ٩٩

[٥] التعريفات: ٣٧، وينظر: الاضداد في اللغة: ٣٣

ومعنى ذلك أنّ الترادفَ أُطلِقَ على معنيين: احدُهما الاتحادُ فـي الصـدق، والثـاني الاتحادُ في المفهوم. ومن نظر الى الاول فرّقَ بينهما ومن نظر الى الثاني لم يفرق بينهما[١].

ولعل من اقدم النصوص التي وُجدتْ بين ايدينا التي تشير بوضـوح تـام إلـى فكـرةِ الترادف في اللغة ما جاء في تقسيمات سيبويه، للالفاظ في -باب اللفظ للمعاني-، حيث قـال: (إعلم أنّ من كلامِهم اختلافَ اللفظتين لاختلاف المعنيين، واختلافَ اللفظين والمعنى واحـد، واتفاقَ اللفظين واختلافَ المعنيين)[٢].

والذي يهمنا في هذا المبحث ما جاء في التقسيم الثاني: وقد مثّل له بقوله: ذهب وانطلق. فهذا الضرب من الالفاظ هو الذي سُمّيَ فيما بعد بالالفاظ المترادفة.

ولقد صالَ علماءُ العربية قديماً وجالوا في الخوض في هذا الباب، وأعطَوه عنايةً فائقـةً، حتى أنّ بعضَهم قد وضع فيه كتباً مستقلة[٣]. ولهؤلاء العلماءِ آراءٌ مختلفةٌ في معنى الـترادف وفي امكانية وقوعهِ او عدمِ امكانية ذلك، وبهذا فقد اختلف اللغويون العربُ القدامى اختلافـاً واسعاً في اثباتِ هذه الظاهرةِ او انكارِ وجودِها، فانقسموا بذلك على فريقين:

(١) فريقٌ أثبتَ وجود هذه الظاهرة، واحتج على وجودها بأنّ جميـع اهـلِ اللغـة (اذا ارادوا ان يفسروا اللب قالوا: هو العقل، او الجرح قالوا: هو الكسب، او السكب قالوا : هـو الصب. وهذا يدل على أنّ اللب والعقل عندهم سواء، وكذلـك الجـرح والكسـب، والسـكب والصب، وما اشبه ذلك)[٤]. ومن هؤلاء حمزه الاصفهاني (ت ٣٥٠هـ)[٥]،وابن خالويـه (ت ٣٧٠هـ)[٦]،والرماني[٧]، وابن جنـي[٨]، والباقلاني (ت ٤٠٣هـ)[٩]،وابـن سـيده (ت ٤٥٨هـ)[١٠]، وفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)[١١].

---

(١) ينظر: الترادف في اللغة: ٣٢
(٢) الكتاب: ٢٤/١
(٣) لمعرفة هذه الكتب المؤلفة، ينظر: علم اللغة، للضامن: ٧٨
(٤) الفروق في اللغة: ١٦، وينظر: علم الدلالة: ١٦
(٥) ينظر: فقه اللغة، للمبارك: ١٠٠
(٦) ينظر: الصاحبي: ٤٤، المزهر: ٤٠٥/١
(٧) ينظر: فقه اللغة، للمبارك: ١٠٠
(٨) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٠
(٩) ينظر: الاضداد في اللغة: ٣٥
(١٠) ينظر: المشترك اللغوي: ٢٢٦
(١١) ينظر:فقه اللغة العربية: ١٧٠، المشترك اللغوي: ٢٢٦

الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)[١]، والسيوطي (ت ٩١١هـ)[٢].

ويبدو أنَّ مثبتي الترادف كانوا فريقين، فريقاً وسَّعَ في مفهومه، ولم يقيد حدوثه بأيِّ قيد. وآخرٌ كان يقيد حدوثَ الترادفِ ويضع له شروطاً تحدُّ من كثرةِ وقوعه. ومن الاخيرين (الرازي) الذي قَصَرَ الترادفَ على ما يتطابق فيه المعنيان بدون ادنى تفاوت[٣].

فالامام الرازي يرى وجوبَ تقييد الترادف بعدم التباين في المعنى وبعدم الاتباع، فليس من الترادف:(-السيف والصارم-، لان في الثانية زيادةً في المعنى، وكان الاصفهاني يرى أنَّ الترادف في اللهجة الواحدةِ، ويُنكره في لهجتين)[٤].

(٢) وفريقٌ انكر وجوَد الترادف، منهم ابن الاعرابي (ت ٢٣١هـ)[٥]، وتلميذُه ثعلب (ت ٢٩١هـ)[٦]، وابو علي النحوي[٧]، واحمد بن فارس[٨]، وابن درستويه (ت ٣٤٧هـ)[٩]، وابو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)[١٠]، والراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)[١١]، والانباري (ت ٥٧٧هـ)[١٢]، وابن الاثير (ت ٦٣٧هـ)[١٣].

(ويبدو أنَّ مجملَ آراءِ قدامى اللغويين الذين انكروا الترادفَ في اللغة مؤداها واحد، فهي - وإنْ تعددَ اصحابُها- ترجعُ في الواقع الى رأي ابن الاعرابي، بيد أنَّ هؤلاء قد توسعوا فيه وعزّزوه بالحِجج والامثلة)[١٤].

اما بالنسبة لابن حزم فاننا نجد اعترافَه الصريحَ بوجود مثل هذه الالفاظ المترادفة في العديد من مؤلفاته، حيث يُقرُّ بوجود الترادف في اللغة. ويقوم بذكر العديد من الامثلة التي تؤيد فكرةَ الترادفِ هذه، حيث يقول:

---

(١) ينظر: المزهر: ٤٠٧/١

(٢) ينظر: فقه اللغة، للضامن: ١٠٠

(٣) ينظر: فقه اللغة العربية: ١٧٠، علم الدلالة: ٢١٧-٢١٨

(٤) في اللهجات العربية: ١٧٥

(٥) المزهر: ٤٠٤/١-٤٠٥، وينظر: فصول في فقه العربية: ٢٧٤، ويرى الدكتور كاصد الزيدي أن ابن الاعرابي وثعلب لم يكونا في الواقع من منكري الترادف، بل كانا مثبتين له، وممن يرونه وارداً في كلام العرب، وآية ذلك ما ورد في آثارهم اللغوية، وللمزيد من معرفة هذه الادلة، ينظر: فقه اللغة العربية: ١٦٩-١٧٠

(٦) المزهر: ٤٠٤/١، وينظر: المشترك اللغوي: ٢٢٩

(٧) ينظر: دور الكلمة في اللغة: ١٠٤، علم الدلالة: ٢١٨، المشترك اللغوي: ٢٢٩، ويرى الدكتور علي جابر المنصوري أن ابا علي النحوي من الذين قالوا بالترادف، غير انه كان متشدداً فيه، ذلك لانه يعد من الاصوليين، وعلماء الاصول يتشددون في ذلك، ولمزيد من التفصيل في ذلك، ينظر: ابو علي النحوي : ٧٩-٨٢

(٨) ينظر: الصاحبي: ٩٦-٩٨، المزهر: ٤٠٣/١، المشترك اللغوي: ٢٢٩، نظرات في علم دلالة الالفاظ عند احمد بن فارس: ٤٥-٤٦

(٩) ينظر: المزهر: ٤٠٥/١ و ٣٨٤/١

(١٠) ينظر: الفروق في اللغة: ١١-١٣، فصول في فقه العربية: ٣١٣-٣١٤، في اللهجات العربية: ١٨١، المشترك اللغوي: ٢٢٩

(١١) ينظر: (مقدمة) مفردات غريب القرآن: ٤

(١٢) ينظر:فقه اللغة للمبارك: ١٠٠

(١٣) ينظر: المشترك اللغوي: ٢٢٩

(١٤) الترادف في اللغة: ٤٧، ٢٠٢

(ان اللغة هي مترادفة الاسماء على المسميات)[١].

وابن حزم حينما اعترف بالترادف يبدو انه قد قام باستنباطه من خلال الواقع اللغوي الذي عاش فيه، فقد سجّل العديدَ من الكلمات المترادفةِ الجارية في الاستعمال بين الناس، كما ورد في تقسيماتهِ للاسماء حيث يقول: (والرابع انْ يكونَ المسمى يوافق المُسمّى على حدّه، ويخالفه في اسمهِ، مثل قولنا: سنور وَضَيْوَن وهر، فان هذه الفاظ مختلفة، وهي كلها واقعة وقوعاً واحداً على كل شخص من اشخاص النوع المتّخذِ في البيوت لصيد الفأر الذي يُلحُّ في السؤال عن الاكل، وتُشبه الاسد في خلقه. وهذا النوع من الاسماء يسمى المترادفة)[٢].

وفي هذا الصدد يقول احد الباحثين: (اذا كان الاصوليون قد اعتمدوا الادلةَ العقليةَ والنقليةَ في اثبات الترادف، فان المناطقةَ قد عوّلوا فيه على الواقع اللغوي واقتبسو منه عدة امثلةٍ في اثبات حصول الترادف)[٣].

والملاحظ على ابن حزم اقتصارُه على الامثلة القليلة في كتاب (الإحكام في اصول الأحكام)، التي تشير الى حدوث الترادف، مقارنةً بالامثلة الغزيرة التي اوردها في مؤلفاته الاخرى[٤]. وقد يكون السبب في ذلك هو اقتصار هذا الكتاب على تفسيرِ الاحكام الشرعية وما يَشكلُ منها في نظر ابن حزم.

فابن حزم يشير في كتاب الإحكام هذا الى انّ تسميات الخمر تختلف في كل لغة بغير اسم الخمر عندنا، ثم يردف قائلاً: إنَّ العرب تُسمّي الخمرَ بخمسةٍ وستين اسماً ما وجدناها تضطر الى ترك شيءٍ منها[٥].

وذِكرُ ابن حزم اختلاف اسماء الخمر باختلاف اللغات، والاسماء المختلفة التي اطلِقَتْ على الخمر، دليلٌ على اعترافه بترادفِ الاسماء المتعددة التي سُمّيت بها هذه المادة.

---

(١) الإحكام في اصول الأحكام: ١/٣٠-٣١، وينظر: التعليق على ذلك في: التفكير اللساني في الحضارة العربية: ٩٠-٩١.

(٢) التقريب لحد المنطق والمدخل اليه: ٣٧

(٣) الترادف في اللغة: ٥٩

(٤) من مؤلفات ابن حزم التي ذكر فيها الترادف، (أ) رسالة في مداواة النفوس: ٥٩، يقول فيها (من مرادفات لفظة-العجب- خمس كلمات هي، البته، الزهو، الكبر، النخوة، التعالي) .(ب) الفصل: ٥/١٠٩، يقول فيه (العلم والمعرفة) اسمان واقعان على معنى واحد، و: ٥/٧٤ (النفس والروح) فهو عنده مترادفان لمسمى واحد، ومعناهما واحد (جـ) المحلى: ٤/٢٨٤، يقول فيه: (التصفيق والتصفيح) هما متكافئان من ناحية المعنى في نظره، و: ٨/١٢٩، يقول: (من مفردات الكفالة: الضمان والكمالة والزعامة والقبالة) . ينظر تفصيل ذلك في : ابن حزم لغوياً : ٥٠٠

(٥) ينظر: الإحكام في اصول الاحكام: ٨/١١٢٥

ونجد انَّ تسمياتِ الخمر هذه قد اختلفت واتّسعتْ منذ القِدَم ، فمنها ماهو عربيٌّ اصيل ومنها ما هو أعجميٌّ، ومن الشواهد على ذلك ما نجده في اسماءِ الخمرة من الفاظٍ اعجمية مُعَرّبة مثل الاسفنط – وفيها لغات كثيرة– وهي رومية الاصل(١).

وكذلك الرساطون اوالرصاطون وهي معربة عن الرومية ايضاً(٢). وكان اهل الشام يسمون الخمر الرساطون وسائر العرب لايعرفونه(٣). ومن اسمائها ايضاً التِّرياق، يقول الصاغاني (ت ٦٥٠هـ): (التِرياق بالكسر دواء السموم، والعرب تسمي الخمر تِرياقاً وترياقة لانها فيما يزعمون دواءُ السموم، فشبهت الخمر بها في منافعها البدنية، فسَمّوها بأسمهِ أي باسم ذلك الدواء، الترياق)(٤).

وقيل ايضاً اسمها (مدُامة) لدوامِها في البدن، وقليل لانه يَغلي عليها حتى تسكنَ لانه يقال دام: سكن وثبت، فان قيل: فهل يقال لكل ماسكن مدام؟ قيل: الاصل هذا، ثم يخص الشيء باسمه(٥).

وقد تعددت اسماء الخمر(٦)، على حين نلاحظ انَّ طائفةً كبيرةً من هذه الاسماء قد وردتْ بصورة لفظيةٍ للكلمة الواحدة، نحو:الرساطون والرصاطونِ، والدرياق والترياق،...، ومثل هذه الالفاظ بلغاتها المتعددة ليست بشيء من الترادف، ذلك انَّ هذه الاختلافات الصوتية انما نشأت بسبب التباين العربي في نُطق الكلمة المعربة الواحدة(٧).

والدليل الاخر: (إنَّ بعضَ هذه الالفاظ لم يكن اسماً للخمرة في الأُصلِ وانما جاءت التسميةُ عن طريق الاستعمال المجازي حتى صار فيما بعد حقيقة فيها، وكل ذلك جرى بسبب التطور الدلالي الذي يحدث لهذه الكلمات، والالفاظ المعربة ليست بمَعزلٍ عن سُنَّةِ التطور الدلالي، اذ يحدث لهذه الالفاظِ ما يحدثُ للالفاظ العربية الاصيلة)(٨).

ولم يكتفِ ابن حزم بهذا المثال دليلاً على ورود الترادف، وانما اعطى مثالاً اخرَ، فحينما تحدث عن اسماء العسل قال ومن اسمائه (الضَّرَبُ)(٩).

---

(١) ينظر: المعرب: ١٨، اللسان: ٧/٢٥٥-٢٥٦ مادة(اسفط) ، الترادف في اللغة ك ١٦٩، كلام العرب: ١٠٤، نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها: ٣٨

(٢) ينظر: شفاء الغليل: ١٣٣، نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها: ٧٦، وينظر: تفصيل ذلك في الترادف في اللغة: ١٦٩

(٣) ينظر: الترادف في اللغة: ١٦٩

(٤) المصدر نفسه: ١٦٩

(٥) ينظر: المزهر: ١/ ٤٣٣، فقه اللغة وخصائص العربية: ١٩٧

(٦) لمزيد من معرفة هذه الاسماء، ينظر: كفاية المتحفظ وغاية المتلفظ في اللغة: ١١٧-١١٨

(٧) ينظر: الترادف في اللغة: ١٧٠

(٨) المصدر نفسه: ١٧١

(٩) ينظر: الإحكام في اصول الأَحكام: ١/٩٥٠

وفي هذا المجال يقول السيوطي: (للعسل ثمانون اسماً، قام بايرادها صاحبُ القاموس في كتابه (ترقيق الاسل لتصفيق العسل)[١] . وقد اضاف ابو علي القالي (ت ٣٥٦هـ) اسماً اخرَ للعسل وهو: الصرخدي[٢]، وفعل مثلَه الزجاجي ايضاً في اماليه وقال من اسماء العسل: السعابيب[٣].

والمعروف أنّ (الضَّرَبْ) هو مايُطلق على العسل الابيض[٤].

ويبدومن الاسماء التي اوردها السيوطي ناقلاً عما جاء في كتاب الفيروز آبادي من – اسماء العسل– انه قد جاء بالعديد من أسمائه على حين يدلُنا التاملُ فيها من خلال الدراسة المتأنية انها ليست جميعاً اسماءً تُطلق على العسل، بل منها ماهو من قبيل التعبيرات المجازية. وهي التعبيرات التي تُوصَفُ بها الاشياء. وتجري مجرى الكنايات في الاصل، ثم يشيع استعمالُها وتترددُ على الالسن، فتاخذ طابعَ الاسم لذلك المسمى، مع انها في الواقع ليست كذلك، لانها ليست اسماءً موضوعَة له، فتكون اسماءً حقيقية له، وانما هي تعبيرات مجازيةٌ يُكنّى بها[٥].

وفي هذا المجال قام الاستاذ علي الجارم باحصاء عدد الاسماء التي اطلقت على العسل فوجدها تزيد على خمسمائة وثمانين اسماً، وقام بدراسة هذه الاسماء دراسة دقيقة فوصل إلى (أنّ الاسماء الحقيقية المترادفة لهذه المادة لاتزيد عن ثلاثة او اربعة، وأما الكلمات الباقية فهي صفات ذات معاني مستقلة، ومن ثم لاتُعد ترادفاً في نظره)[٦].

اما ابن حزم فعندما انتهى من عرض الامثلة المؤيدة لحدوث مثل هذه الظاهرة محاولاً جاهداً، عرَض بعضِ الاسباب المؤيدة لشيوع مثل هذه الالفاظ المترادفة، فقد جَعَلَ بَعضُهم أنّ من اسباب حدوث الترادف (تكثير طرق الاخبار عما في النفس، فقدُ ينسى احدُ اللفظين، او يصعبُ نفظُه، فيلجأ الى الاخر تسهيلاً وتخفيفاً. وعدّوا من اسبابه التوسع في طرق الفصاحة والحاجةِ اليه في الشعر وضروبِ البديع، من اجل تكثير وسائل التعبير والتفنن في الكلام، وبيان الخفي والمجهول وشرحِ المهم وما الى ذلك)[٧]. وهذه امور أشدُّ تعلقاً بفوائد الترادف منها باسباب وقوعه[٨].

---

(١) ينظر: المزهر: ٤٠٧/١

(٢) ينظر: المزهر: ٤٠٩/١

(٣) ينظر: امالي الزجاجي: ١٩

(٤) ينظر: كفاية المتحفظ وغاية المتلفظ في اللغة: ١١٦

(٥) ينظر:فقه اللغة العربية: ١٧٩-١٨٠

(٦) دور الكلمة في اللغة: ١٠٧، هامش (المترجم)، وحول طابع الكلمات المترادفة في اللغة العربية الفصحى: ٢٠٤

(٧) المزهر: ٤٠٥/١

(٨) ينظر: الترادف في اللغة: ٧٨

فقد حاول ابن حزم تفسيرَ هذه الظاهرةِ من خلال تحدثه عن لغة آدَم (ع) فقال: (ولعلها كانت حينئذ لغةً واحدةً مترادفةَ الاسماء على المسميات، ثم صارت لغاتٍ كثيرةً، اذ توزّعها بنوه بعد ذلك، وهذا هو الاظهرُ عندنا والاقربُ)[١].

ومما تجدر الاشارة اليه كونُ هذا التفسير اقربَ ما يكونُ تفسيراً غيبيا لحدوث مثل هذه الظاهرة، وأنَّ جميعَ التفسيرات التي ذهب اليها ابن حزم يبدو انها لا تمتُّ بصلةٍ الى الاسباب اللغوية التي اتفق عليها اغلبُ علماءِ اللغة، التي تؤدي الى معرفة اسبابِ حدوث الترادف فضلاً عما فيها من التمحل والتكلّف[٢].

اذا فالترادف هو حقيقةٌ لغوية لايمكن انكارُها البتة[٣]، وهو سمةٌ اوخصيصةٌ من خصائص اللغة العربية التي لامِراءَ فيها. وهو إنْ دلَّ على شيءٍ، فإنّه يدل على ما لهذه اللغة الكريمة مِن ثروةٍ لغويةٍ فائقة، وتنويعٍ لفظي متعددٍ في اختيار الصورةِ والصيغةِ والجَرْسُ الموسيقي، وكما قال الدكتور صبحي الصالح (إنّ الترادف صورةٌ ومظهرٌ لثراء اللغةِ العربية الكريمةِ في مفرداتها)[٤]. وقد يُترَكُ للكاتب و الاديبِ والشاعرِ اختيارُ لفظةٍ من بين تلك الالفاظ المترادفةِ المتعددة، لتلائم سياقَ كلامِهِ معنى وجَرْسا، فكم من لفظةٍ يختارها الاديبُ او الكاتب او الشاعر في نص ادبي له، قد يُؤْثِر غيرَها عليها في نصٍ آخَرَ، مع أنَّهما بمعنى واحد؛ وذلك لِمَا يرى في كل منهما من خصوصية تليقُ بذينكَ النصين[٥].

(ب) المفردات المشتركة في اللفظ، (المشترَك اللفظي والتّضاد):-

١- المشترَك اللفظي:-

تدل الدراسات اللغوية الحديثة علىٰ ان الاشتراك ظاهرة معروفة في العديد من اللغات الانسانية[٦]، فهي لاتقتصر على اللّغةُ العربيةِ وحدَها. فقد أشارُ إلىٰ شيءٍ من هذا القبيل ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ)، إذ ذكر أنَّه سَمِعَ أنَّ اللغةُ الرومية يوجد فيها للاسم الواحد مدلولات مختلفة[٧].

---

(١) الإحكام في اصول الأحكام: ٣٠/١

(٢) لمعرفة اسباب حدوث الترادف، ينظر: أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية: ٢٤٠-٢٤٢، الترادف في اللغة: ٧٨-١٠٩، علم الدلالة: ٢٢٦-٢٢٩، فصول في فقه اعربية: ٣٢٢-٣٢٤، فقه اللغة، للمبارك: ١٠١-١٠٥

(٣) ينظر: فقه اللغة العربية: ١٨٠

(٤) دراسات في فقه اللغة: ٢٩٩

(٥) ينظر: فقه اللغة العربية: ١٨٠

(٦) ينظر:المشترك اللفظي في اللغة العربية: ٦٧

(٧) ينظر: سر الفصاحة: ٤٩-٥٠

وعرفَ اللغويون الهنودُ المشترك اللفظي في لغتهم، فوضعوا المؤلفـــاتِ اللغويـــة والمعاجمَ الخاصة بالالفاظ المشركة، ودرسوا العلاقةَ بين معاني اللفظ المشترك فميزوا بيـــن المعنى الاصلي وهو الذي يتبادر الى الذهن، والمعنى الثانوي، وتطرّقوا الى مباحثَ تتصل باسباب الاشتراك وانواعِه[(١)].

اما الدراسات الحديثةُ فقد ذكرت (ان قدرةَ الكلمةِ الواحدةِ علي التعبير عــــن مدلـولات متعددة انما هي خاصةٌ من الخواص الاساسية للكلام الانساني، وأنّ نظرةً واحدةً في أيّ مُعجَم من معجمات اللغة لتعطينا فكرةً عن كثرةِ ورودِ هذه الظاهرة)[(٢)].

ونستخلص من هذه الاراء انّه من الممكن الحكمُ على ظاهرة الاشتراك اللفظي بكونـــها من الظواهر اللغوية العامةِ التي لاتختصّ بلغةٍ من اللغات ويؤكد ذلك ما انتهت اليه دراســـاتُ علمِ الدلالة من قوانين التطور الدلالي وما ينتج عنها من تعددِ معاني الالفاظ. ومن البدهـــي أنّ تلك القوانين لها طابَعُ الشمول وعدمُ الاختصاص بلغة معينة.

ومهما يكن الامر: فان الاسبابَ التي ادت الى ظهور مثلِ هذا اللونِ اللغوي كانت كثـيرة منها: تغيرُ الزمان، واختلافُ المكان، والتطورُ الاجتماعي[(٣)].

فالمشترك اللفظي هو: ما اتحدت صورتُه واختلف معناه،

وبذلك يكون على عكس المترادفِ[(٤)]. او هو اللفظ الدال على معنيين مختلفيين فـــاكثر دلالة على السواء عند اهلِ اللغة [(٥)].

وكما وقع الخِلافُ بين اللغويين في وجود المترادفات في اللغة، فانكره بعضـــهم، نجـــد الامر نفسَه يتكرر هنا كذلك[(٦)]. حيث اختلف الباحثون في مبلغ ورودِ المشترك اللفظـــي فـــي اللغة العربية[(٧)] .

فذهب بعضُهم الى انكاره بتاتاً، وعَمِلَ على تأويلِ امثلتهِ تأويلاً يُخرجها من هذا البـــاب، كأنْ يجعل اطلاقَ اللفظِ في احد معانيه حقيقةً، وفي المعاني الاخر مجازاً.

---

(١) ينظر: البحث اللغوي عند الهنود: ١١٣

(٢) دور الكلمة في اللغة: ١١٤

(٣) ينظر: ابو علي النحوي: ٧٥

(٤) ينظر: دراسات في فقه اللغة: ٣٠٢، فقه اللغة وخصائص العربية: ٢٠٠، اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠، المشترك اللغوي ، نظرية وتطبيقا: ٢٨

(٥) ينظر: الصاحبي: ٢٦٩، التعريفات: ٢٣٩، المزهر: ٣٦٩/١، تاج العروس: ٨/١، أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية: ٢٤٤، الاضداد في اللغة ٣٩، دراسات في فقه اللغة: ٣٠٢، الدراسات اللغوية عند العرب: ١٣٠، دلالة الالفاظ: ٢١٣، رواية اللغة: ٣٣٠-٣٣١، فصول في فقه العربية: ٣٢٤، فقه اللغة، للمبارك: ١٣٠، فقه اللغة العربية: ١٤١، في فقه اللغة وقضايا العربية: ١٧٧، في اللهجات العربية: ١٩٢، اللغات السامية، لوافي: ١٨٩، المشترك اللفظي في اللغة العربية: ٨١

(٦) ينظر: فصول في فقه العربية: ٣٢٤

(٧) ينظر: اللغات السامية ، لوافي : ١٨٩

وعلى رأس هذا الفريق ابن درستويه[١].

وقد ذهب الدكتور رمضان عبد التواب الى ان ابا علي الفارسي قد اخذ بقول ابن درستويه في انكاره المشترك اللفظي[٢]. على اننا نرى أنّ ابا علي الفارسي كان ينظر الى الموضوع نظرةً معتدلة، لا يغالي فيها مغالاةَ ابن درستويه، ولا يبالغ في جميع صوره مبالغة الفريق الثاني الذي ياخذ بالقول فيه، فهو يقول: (اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينبغي ألاّ يكون قصداً في الوضع، ولا اصلاً ولكنه من لغاتٍ تداخلت، او أنْ تكوَن لفظتُه تُستعمَلُ لمعنى ثم تُستعار لشئ فتكثر وتُعتبر بمنزلةِ الاصل)[٣].

وقد عقّبَ الدكتور علي جابر المنصوري على هذا الكلام قائلاً: (ورأي ابي علي هذا رأي طريف لأنّ طبيعةَ اللغةِ في الاستعمال تدعم ما رآه. فقد يستعمل شخصٌ لفظاً معيناً لمعنى معين في بيئةٍ ما بين افرادِها، فاذا ما اختلط بافراد بيئةٍ اخرى، لوجد اللفظَ ذاتَه مستعملاً بمعنى ثانٍ، عرف معناه الجديد، فاضافةً الى معناه الذي كان يعرفه من قبل. وربما استهواه فنطق به، وبذلك يكون -هذا الشخص - قد تعلّمَ معنيين للفظِ الواحد)[٤] .

اما الفريق الثاني فقد صرّح القولَ بالمشترك، وتوسع في الاخذ به، امثال: الخليل، وسيبويه، وابي عبيدة (ت ٢١٠هـ)، والاصمعي (ت ٢١٥هـ)، والاخفش الاوسط، وابي زيد الانصاري (ت ٢١٦هـ)، وابن هشام صاحب السيرة النبوية (ت ٢١٨هـ)، وابي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ)، وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، والمبرد (ت ٢٨٥هـ)، وابن دريد، وابي بكر محمد بن القاسم بن الانباري (ت ٣٢٨هـ)، وابن خالويه، وابن جنّي، وابن فارس، والثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، وابن سيده، والسيوطي [٥].

وقد استشهد هؤلاء بشواهدَ عربيةٍ لا سبيلَ الى انكارها، اما فقيهنا ابن حزم، فانه قد اقرَّ بوجود مثل هذه الالفاظ المشتركةِ في اللغة، وان كانت اقوالُه هنا مخالفةً صريحةً للذين اخذوا بالقول بمبدأ التوقيف اللغوي - وابن حزم من بينهم-، وهم الذين كانوا يعتقدون أنّ اللهَ سبحانه وتعالى حين علّم آدمَ (ع) الاسماء، فانما علّمه لفظاً واحداً لكلِّ مسمى، ونفوا حصولَ التعدد في الاسماء، لانّ ذلك في رأيهم يخالفُ طبيعةَ الاحكام في الصّنعةِ الالهية، حيث عَدّوا وجود هذه الالفاظ شذوذاً خارجاً عن الدقة الواجبِ توفرُها في اللغة التي تلفّظَها آدم (ع) عن ربّه،

---

(١) ينظر: تصحيح الفصيح: ١/٢٤٠، المزهر: ١/ ٣٨٤، فقه اللغة،وافي: ١٨٣

(٢) ينظر: فصول في فقه العربية: ٣٢٥

(٣) البغداديات: ٥٣٤، ينظر: المخصص: ١٣/٢٥٩، ابو علي النحوي: ٧٤

(٤) ابو علي النحوي: ٧٤

(٥) ينظر: ادب الكاتب: ٢٣٢-٢٣٣، أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية: ٢٤٥، الاضداد في اللغة: ٣٩، دراسات في فقه اللغة: ٣٠٢، علم الدلالة: ١٥٦، فقه اللغة،وافي: ١٨٣-١٨٤، فقه اللغة العربية: ١٤٢، المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً: ٢٧-٢٨، من قضايا اللغة والنحو: ١٢

(ولذلك كان ابن درستويه وهو من الذين نادوا بتوقيفية اللغة ينكر اشدَّ الانكار وجودَ المشترك اللفظي ويعده مدعاةً للالباس والابهام وينزّه الخالقَ عن مثل هذا في مخلوقاته)[١].

امّا اصحابُ المواضعة والاصطلاح فكانوا من اشدّ المتمسكين بوجود هذه الالفاظ المتعددة المعاني في اللغة، حيث وجدوا فيها خيرَ سَندٍ قويٍّ التزموه، واستغلوه من اجل اثباتِ صحةِ مذهبهم والبرهنةِ على قوة تعليلاتهم لنشوء اللغات، وبذلك يقول السيوطي: (فالاكثرون على انّه ممكن الوقوع-اي وجود المشترك- لجواز اَنْ يقعَ إما من واضعين ، بانْ يضع احدُهما لفظاً لمعنى، ثم يضعه الاخر لمعنى اخر، ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في افادة المعنيين؛ وهذا على أنّ اللغات غير توقيفية)[٢].

وبيّن السيوطي بعد ذلك ان من الناس من أوجب وقوع هذا الاشتراك في المعاني بدعوى أنّ (المعاني غيرُ متناهية، والالفاظ متناهيةٌ، فاذا وزع لزم الاشتراك)[٣].

اما ابن حزم، وهو صاحب القول بالتوقيف، فانه لايجد أيَّ تعارضٍ بين فكرةِ التوقيف اللغوي، وبين القبول والاخذ بهذه الالفاظ المشتركة، وذلك أنّ الله هو صاحبُ هذه اللغات، وهو المتصرفُ باحوالها والقوانين التي وُضِعَتْ لها، وهو ايضاً الذي قام بايجاد هذا الاشتراك، وليس يَحقّ لاي شخص انْ يقومَ بطرحِ هذا القول او نفيه، وبهذا يقول: (فالاسم اذا وقع على معنىً ما، فاوقعه الله تعالى ايضاً على معنى اخر فقد نقله عن حكم الوقوع على معنى واحد، الى حكم الوقوع على معنيين)[٤]. وقد اطلق ابن حزم على هذه الالفاظ بـ(الالفاظ المشتركة)[٥]، ذلك أنّ هذه الالفاظ في نظره صحيحة كلُّها ولاغبارَ عليها مادامت متمشيةً وغيرَ متعارضةٍ مع الشرطين الرئيسيين الذين عدَّ توافرهما اساساً للاعتراف بهذا الصنفِ من الالفاظ المشتركة، وهذان الشرطان هما:- ١- أنّ يكونَ هذا الاشتراكُ مستنداً الى أدلةٍ موثقةٍ، تتمثل في نصوص سليمةٍ، تؤيدُها القوانين والضوابط اللغوية. ٢- ان يكون ذلك واقعاً وقوعاً حقيقياً (وتسمية صحيحة لامجازية)[٦].

وقد اشار ابن حزم الى بعض الامثلةِ التي تؤيد وقوعَ هذه الالفاظ في اللغة ، ومن امثلته على ذلك:-

---

(١) دلالة الالفاظ: ١٩
(٢) المزهر: ٣٦٩/١ ، وينظر: ابن حزم لغوياً: ٢٩٧
(٣) المصدر نفسه: ٣٦٩/١
(٤) الإحكام في اصول الأحكام: ٢٦١/٣-٢٦٢ ، وينظر: ابن حزم لغوياً: ٢٩٨
(٥) المصدر نفسه: ٦٧٧/٥
(٦) الاحكام في اصول الأحكام: ٣٦٣/٣

(الضَرَّبَ) قال: وهو من ضِراب الجمل، وهو سفادُه الناقةَ، و(الضربُ) بمعنى الايـــلام بايقاع جسم على جسمِ المضروبِ بشدة[١].

والذي يتفحص معاني هذه الكلمة، يلاحظْ انها قد دلتْ على:-

الضرب، باليد وبالعصا، معروفٌ و الضرب في الارض: الذَّهــابُ فيــها، والضـــرب: الاسراعُ في المشي؛ وقد ضرب الرجل ضرباً، اذا فعل ذلك، ومنه قول: المسيب[٢].

فإنّ الذي كُنتُم تَحذَرونْ أتتْنا عُيونٌ به تَضْربُ

أي تسرع،والضرب الاخذ في الشئ، تقول: ضرب فلان في عملِه اذا اخذ فيه، والضربُ ايضاً: منع المفسِّر من عمله، تقول: ضَرَبَ على يديه ضرباً، اذا فعل ذلك، والضَّرْب: النـــوعُ والجنس، تقول: هذا ضربٌ من المتاع، أي نوع، والضـــربُ: الرجـــل الخفيـــف اللحـــم، أي (المهزول)، ومنه قول الشاعر: طرفة بن العبد:

أنَا الرَّجُل الضَّرْبُ الَّذي تَعرِفُونَهُ خَشَاشٌ كَرأسِ الحَيَّةِ المُتَوَقِّدِ[٣]

فالضرب هنا: الخفيف النحيف.

وضَرَبَ الفحلُ الناقةَ ضرباً وضِراباً، وباتت الليلة تُضْرِبُنا ضرباً من الضريـــب، وهـــو الجليد، والضرب ايضاً: المطرُ الدائم الضعيف، وضرب الدهر بقومٍ اذا تَصرَّف بهم، وضربت فلانة في بني فلان بعرقٍ أشبّ[٤]، ضرباً: اذا ولدت فيهم، وهذا ضَربُ هذا، أي مثله: ومنـــه قول الراجز:

وما رَأينا في الأنام ضَرْباً ضَرْبَكَ إلاّ حَاتِماً وَسَعْداً[٥]

والضرب هنا: المثيل، اما الضَّرب، بتشديد الضاد فهو العسل الابيض [٦].

(والضرب): المسير، قال تعالى (إذا ضَرَبتُم فـــي سَـــبيلِ اللهِ)[٧]. وقولـــه (وآخـــرُونَ يَضرِبونَ في الأرضِ)[٨].

---

(١) ينظر: الإحكام في اصول الأحكام: ٩٥٠/٧

(٢) هو زهير بن علس بن مالك بن عمر بن تمامة، والمسيب لقبه وهو من شعراء بكر المعدودين، ولم يدرك الاسلام، وعده ابن سلام من شعراء الطبقة السابعة الجاهليين، ينظر: طبقات الشعراء: ١٦٩ شرح المفضليات: ٩١، الشعر والشعراء: ١٧٤/١-١٧٨، معجم الشعراء، للمرزباني: ٣٠٠، خزانة الادب:٥٤٥/١-٥٥٦، شعراء النصرانية في الجاهلية وبعد الاسلام: ٣٥٠-٣٥٦

(٣) ينظر: شرح المعلقات السبع، للزوزني: ٩٥

(٤) أشب: أي متين

(٥) لم استطع معرفة صاحب هذا البيت في المصادر والمراجع التي وقفت عليها

(٦) وردت هذه الامثلة بكاملها مع شواهدها في (عشرات التميمي)، الورقة: ١٢٢آ، نقلاعن اتفاق المباني وافتراق المعاني: ١١٥ (الهامش٦)، ١٧٢ (الهامش٧)، ١٨٠-١٨١، وينظر: المثلث: ٢٤٦/٢-٢٤٧ مادة (ض ر ب)، المزهر: ٤٠٧/١، كفاية المتحفظ وغاية المتلفظ في اللغة: ١١٦، تاج العروس: ٣/ ٢٣٧-٢٤٥ مادة (ض ر ب).

(٧) النساء: ٩٤

(٨) المزمل: ٢٠

والضرب: التبيينُ والوصفُ، قال تعالى (ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً)(١). وقال :(فَلا تَضْرِبوا للهِ الأَمْثَالَ)(٢).(أي لا تصفوه بصفاتِ غيرِه ولا تشبهوه) (٣).

ثم يعطي ابن حزم مثالاً اخر على وقوع هذه الالفاظ المشتركة في اللغة، فيقول: (ولفظة–دون– في اللغة من الالفاظ التي خوطبنا بها، تقع على معنيين وقوعاً مستوياً حقيقياً لامجازياً)(٤).

(١) بمعنى (اقل)، كقوله عليه الصلاة والسلام (ليس فيما دونَ خمسةِ اوساقٍ من حَبٍ أو تمرٍ صدقةٌ)(٥) ، أي في اقل.

(٢) بمعنى (غير)، وهو المعنى الذي وردت فيه بعضُ الايات القرآنية كقوله تعالى: (وَأَعِدّوا لَهُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَةٍ ومِن رِباطِ الْخَيلِ تُرهِبونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرينَ مِنْ دونِهِم)(٦) ، أي من غيرهم.

و(دون) هذه التي تحدث عنها ابن حزم هي اداة تفيدُ معنى التقصير عن الغاية من الفعل: (دنا أي اقترب ومنه الدنيا لانها قبل الآخرة او من: دنى ودنا ودناية، والصفة دنيء اى ساقطٌ ضعيف، وعن الزجاجي قال: (والدُناة جمع دَنيء، وهو الخسيس الذي لا غناءَ عنده؛ ولم اجدْ هذا الجمعَ ولا هو منقاس في دني ، إلاّ أنْ يكونَ جمعَ دانئ بعد تسهيله)(٧) ، وكذا الفعل دان يدون دوناً وأُدين–بالضم–اي صار خسيساًاو ضعيفاً(٨).

---

(١) النحل: ٧٥
(٢) النحل: ٧٤
(٣) تأويل مشكل القرآن: ٤٩٧
(٤) الإحكام في اصول الأحكام: ٣/٣٦٤-٣٦٥
(٥) ينظر الإحكام في اصول الأحكام: ٣/٣٦٤، ومسند الامام احمد بن حنبل: ٢/٤٠٢-٤٠٣
(٦) الانفال: ٦٠
(٧) أمالي الزجاجي: ١٢٠ (هامش ٣)
(٨) ينظر مفردات غريب القرآن: ١٧٢ مادة (دون)

وقال بعض النحويين: (الدونُ تسعةُ معانٍ تكون بمعنى قبل ومعنى امامَ وبمعنى وراء وبمعنى تحت وبمعنى فوق وبمعنى الساقطِ من الناس وغيرِهم بمعنى الشريفِ وبمعنى الامر وبمعنى الوعيد وبمعنى الاغراء)[١]

وقد قال الرضي الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ): (وقد يدخل (دون) التي بمعنى -قدام- معنيان آخران هي في احدهما متصرفة وذلك معنى اسفل نحو: أتيت دون زيد، اذ كان لزيد مرتبةً عاليةً، وللمخاطب مرتبةً تحتها فيوصل الى المخاطب قبل الوصولِ الى زيدٍ، ويتصرفُ فيها بهذا المعنى نحو هذا شيءٌ دونٌ أي خسيس.

ومعناها الآخر (غير) ولا يتصرف بهذا المعنى وذلك نحو قوله تعالى: (ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً)[٢])[٣]

وقد اضاف ابن حزم الى معاني (دون) معنى آخَر، ربما كان يدور على السنةِ الفقهاء غالباً في ذلك الوقت، وهو معنى (الاقل). وقد يكتسب هذا المعنى الذي تحدّث عنه، من خلال السياقِ الذي تُوضَعُ فيه الكلمةُ لتُعطي بدورها المعنى المقصودَ.

ومن ثَمَّ ينتقل ابن حزم الى الرفض المطلقِ الذي يتسنى لبعض الاشخاصِ الذين يقولون إنَّ مِنْ معاني كلمة (ندى)، الشحمَ، فاذا سُئِلَ هذا من اين هذا ، انشد ذلك قول اعرابي جلف:

كثورِ[٤] العِدَاب الفَرد يُضربهُ النَدىٰ   تعَلّى النَدى فِي مَتْنِهِ وتحددا[٥]

ونحن نوافق ابن حزم في هذا القول، لِأنَّ انتقالَ المعنى الذي اشار اليه وهو-الشحمُ-جاء عن طريق (الانتقال بالمجاورة والسبب)، حيث ينتقل التطور المتعلق بمعنى الكلمة الى دلالة اخرى عن طريق ما يُجاورُها أوْ ما ينتجُ عنها. فقد صنف علماء البلاغة هذا الشكل من اشكال الانتقال بين ضروبُ المجاز المرسل . [٦] وقدْ عقد ابن فارس لمثل هذه

---

(١) لسان العرب : / مادة (دون) ، وينظر : معاني النحو : ٢ / ٦٣٨

(٢) يس : ٢٣

(٣) شرح الكافية : ١/ ٢٠٥ ، وينظر : اساليب النفي في القرآن : ٢٥٧ ، التراكيب اللغوية في العربية : ٣٥٥ .

(٤) ينظر : الاحكام في اصول الاحكام : ٤٢٠/٣ ، في الاصل كثوب ، والصحيح ما أثبته

(٥) قائل هذا البيت هو :ابن احمر ابو الخطاب عمرو بن احمد بن العمرد الباهلي القيسي ، شاعر فحل مخضرم ، مشهور بالفصاحة والغريب ، توفي في خلافة عثمان (قبل سنة ٣٥هـ) ، ينظر : طبقات الشعراء : ١٧٤ ، الشعر والشعراء : ١/ ٣٥٦ .

(٦) ينظر : نظرات في علم دلالة الالفاظ عند احمد بن فارس : ٧٩

الظاهرةِ فصلاً في كتابهِ (الصاحبي)، عنوانُه (باب الاسماء التي تسمى بها الاشخاص على المجاورة والسبب)[١]. وجاء فيه: (وربما سَمَّوا الشحم ندى، لان الشحم عن النبت، والنبت عن الندى)[٢]. ويقوم بالاستشهاد بالبيت الشعري السابق.

ولكن الذي يقوم باستعراض الاشياء التي وُقِعَتْ للدلالة على الماء يلاحظ انَّها كثيرةٌ ومتنوعة، امَّا كثرتُها فلأنَّ الماء القليل في الصحراء جعل العربَ يربطون به حياتَهم ولُغتَهم، وامَّا اختلافها فلأنَّ هذه الاشياءَ تضْرِبُ الى الماء بنسبٍ بعيد او قريبٍ كالشحم والانعام والنبات والثياب والنفس. حتى كثر ذلك في الشعر وفي القرآن الكريم ايضاً[٣].

وبهذا خرجت معاني هذه الكلمة-الندى-خروجاً مجازياً،لان الندى سببه البلل، وهذا البلل جاء عن طريق السماءِ وهو نوعٌ من انواع الطَراوة، ومن البلل جاءت تسميةُ الكريم، وهو كَرَمُ الطبيعة بهذا الماء، وبهذا الكرم جاء الشحم، وبذلك قد خرجت معاني هذه الكلمة عن المعنى الحقيقي الدلالي الى المجازي، والى ذلك قد ذهبَ ابن حزم

وفي النهاية فانَّ اغلبَ علماء اللغة قد اتفقوا على جوازِ وقوع المشترك اللفظي في اللغة، ومن بينهم- ابن حزم -، (لانه لا يمتنع عقلاً أَن يضع واحدٌ من اهل اللغة لفظاً واحداً على معنيين مختلفين من خلال الوضع الاول على طريقِ البدل، ويوافقه على ذلك الباقون او أَنْ يتفقَ وضعُ احدى القبيلتين للاسم على معنى حقيقةً، ووضع الاخرى له بإِزاءِ معنى آخر من غيرِ شعور لكل واحدة بما وضعتْه الاخرى، ثم يشتهرُ الوضعان وَيخفى سببُه)[٤].

---

(١) الصاحبي: ٩٤
(٢) الصاحبي: ٩٥
(٣) ينظر: نظرات في علم دلالة الالفاظ عند احمد بن فارس: ٨٠
(٤) رواية اللغة: ٣٣٢

(٢) التَّـــضَاد

الاضدادُ مصطلح اطلقَه اللغويون العُربُ على الالفاظ التي تَنصَرفُ الى معنيين متناقضين، وهي لغةً جمعُ ضِد، وهو النقيض والمقابل[١].

والمراد بالاضداد في الاصطلاح اللغوي: الفاظٌ لكل منها معنيان احدهُما ضدُّ الآخر، أي إنَّ الاختلافَ بينهما اختلافُ تضادٍ لا اختلافُ تغايرٍ[٢]. وعليه فان التضادَ يُشبه الاشتراك-بل هو نوعُ خاصُ من الاشتراك-[٣] في كون اللفظة منهما تدل على اكثر من معنى، ويفترق عنه في انَّ التضادَ رهينٌ بمعنيين لا اكثرُ، وان هذين المعنيين متضادان لا مختلفان[٤].

ويبدو ان حال اللغويين العرب في الاضداد كحالهم في الترادف، والمشترك اللفظي، فقد انقسموا على قسمين منهم من اقرَّ بوقوعه في كلام العرب، وآخرون انكروه ولم يعترفوا بوجوده في اللغة. وبهذا يقول ابن فارس: (من سنن العرب في الاسماء اَن يسمُّوا المتضادين باسم واحد، نحو الجَون للاسود، والجُون للابيض، وانكر ناسٌ هذا المذهب، وأنَّ العرب تأتي باسم واحد لشئ وضده)[٥].

ويقف على رأسي القائلين به كلٌ مِنْ: ابي عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)، والخليلُ، وسيبويه، ويونس (ت ١٨٢هـ)، والكسائي (ت ١٨٩هـ)، وقطرب (ت ٢١١هـ)، وابن السكيت (ت ٢٤٤هـ)، والسجستاني (ت ٢٥٥هـ)، والتوزي (ت ٢٥٥هـ)، وابن قتيبة، وثعلب، والزجاج، وابن دريد، وابن الانباري (ت ٣٢٨هـ)، وابي الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ) ،وابن جِنّي ، وابن فارس وابن سيده ، وابن الدهان (ت ٥٩٦ هـ) ، والصاغاني ، وغيرهم [٦].

---

(١) ينظر: اضداد ابي الطيب اللغوي: ١/١، رسالة الاضداد، لبدر الدين المنشئ: ١٣

(٢) ينظر: ابحاث ونصوص في فقه اللغة العربية: ٢٥٢، تاريخ آداب العرب: ١٩٧/١، دراسات في فقه اللغة: ٣٠٩، الدراسات اللغوية عند العرب: ٤١٨، دور الكلمة في اللغة: ١١٨، فصول في فقه العربية: ٩٤، فقه اللغة العربية: ١٥٢، فقه اللغة وخصائص العربية: ١٩٩، من قضايا اللغة والنحو: ٣٦

(٣) ينظر: فصول في فقه العربية: ٢٩٣-٣١٢، في اللهجات العربية: ٢٠٨، قطرب ومنهجه النحوي واللغوي: ٢٩، بحث منشور في مجلة كلية الشريعة، العدد ٧، ١٩٨٨، اللغات السامية، لوافي: ٢٩٢

(٤) ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب: ٤١٨

(٥) الصاحبي: ٩٧-٩٨، وينظر: المخصص: ٢٥٩/١٣، المزهر: ٣٨٧/١، ابحاث ونصوص في فقه اللغة العربية: ٢٥١، ابو علي النحوي: ٨٣، التضاد في ضوء اللغات السامية: ١٨، الدراسات اللغوية عند العرب: ٤١٨-٤١٩، فقه اللغة، للضامن: ٧٣-٧٤، فقه اللغة، للمبارك: ١٠٦، فقه اللغة، لوافي: ١٨٧، فقه اللغة العربية: ١٥٠-١٥١، المشترك اللغوي: ١٧٠

(٦) ينظر : المزهر : ٣٩٧/١ ، الاضداد في اللغة : ٢٣٧ ، التطور اللغوي التاريخي :٩٦

أمّا الفريقُ الثاني، الذي انكرَ وقوعَ التضادِ في اللغة ، فمنهم (ابن درستويه)[١] ،والآمدي (ت ٣٧٠هـ)[٢] .

ويبدو أنَّ ابن حزم، قد تابع الفريقَ الاول في الاقرارِ بالتضادِ في اللغة، فقد سلّم بوجوده في القرآن الكريم، حيث اجاز وقوعَ اللفظِ الواحد على معنيين متضادين،في حالةِ عدم وجود نصٍ او دليل آخر يخص واحداً منهما، فالتضاد لا يعد تكراراً، لأنَّه يدل على معنى مغايرٍ آخَرَ، فمن ذلك تفسيرُهُ لكلمةِ (القُرْء)، فقد اجاز وقوعَها على الطُهر دونَ الحيض، وقال: (وان كان القرؤ في اللغة واقعاً على الحيض كوقوعه على الطهر ولا فرقَ، الا إنَّنا نقول إنَّه حكمٌ واقعٌ على الطُهر دون الحَيض)[٣] .

والقُرْءُ هو حرف من الاضداد، قال الاصمعي: القُرْءُ عندَ أهلِ الحِجاز الطَّهر، وعندَ أهلِ العِراق الحيضُ[٤] . وقال ابو عمرو بن العلاء: (يُقالُ قد دفعَ فلانٌ الى فلانةَ جاريتَهُ تَقرئُها مهموزةٌ مشددة، يعني تَحيض عندها وتطهر إذا أَراد أنْ يستبرئَها، وقال: إنما القُرْءُ ، الوقت، فقد يجوز أنْ يكونَ وقتاً لِلطهرِ ووقتاً لِلحيضِ.

وقال ابو عبيدة: يقال: قد أقرأتِ المرأةُ إذا دنا حيضُها، واقرأتْ إذا دنا طهرها)[٥] .

والتّضاد قد يحصل مِن انتقالِ الدلالةِ مِن العُموم إلى الخصوص، إذ إنَّ كثيراً من المفردات تحمل معنى عاماً جامعاً يشترك فيه ضدان،فيهمل المعنى العام الجامع شيئاً فشيئاً، ويأخذ الضدان طريقَهُما للشيوع على لسانِ الناس بحيثُ يُستعملُ كلُّ معنى من المعنيين في سياق، ومن ذلك: الإقراء: الحيض والطهر، وذلك أنَّ للاقراء وقتاً فيه بدايةٌ ونهايةٌ، تحيض المرأةُ فيه وتطهر. فإذا اطلق الاقراء على الاطهار فهو صحيح، واذا اطلق على الحيضةِ والاطهار فهو صحيح[٦] .

---

[١] ينظر: المزهر: ٣٩٧/١، أبحاث ونصوص في فقه اللغةالعربية: ٣٥٢، التضاد في ضوء اللغات السامية: ٩، فقه اللغة العربية: ١٥٢

[٢] ينظر: الموازنة: ١٨٢/١، الاضداد في اللغة: ٢٣٧، الدراسات اللغوية عند العرب: ٤٢١-٤٢٢، فقه اللغة، للضامن: ٧٣-٧٤

[٣] الإحكام في اصول الأحكام: ٤١٢/٤ / وينظر تفصيل ذلك في: ابن حزم لغوياً: ٥٠-٧

[٤] ينظر: اضداد الاصمعي: ٥، اضداد السجستاني: ٩٩، اضداد ابن السكيت: ١٦٣، اضداد ابن الانباري: ٢٧-٣٠، الكامل: ٢٧٦/١، اضداد ابي الطيب اللغوي: ٥٧١/٢، الصاحبي: ٦٥، فقه اللغة وسر العربية: ٣٤٩، رسالة الاضداد، لبدر الدين المنشي: ٣٣

[٥] ينظر: اضداد السجستاني: ٩٩، والصاغاني: ٢٤٢، وينظر: ادب الكاتب: ١٨٠

[٦] ينظر: فقه اللغة،لوافي: ١٨٩

وقد أقرَّ ابنُ حزم بوجود مثل هذه الظاهرة في اللُّغةِ، ولم يجدْ أيَّ تعارض بينه وبين مذهبه في توقيفِ اللغة، ومثّل له بتسمية (اللديغ سليماً، والمهلكة مفازة، والاسودِ السخامي أبا البيضاء، والاعمى بصيراً)[١].

(واطلاق السليم في العربية هي على الصحيح وعلى اللديغ، واشتقاقه من السلامة يؤكّدُ أصالةَ المعنى الاول)[٢]. اما اطلاقُهُ على اللديغ، فهو على التفاؤل بسلامته وبُرئه من علتهِ[٣].

ولقد ذهب ابن القطاع (ت ٥١٥هـ)، إلى انكار التفاؤل، في هذا المثال؛ وهو يتحدثُ عن بناء فعيل: (ويجيئ بمعنى مفعول، وللمؤنث بالهاء، نحو: سليمٌ للديغ، من سَلِمته الحَيَّةُ، اذا لَدَغَتْهُ، ولا ينظر الى قول من قال: انه على طريقة التفاؤل، فقد غلط في ذلك جماعةٌ من العلماء)[٤].

اما الدكتور ابراهيم انيس، فذهب الى أنَّ كلمةَ (السليم) تُطلق على الملدوغ، على جهة التهكُم[٥].

اما اطلاقُ لفظة المفازة، فمعناها في العربية المَنجاة والمَهلكة. إذ من طبيعة الانسان التشاؤمُ، ولذلك نراه يفرُّ من كل لفظةٍ دالة عليه احياناً، فيقوم باستعمال اللفظةِ المضادةِ لها في المعنى، الذي يُوحي بالتفاؤل.

ومثلما استعملت العرب كلمةَ (السليم) للدلالة على الملدوغ، استعملوا ايضاً (المفازة) بدل المَهلكة، تفاؤلاً بالفوز والنجاةِ منها. وقد نصَّ على ذلك غيرُ واحدٍ من اللغويين[٦]. وقال ابو بكر السراج (ت ٣١٦هـ): (وقد يجئ منه شئ على سبيل التفاؤل نحو سليمٌ للديغ، ومفازةٌ للمهلكة، وهذ اضدادٌ تفاؤلٍ للشئ بضده)[٧].

---

(١) إلاحكام في اصول الأحكام: ٦٩٦/٥
(٢) فصول في فقه العربية: ٣٤٧
(٣) ينظر: اضداد الاصمعي: ٣٨، السجستاني: ٩٩، ١١٤، ١٢٧، ابن السكيت: ١٩٢، ابن الانباري: ١٠٥-١٠٦، والزاهر في معاني كلمات الناس: ٥٥١/١، رسالة الاضداد، لبدر الدين المنشي: ٤٨، الاضداد في اللغة: ٢٤٩-٢٥٠
(٤) ابنية الاسماء والافعال والمصادر: ٢٨٣، وينظر: تفصيل ذلك في: فصول في فقه العربية: ٣٤٧
(٥) ينظر: في اللهجات العربية: ٢٠٩
(٦) ينظر: اضداد قطرب: ٢٤٨، الاصمعي: ٣٨، السجستاني: ٩٩، ابن السكيت: ١٩٢، ابن الانباري، ١٠٥-١٠٦، ابي الطيب اللغوي: ٢٥١/١، الصاغاني: ٢٤١
(٧) الاشتقاق: ٤٢-٤٣، التطور اللغوي التاريخي: ١٠٨، وينظر: فصول في فقه العربية: ٣٤٧، فقه اللغة العربية: ١٦٥، المشترك اللغوي: ١٥٥

اما بالنسبةِ للأسود السخامي، فيُطلقُ عليه ابو البيضاء(١). وقد سمى ابن السكيت الاسودَ ابا البيضاء والابيضَ ابا الجون(٢).

اما البصير فهو من الاضدادِ أيضاً، قال قطرب: البصيرُ الصحيح البصر، والبصيرُ الاعمى(٣).

قال ابو حاتم السجستاني: وقالوا للعمياء بصيرة، على جهةِ التفاؤل لها بصحة البصر، قال ابو حاتم: وقال لي رجل مِن شِق الاحساء لِي أُمٌّ بصيرة، يريد عمياء(٤).

اما نحن فنرجح رأي د. ابراهيم انيس، في كونِ التضادِ يُراد به التهكمُ في هذه اللفظة، فمِن اين للبصير أنْ يرتدَ مبصراً، إذاكان اعمى؟

اما بالنسبة للديغ، فيصح أنْ يقال عنه انه سليمٌ من بابِ التفاؤل.

إذن فالتّضاد على ضآلةِ وجودِه في اللّغةِ، اصبحَ مِن الوسائلِ المهمة التي تساعدُ على تنوعِ الالفاظ والاساليب، ووسّع تنوعُ استعمالِه من دائرة التعبير في العربية، فكان حقيقاً بهذا المعنى أن يكونَ خصيصةً من خصائص لغتنا في مرانتها وطواعيتها من خلالِ التنقلِ بين السلب والايجاب، والتعكيس والتنظير، وهو ما ليس له في اللغات الحيةِ نظيرٌ.

واخيراً فإنّ هذه الظواهرَ اللغويةَ الثلاثَ التي اشار اليها ابن حزم: الترادُف، والمشترَك اللفظي، والتضاد، تحملُ في نظرهِ اهميةً خاصةً، وخطورةً بالغةً، لانها كثيراً ماتُستغَلُّ من المتلاعبين بالمعاني، وما يقوم عليها من أحكام، وقد تُتخذُ وسيلةً للسفسطةِ المجردةِ، والتخليطِ بين هذه الدلالات. حيث دعا إلى التّدبُر في هذه المعاني المشتركة، حتى يمكن التوصلُ إلى فهم النصوصِ والأقوال التي تتعلقُ بالشرع والاحكام، فهو يقول: (وقد بيّنا قبلُ وبعدُ، أنّ الآفةَ العظيمة إنما دخلتْ على الناس، وتمكّن بهم اهلُ الشرِ والفِسقِ والتخليطِ والسّفسطةِ، ولَبسوا عليهم دينَهم، فمن قبل اشتراك الاسماء واشتباكها على المعاني الواقعة تحتها، ولذلك دعونا في كتبنا الى تمييز المعاني، وتخصيصها بالاسماءِ المختلفة (٥)،

---

(١) اضداد السجستاني: ١٣٩

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٣٩، (هامش المحقق رقم ١)

(٣) ينظر: اضداد قطرب: ٢٥٦

(٤) ينظر: اضداد السجستاني: ١٣٨-١٣٩، اضداد ابن الانباري: ٣٦٧، اضداد ابي الطيب اللغوي، ٦٣/١

(٥) ينظر: ابن حزم لغوياً: ٥٠٩.

فان وجدنا في اللغة اسماً مشتركاً حققنا المعاني التي تقعُ تحتَه، وميَّزنا كلَّ معنى منها بحدوده التي هي صفاتُه التي لا يشاركُه فيها سائرُ المعاني، حتى يلوحَ البيان فيهلك من هَلك عنْ بيِّنة، ويحيا من حيَ عن بَيِّنةٍ)(١).

كما أنَّ ابنَ حزم قد حذَّر من انزلاق كثير من الباحثين في السقوط في الخطأ والتوهُّم، إزاءَ هذه الالفاظ المشتركةِ، نتيِّجةً لصعوبةِ التمييز بين هذه المعاني من الكلمات، وعدم اظهارِ التفرقة بينها، **بسبب** التقارب الشديد بين هذه المعاني.

وختاماً علينا أنْ نقولَ إن الاخذَ بمبدأ الظاهريةِ يمنعُ من القول بالاشتقاق او الترادفِ وسائرِ الظواهر اللغوية، وهذا ما لم يستطعْ ابن حزم الثباتَ عليه على الرغم من ظاهريتِه، فقد قادَتْه هذه المباحث الى الاقرار بها والسيرِ في ركابها، وهذا يشكل تناقضاً كبيراً بين مذهبه الفقهي الظاهري الذي لم يستطعْ تطبيقَه على اللُّغة.

(١) الإحكام في اصول الأحكام: ٨٠١/٦-٨٠٢

الخاتمة ونتائج البحث

بعد هذه الرحلةِ الشاقة والشيقةِ مع ابن حزم، والملازمة الطويلة لافكاره في كتابه (الإحكام في اصول الأحكام)، لابُدَّ لي أنْ اوجزَ أُهمَ النتائج التي توصلَ اليها البحثُ:-

(١) إنَّ فترةَ الاضطرابِ السياسي التي سَادتْ بلادَ الأندلس التي عاشَها ابنُ حزم، لم تمنع من أنْ تؤدي نشوءاً ورقياً حضارياً ازدهرتْ به البيئةُ الاندلسيةُ في ذلك العصر. ولم يمنعْ من نشوءِ نهضةٍ علميةٍ واسعة كان لها الاكبرُ الاثرِ في نشوءِ الثقافة الاسلاميةِ وتطورِها. وكان لها الاثرُ الاكبرُ في سطوع نجم ابنِ حزم وبزوغه في سماءِ الاندلس.

(٢) إنَّ المتتبع للنشاط العلمي في هذا العصرِ، يجدُ نفسَه أمام ثروةٍ علميةٍ واسعةٍ، تتمثل في جَمهرةٍ كبيرةٍ من العلماء الاجلاَّء الذين برزُوا في حقل العلمِ والمعرفةِ، وذاع صيتُهم في ذلك الوقت.

(٣) لا يوجد هناك أيّ خلافٍ في تسميةِ ابن حزم ونَسَبه وسَنةِ ولادته.

(٤) كان لوجود ابن حزم في قصر أبيهِ الوزيرِ، والتنافهِ بمظاهر الترفِ والعيش المنعَّم، واشرافِ النساء على تعليمه وتثقيفه منذ طفولته الاثرُ الكبيرُ في صقلِ مواهبه وارهافِ حِسّه.

(٥) أيّدَ البحث أنَّ ابنَ حزم من اصلٍ فارسي، وهذا ما ذهب اليه العديدُ من الباحثين، وأمَّا دعوى نصرانيته، فهي مجردُ تُهمةٍ لا يُلتفتُ اليها.

(٦) اثبت البحثُ أنَّ ابن حزم قد اتخذ من المذهب الظاهري معتقداً فقهياً وعلمياً، مما جعل عامةَ الناسِ والعلماءَ يَحملون عليه، ويُجمعون على تضليله.

(٧) اثبت البحث أنَّ الباحثين في حياة ابنِ حزم، قد فاتَهم ذكرُ بعضِ شيوخه وتلامذته، وقد دَوَّنَ البحثُ ذلك.

(٨) أسهم ابن حزم في مجال التأليف اللغوي، فقد خلف لنا ثروة علمية جليلة خلدت ذكره بين العلماء، حتى قيل إن له اربعمائة مصنف في ثمانين الف ورقة.

(٩) مال الباحث الى ان وفاة ابن حزم كانت سنة (٤٥٦هـ)، وليس ما ذكره ياقوت الحموي من ان سنة وفاته كانت (٤٥٧هـ)، اذ لا يوجد دليل على ذلك.

(١٠) في الفصل الاول، وفي المبحث الاول، اثبت البحث ان هناك جهداً صوتياً متميزاً في كتاب الإحكام، على الرغم من كونه كتاباً يخوض في مجال آخر. وليس ادل على ذلك من المباحث التي تطرقنا اليها وهي: (اشباع الحركة، التغيير في هيئة الكلمة، المزج بين لفظتين لغرض التخفيف في النطق، الابدال).

(١١) وفي المبحث الثاني من هذا الفصل، تطرق ابن حزم الى موضوع (الاشتقاق)، حيث رأى ان المشتقات هي اسم الفاعل، والصفة المشبهة، واكد ايضاً ان الاسماء وهي عنده تضم (اسم العلم، واسم الجنس، و الصفة)، هي اصول لا اشتقاق لها.

في حين رأى الباحث ان ابن حزم كان مضطرباً في مبحث الاشتقاق هذا، حيث انكر ابن حزم اشتقاق اسم العلم في كتابه (الإحكام في اصول الأحكام)، على حين وجدناه يعترف بهذا الاشتقاق في كتابه (جمهرة انساب العرب).

(١٢) ذهب ابن حزم الى عدم خروج لفظ الجمع إلى التثنية ، حيث قام بتحليل بعض من النصوص القرآنية في حين اثبت البحث عكس ما ذهب اليه ابن حزم.

(١٣) اما بشأن الفصل الثاني، فكانت لابن حزم عناية كبيرة في العديد من المسائل النحوية، منها، عود الضمير، وقيامه بتحليل العديد من النصوص التشريعية، وتحدثه عن البدل وانواعه، في حين اثبت البحث ان نوعي البدل اللذين اضافهما ابن حزم الى الدرس النحوي، لا وجود لها ضمن انواع البدل.

تحدّث ابنُ حزم عن حروفِ المعاني، شارحاً فيها حروفَ الجر، وحروفَ العطفِ، وذهبَ ابنُ حزم ايضاً الى تحليلِ بعضِ الآياتِ القرآنية، وميلِه نحو بعضِ الآراء التي قيلتْ فيها.

(١٤) امّا بشأنِ الفصل الثالث، ففي المبحثِ الاول، ذَهَبَ ابنُ حزم الى أنّ اللغةَ في نظره هبةُ الهيئةُ ميّزَ اللهُ بها آدمَ وبنيه، ولذلك فيجُب أنْ تكونَ مرتبطةً بالدّين والعقيدةِ.

(١٥) رَفَضَ ابنَ حزم كلّ الآراء التي قِيلت في تفسير نشأةِ اللغة، كمذهب المعتقدين بعاملِ الاماكن والبلدان، والمعتقدين بعاملِ الطبيعة البشرية (الغريزية)، ومذهبِ القائلين بالاصطلاح والتواضُع.

(١٦) اكد البحثُ، تناقضَ كلامِ ابن حزم حولَ انكارِه اصطلاحية اللغة بين الناس، إلاّ أنّه يعود فيخفّفُ من حدة القول بالرّفضِ الصارمِ، فيجوّزُ أنْ تكونَ هذه اللغةُ اصطلاحاً وتواضعاً.

(١٧) امّا بشأن المبحث الثاني، فأُثبت البحثُ، أنّ ابنَ حزمٍ كان رائداً، بل سباقاً في معرفةِ صِلةِ القرابةِ اللّغويةِ بين اللغات الجزرية وهي: السريانية والعبرية والعربية.

وكان رأي ابن حزم انّها ترجعُ في اساسِها الى اصلٍ واحدٍ مشتركٍ، ثم تجزأتْ وتباعَدَتْ فيما بَعْدُ.

(١٨) اثبت البحث أنّ كلامَ ابن حزم في عامل (تبديلِ الفاظ الناس علىَ طولِ الازمانِ)، كان له اهميةٌ بالغةٌ في تبديلِ اللغاتِ وتحويرِها وتغيرِها بحيثُ لا يمكنُ انكارُه.

(١٩) تابعَ ابنُ حزم غيرَه من اللغويين العربِ في أنّ لغةَ حِمْيرَ غيرُ اللغةِ العربية، وأنّ اللغةَ العربيةَ، هي لغةُ مُضرَ وربيعةَ.

(٢٠) امّا المبحث الثالث، فيعترفُ فيه ابنُ حزم بورودِ الالفاظِ المشتركةِ في اللُغة، كالترادفِ، والمشتركِ اللفظي، والتضادِ، على الرّغم من أخذه بمذهبِ التوقيف في نشأةِ اللغة.

ختاماً، احمدُ اللهَ واشكرُه على توفيقِه وتيسيرِ امرِ الانتهاءِ من هذه الدراسة، وما التوفيق الا من عندِ اللهِ العليّ القدير.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابحاث في اصوات العربية، د. حسام سعيد النعيمي، ط١، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٨ .
- ابحاث ونصوص في فقه اللغة العربية، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي،مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨.
- الابدال، لابي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي: (٣٥١هـ)، تحقيق: عز الدين التنوخي، دمشق، ١٩٦٠.
- ابن حزم، حياته وعصره-آراؤه وفقهه، محمد ابو زهرة، دار الشؤون الثقافية العربية للطباعة، ١٩٥٤.
- ابن حزم الاندلسي ورسالة في المفاضلة بين الصحابة، سعيد الافغاني، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٤٠.
- ابن حزم الكبير، د. عمر فروخ، ط١، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠.
- ابن حزم لغوياً، رسالة دكتوراه مقدمة من قبل الباحث يعقوب الفلاحي الى مجلس كلية دار العلوم، القاهرة، ١٩٨٠، مطبوعة على الآلة الكاتبة.
- ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، معاذ السرطاني، دار مجدلاوي، عمان، الاردن، ١٩٨٧.
- ابنية الصرف في كتاب سيبويه، د. خديجة الحديثي، ط١، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٥.
- الابنية الصرفية في ديوان امرئ القيس، رسالة دكتوراه تقدم بها الباحث صباح عباس السالم الى مجلس كلية الاداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٨، مطبوعة على الآلة الكاتبة.
- ابو الحسن بن كيسان واراؤه في النحو واللغة، علي مزهر الياسري، دار الرشيد، بغداد، ١٩٧٩.
- ابوعلي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية، د. علي جابر المنصوري، ط١، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٨٧.

- ابو عمرو بن العلاء وجهوده في القراءة والنحو، د. زهير غازي زاهد، مطبعة جامعة البصرة، قسم الدراسات الادبية واللغوية للخليج العربي، ١٩٨٧.
- اتفاق المباني وافتراق المعاني، سليمان بن بنين الدقيقي النحوي: (٦١٤هـ)، تحقيق: د. يحيى عبد الرؤوف جبر، ط١، مطبعة الشرق، عمان، ١٩٨٥.
- الاتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي: (٩١١هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤.
- اثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الاحكام من ايات القرآن التشريعية، عبد القادر عبد الرحمن السعدي، ط١، مطبعة الخلود، بغداد، ١٩٨٦.
- الإحكام في اصول الأحكام، لابي محمد علي بن حزم الاندلسي: (٤٥٦هـ)، تحقيق: احمد محمد شاكر، مطبعة العاصمة، القاهرة، ١٩٤٧.
- احكام القرآن، احمد بن علي الجصاص: (٣٧٠هـ)، مطبعة الاوقاف الاسلامية، ١٣٣٥هـ.
- احياء النحو، ابراهيم السامرائي، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩.
- الادب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة، د. هاشم الطعان، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٨.
- ادب الكاتب، لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: (٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦٣.
- الادب الاندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، د. احمد هيكل، ط٢، المطبعة الكمالية، ١٩٦٢.
- الادب الاندلسي، موضوعاته وفنونه، د. مصطفى الشكعة، ط٣، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٧٥.
- ادوار علم الفقه واطواره، علي آل كاشف الغطاء، دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٤.

- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لابي عبد الله اثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن حيان الاندلسي: (٧٤٥هـ)، تحقيق: د. مصطفى احمد النماس، ط١، مطبعة النسر الذهبي، ١٩٨٤.
- الاساليب الانشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، مطبعة السنة المحمدية، مصر، ١٩٥٩.
- اساليب القسم في اللغة العربية، كاظم فتحي الراوي، ط١، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٧٧.
- اساليب النفي في القرآن الكريم، د. احمد ماهر البقري، دار المعارف، مصر، ١٩٨٥.
- اسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة وتعليق: د. احمد مختار عمر، ط٣، مطبعة سجل العرب، ١٩٨٧.
- الاشباه والنظائر في النحو، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، قدم له د. فايز ترحيني، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٤.
- الاشتقاق، لابي بكر بن السراج البغدادي: (٣١٦هـ)، تحقيق محمد صالح التكريتي،مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٧٣.
- الاشتقاق، لابي بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي: (٣٢١هـ)، ط٢، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٧٩.
- الاشتقاق، لابي سعيد عبد الملك بن قُريب الاصمعي: (٢١٥هـ)، تحقيق: د. سليم النعيمي، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٦٨.
- الاشتقاق، عبد الله امين، ط١، القاهرة، ١٩٥٦.
- الاشتقاق، د. فؤاد حنا ترزي، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٨٠.
- اشتقاق اسماء الله، لابي القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي:(٣٤٠هـ)، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٤.
- الاشتقاق والتعريب، عبد القادر بك مصطفى المغربي، مطبعة الهلال، الفجالة، مصر، ١٩٠٨.
- الاصوات اللغوية، د. ابراهيم انيس، مطبعة العمرانية، القاهرة، ١٩٩٠.
- الاصول دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، د. تمام حسان، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨.

- الاصول في النحو: لابي بكر السراج البغدادي: ، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مطبعة سلمان الاعظمي، بغداد، ١٩٧٣.
- اصول النحو العربي في نظر النحاة وراي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، د. محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٤.
- الاضداد ،لأبي بكر محمد بن القاسم الانباري/(٣٢٨هـ)، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ١٩٦٠
- الاضداد، لابي حاتم سهل بن محمد السجستاني: (٢٥٥هـ)، ضمن ثلاثة كتب في الاضداد، نشرها د. اوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٢..
- الاضداد، الحسن بن محمد بن الحسن الصاغاني، (٦٥٠هـ)، ضمن ثلاثة كتب في الاضداد، نشرها د. اوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٢.
- الاضداد، لابي سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعي، ضمن ثلاثة كتب في الاضداد، نشرها د. اوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين، بيروت،١٩١٢.
- الاضداد، لابي يوسف يعقوب بن اسحق السكيت: (٢٤٤هـ)، ضمن ثلاثة كتب في الاضداد، نشرها د. اوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٢.
- الاضداد في كلام العرب، لابي الطيب عبد الواحد اللغوي: ، تحقيق: د. عزة حسن، مطبوعات المجمع العلمي، دمشق، ١٩٦٣.
- الاضداد في اللغة، رسالة ماجستير تقدم بها الباحث محمد حسين آل ياسين، الى مجلس كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٧٣، مطبوعة على الآلة الكاتبة.
- اعراب الجمل واشباه الجمل، د. فخر الدين قباوة، ط٣، دار الافاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١.
- اعراب القرآن، لابي جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل النحاس: (٣٣٨هـ)، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٧.
- اعراب القرآن، لجامع العلوم علي بن الحسين (ت ٤٣٥هـ)، وقد نسب خطأ الى ابراهيم بن السري الزجاج: (٣١١هـ)، تحقيق: ابراهيم الابياري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، ١٩٦٣.

- الاعـلام، لخير الدين الزركلي، ط٢، مطبعة كوستاستوماس وشركاه، ١٩٥٤.
- اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلال في ملوك الاسلام او تاريخ اسبانيا الاسلامية، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق ليفي بروفنسال، ط٢، مطبعة دار المكشوف، ١٩٥٦.
- الاغاني، لعلي بن الحسين بن محمد القرشي المعروف (بابي الفرج الاصفهاني): (٣٥٦هـ)، تحقيق: ابراهيم الابياري، دار الشعب، مصر، ١٩٦٩.
- الاقتراح في علم اصول النحو، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار المعارف، حلب، سوريا، د.ت.
- امالي ابن الحاجب، لابي عمرو عثمان بن عمر المعروف (بابن الحاجب النحوي): (٦٤٦هـ)، تحقيق: د. فخر صالح سليمان، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ت.
- الامالي، لابي علي بن اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي: (٣٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
- امالي الزجاجي، لابي القاسم عبد الرحمن الزجاجي، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٨٧.
- الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لابي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانباري: (٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، مطبعة الاستقامة، مصر، ١٩٤٥.
- اوضح المسالك الى الفية ابن مالك، لابي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن احمد بن عبد الله بن هشام الانصاري: (٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٦، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، ١٩٨٠.
- الايضاح العضدي، لابي علي النحوي: (٣٧٧هـ)، تحقيق: د. حسن شاذلي فرهود، ط١، مطبعة دار التأليف، ١٩٦٩.

- الايضاح في شــرح المفصــل، لابــي عمــرو عثمــان بــن عمــر المعــروف (بــابن الحــاجب النحــوي)، تحقيــق:د. موســى بنــاي العليلــي، مطبعـــــة العـــاني، بغـــداد، ١٩٨٢.
- الايضاح فـــي علـــل النحـــو، لابـــي القاســم عبــد الرحمــن بـــن اســحق الزجــاجي، تحقيق: د. مـــازن المبـــارك، مطبعـــة العـــاني، القـــاهرة، مصـــر، ١٩٥٩.
- ايضـــاح الوقـــف والابتـــداء فـــي كتـــاب الله عـــز وجـــل، لابـــي بكـــر محمـــد بـــن القاســم الانبـــاري: ، تحقيـــق: محيـــي الديـــــن رمضـــــان، دمشـــــق، ١٣٩٠هــــ.
- البحـــث اللغـــوي ، د. محمـــود فـــهمي حجـــازي ، ط١ ، دار غريـــــب للطباعـــــة ، القـــاهرة ، ١٩٩٣ .
- البحـــث اللغـــوي عنـــد العـــرب مـــع دراســـة لقضيـــة التـــأثير والتـــأثر، د. احمـــــد مختـــار عمـــر، ط٢، مطبعـــة اطلـــس، القـــاهرة، ١٩٧٦.
- البحـــث اللغـــوي عنـــد الـــهنود واثـــره علـــى اللغويـين العـــرب، د. احمـــد مختـــــار عمـــر، مطبعـــة دار الثقافـــة، لبنـــان، ١٩٧٢.
- البحر المحيط، لابي عبد الله اثير الديـــــن محمـــد بـــن يوســـف بـــن علـــي بـــن حيـــان الاندلســـي، ط١، مطبعـــة الســـعادة، مصـــر، ١٣٢٨هــــ.
- البدايـــة والنهايـــة فـــي التـــاريخ، للحـــافظ ابـــن كثـــير الدمشـــقي: (٧٧٤هـــــ)، ط٢، مطبعـــة المعـــارف، بـــيروت، ١٩٧٧.
- البرهـــان فـــي علـــوم القـــرآن، للامـــام بـــدر الديـــن بـــن محمـــد بـــــن عبـــــد الله الزركشـــي: (٧٩٤هــــ)، تحقيـــق: محمـــــد ابـــو الفضـــــل ابراهيـــم، ط٣، القـــاهرة، ١٩٨٤.
- البغداديـــات (المســـائل المشـــكلة)، لابـــي علـــي النحـــوي، تحقيـــق: صـــلاح الديـــــن عبد الله الســــنكاوي، مطبعـــة العـــاني، بغـــداد، ١٩٨٣.
- بغية الملتمس في تاريخ رجـــال الاندلـــس، للمـــؤرخ احمـــد بـــن يحيـــى بـــن عمـــيرة الضبـــي: (٥٩٩هــــ)، مكتبـــة المثنـــى، بغـــداد، ومؤسســـة الخـــانجي فـــي مصـــر، د.ت.
- البلغة فـــي تـــاريخ ائمـــة اللغـــة، لمجـــد الديـــن محمـــد بـــن يعقـــوب الفيروزآبـــادي: (٨١٧هــــ)، تحقيـــق: محمـــــد المصـــــري، منشـــورات وزارة الثقافـــــة، دمشـــق، ١٩٧٢.

- البيان في غريب اعراب القرآن، لابي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانباري، تحقيق: د. طه عبد الحميد طه، ومراجعة: مصطفى السقا، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٩.
- البيان المغرب، ابن عذارى المراكشي (٦٤٧م)، ط١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧ .
- تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الزبيدي: (١٢٠٥هـ)، ط١، المطبعة الخيرية، ١٣٠٦هـ، نشر دار ليبيا-بنغازي، (اوفسيت).
- تاريخ اداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ط٢، مطبعة الاستقامة، ١٩٤٠.
- تاريخ الادب الجغرافي العربي، كراتشكوفسكي، نقلة الى العربية: صلاح الدين هاشم، مطبعة لجنة التأليف، والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣.
- تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة، د. احسان عباس، ط٢، ١٩٦٩.
- التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، د. احمد شلبي، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦.
- التاريخ الاندلسي، د. عبد الرحمن الحجي ،ط١، دار القلم، الكويت، الرياض، ١٩٧٦.
- تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، د. علي محمد حمودة، ط١، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٧.
- تاريخ الاندلس عصر المرابطين والموحدين، المؤرخ الالماني يوسف اشباخ، ترجمهُ وعلق عليه: محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠.
- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، لابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي: (٤٦٣هـ)، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، د.ت.
- تاريخ الدولة العربية في الاندلس، د.خاشع المعاضيدي، مطبعة التعليم العالي، جامعة بغداد، ١٩٨٨.
- تاريخ الفكر الاندلسي، نقله عن الاسبانية: حسين مؤنس، ط١، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥.

- تاريخ اللغات السامية، أ. ولفنسون، ط١، دار القلم، بيروت، لبنان ، ١٩٨٠.
- تأويل مشكل القرآن، لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: ، شرحه ونشره: السيد احمد صقر، ط٣، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٩٨١.
- التبيان في اعراب القرآن (املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في القرآن)، لابي البقاء عبد الله بن الحسين بي عبد الله العكبري: (٦١٦هـ)، تحقيق علي محمد البيجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، د.ت.
- التبيان في تفسير القرآن ، لابي جعفر الطوسي: (٤٦٠هـ)، تحقيق: احمد حبيب نصير العاملي، المطبعة العلمية، النجف، ١٩٥٧.
- التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن، لابن الزملكاني: (٦٥١هـ)، تحقيق: د. احمد مطلوب،ود. خديجة الحديثي، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤.

لأبي العلي محمد عبد الرحمن المباركفوري: (١٣٥٢هـ)

- تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي، تحقيق : عبد الرحمن عثمان ، مطبعة الفجالة ، مصر ، ١٣٨٤هـ .
- الترادف في اللغة، د. حاكم مالك لعيبي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠.
- التراكيب اللغوية في العربية،دراسة وصفية تطبيقية، د. هادي نهر، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٨٧.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، بهاء الدين عبد الله المعروف (بابن عقيل): (٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي،مصر، ١٩٦٧.
- تصحيح الفصيح، عبد الله بن جعفر بن درستويه: (٣٤٧هـ)، تحقيق: عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٥.
- التصور اللغوي عند الاصوليين، د. السيد احمد عبد الغفار، ط١، دار المعرفة الجامعية، في الاسكندرية، ١٩٨١.
- التضاد في ضوء اللغات السامية، د. ربحي كمال، مطبعة دار النهضة، بيروت، ١٩٧٥.

- التطبيق الصرفي، د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٤.
- التطور اللغوي التاريخي، د. ابراهيم السامرائي، ط٢، دار الاندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨١.
- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، ط١، مطبعة المدني، مصر، ١٩٨٣.
- التطور النحوي للغة العربية، محاضرات للمستشرق الالماني برجشتراسر، وخرجها د. رمضان عبد التواب، مطبعة المجد، القاهرة، ١٩٨٢.
- التعريفات، لابي الحسن علي بن محمد الجرجاني المعروف (بالسيد الشريف): (٨١٦هـ)، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.
- تفسير غريب القرآن، لابي محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: السيد احمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٨.
- التفكير اللساني في الحضارة العربية، د. عبد السلام المسدي، الدار العربي للكتاب، ليبيا، ١٩٨١.
- التقريب لحد المنطق والمدخل اليه، لابي محمد علي بن حزم الاندلسي، تحقيق: د. احسان عباس، بيروت، ١٩٥٩.
- التكملة، لابي علي النحوي، تحقيق د. كاظم بحر المرجان، بغداد، ١٩٨١.
- التكملة والذيل والصلة، للحسن بن محمد بن الحسن الصاغاني: (٦٥٠هـ)، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧١.
- توجيه إعراب أبيات ملغزة الإعراب، لابي الحسن علي بن عيسى الرماني: (٣٨٤هـ)، تحقيق: سعيد الافغاني، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ١٩٥٨.
- توطئة لدراسة علم اللغة، التعاريف، د. التهامي الراجي الهاشمي، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.

- التهذيب في اصول التعريب، د. احمد بك عيسى، ط١، القاهرة، مصر، ١٩٢٣.
- الجامع لاحكام القرآن لابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي: (٦٧١هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٧.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس، للحافظ الحميدي: (٤٨٨هـ)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦.
- الجمل، لابي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي، تحقيق: العلامة ابن ابي شنب، ط٢، مطبعة كلنكسيك، باريس، ١٩٧٥.
- جمهرة انساب العرب، لابي محمد علي بن حزم الاندلسي، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢.
- جمهرة اللغة، لابي بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي: ، مصورة بالاوفسيت عن مطبعة حيدر آباد-الدكن ، مؤسسة الحلبي وشركاه.
- الجنى الداني في حروف المعاني، للحسن بن قاسم المرادي: (٧٤٩هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة والاستاذ محمد نديم فاضل، ط٢، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣
- جواهر الادب في معرفة كلام العرب، للامام علاء الدين الاربلي: (٦٩٢ هـ) المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٧٠.
- الجواهر في تفسير القرآن الكريم، للشيخ طنطاوي جوهري، ط٢، مطبعة البابي حلبي واولاده، مصر، ١٣٥٠هـ.
- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، مطبعة دار احياء الكتب العربية، د.ت.
- حاشية الدسوقي على مغني اللبيب، للشيخ مصطفى محمد عرفة الدسوقي، المشهد الحسيني، مصر، د.ت.
- حاشية الصبان على شرح الاشموني على الفية ابن مالك ومعه شرح شواهد العيني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، د.ت.
- الحجة في القراءات السبع، لابي عبد الله الحسين بن احمد بن خالويه: (٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، ط٢، دار الشروق، مصر، ١٩٧١.

- حروف المعاني، لابي القاسم بن اسحق الزجاجي، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، ط١، دار الامل للطباعة، ١٩٨٤.
- الحضارات السامية القديمة، سبتينوموسكاتي، ترجمة د. السيد يعقوب بكر، راجعه: محمد القصاص، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت.
- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع اوُ عصر النهضة في الاسلام، تأليف: آدم متز، نقله الى العربيّة: محمد عبد الهادي ابو ريدة، ط٤، دار الكتاب العربي، لبنان، ١٩٦٧.
- الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، د. عبد العال سالم مكرم، مطبعة دار نشر الثقافة، الكويت، ١٩٧٧.
- الحُلل في اصلاح الخَلل من كتاب الجُمل، لابي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي: (٥٢١هـ)، تحقيق: سعيد عبد الكريم سعودي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠.
- الحمل على الجوار في القرآن الكريم، د. عبد الفتاح احمد الحموز، ط١، السعودية، ١٩٨٥.
- خزانة الادب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية، لعبد القادر بن عمر البغدادي: (١٠٩٣هـ)، دار صادر، بيروت، د.ت.
- الخصائص، لابي الفتح عثمان بن جني: (٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٧.
- خصائص مذهب الاندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري، عبد القادر رحيم الهيتي، دار القادسية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣.
- الخلاف الصرفي في العربية، رسالة ماجستير تقدم بها الباحث ناصر سعيد ناصر العيشي الى مجلس كلية الاداب، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٨، مطبوعة على الالة الكاتبة.
- الخليل بن احمد الفراهيدي، اعماله ومنهجه، د. مهدي المخزومي، ط٢، مطبعة دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٦.
- دائرة المعارف الاسلامية، اعداد وتحرير: ابراهيم زكي خورشيد،واحمد الشنتناوي،ود. عبد الحميد يونس، ط١، الشعب، القاهرة، ١٩٦٩.
- دراسات في الفعل، د. عبد الهادي الفضلي، ط١، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٨٢.

- دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح ، ط٤، مطبعة دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠.
- دراسات في اللغتين السريانية والعربية، د. ابراهيم السامرائي،ط١، دار الجبل، بيروت، ١٩٨٥.
- دراسات في اللغة العربية، د. خليل يحيى نامي، دار المعارف، مصر، ١٩٧٦.
- الدراسات اللغوية عند العرب الى نهاية القرن الثالث، د. محمد حسين آل ياسين، ط١، مطبعة دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٠.
- الدراسات اللغوية في الاندلس منذ مطلع القرن السادس الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري، عصر المرابطين والموحدين، رضا عبد الجليل الطيار، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠.
- الدراسات اللغوية في العراق في النصف الاول من القرن العشرين، د. عبد الجبار جعفر القزاز، دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت، ١٩٨١.
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، د. حسام سعيد النعيمي، دار الطليعة للطباعةوالنشر، بيروت، ١٩٨٠.
- الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، د. فاضل صالح السامرائي، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧١.
- دراسة في حروف المعاني الزائدة، عباس محمد السامرائي، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٧.
- الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع في العلوم العربية، احمد بن الامين الشنقيطي (١٣٣١هـ)، ط١، مطبعة كردستان العلمية، ١٣٢٨هـ.
- الدرس الصرفي عند الكوفيين، رسالة ماجستير تقدم بها الباحث برهان سلمان خلف الى مجلس كلية التربية، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٩٨.
- دروس في التصريف، في المصادر والمشتقات، د. صلاح الفرطوسي، بغداد، ١٩٨١.

- دروس في علم اصوات العربية، جان كانتينو، نقلها الى العربية صالح القرمادي، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، ١٩٦٦.
- دروس في اللغة العبرية، د. ربحي كمال، مطبعة العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٣.
- دلالة ابنية الجموع في القرآن الكريم، رسالة ماجستير تقدمت بها الباحثة زينب علي الجميلي الى مجلس كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٣، مطبوعة على الالة الكاتبة.
- دلالة الالفاظ، د. ابراهيم انيس، ط٢، المطبعة الفنية الحديثة، مصر، ١٩٧٦.
- دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمن ، ترجمه وقدم له وعلق عليه : د. كمال محمد بشر ، ط٣ ، المطبعة العثمانية ، ١٩٧٢ م .
- ديوان ابراهيم بن هرمة القرشي: (١٧٦هـ)، تحقيق: محمد نفاع وحسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ت.
- ديوان امرئ القيسي، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤.
- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: د. سيد حنفي حسنين، مراجعة: حسن كامل الصيرفي، مطبعة الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٧٤.
- ديوان القطامي، تحقيق: د. ابراهيم السامرائي و د. احمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٢.
- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، لابي الحسن علي بن بسام الشنتريني: (٥٤٢هـ)، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨.
- رايات المبرزين وغايات المميزين، علي بن سعيد المغربي: (هـ)، تحقيق: النعمان القاضي، مطابع الاهرام، مصر، ١٩٧٣.
- راي في بعض الاصول اللغوية والنحوية، عباس حسن، مطبعة العالم العربي، القاهرة، ١٩٥١.
- رسائل الجاحظ، لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: (٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط١، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة،١٩٧٩.
- رسالتان في علم الصرف، للسمباطي والمرصفي، تحقيق: د. احمد ماهر البقري، مطبعة الانتصار، الاسكندرية، ١٩٨٨.

- رسالة الاضداد، لمحمد جمال الدين بدر الدين المنشئ: (١٠٠١هـ)، تحقيق: د. محمد حسين آل ياسين، ط١، مطبعة الاديب البغدادية المحدودة، بغداد، ١٩٨٢.
- رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الاخلاق والزهد في الرذائل، لابي محمد علي بن حزم الاندلسي، تحقيق: احسان عباس، بيروت، دار حسنين للطباعة والنشر، د.ت.
- رواية اللغة، د. عبد الحميد الشلقاني، دار المعارف، مصر، ١٩٧١.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لابي الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي: (١٢٧٠هـ)، المطبعة المنيرية، مصر، د.ت.
- الزاهر في معاني كلمات الناس، لابي بكر محمد بن القاسم الانباري، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار الرشيد للنشر، بغداد،١٩٧٩.
- الزجاجي ومذهبه في النحو واللغة، د. عبد الحسين المبارك، مطبعة جامعة البصرة، بغداد، ١٩٨٠.
- سر صناعة الاعراب، لابي الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، ط٢، دار القلم، دمشق، بيروت، ١٩٩٣.
- سر الفصاحة، لابي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي: (٤٦٦هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٨٢.
- السيوطي النحوي، د. عدنان محمد سلمان، ط١، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٩٧٦.
- شذا العرف في فن الصرف، للشيخ احمد الحملاوي، مطبعة الرابية، بغداد، ١٩٨٨.
- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، لابي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي: (١٠٨٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
- شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني: (٦٩٠هـ)، ومعه كتاب منحة الجليل، بتحقيق شرح ابن عقيل، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢٠، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٨٠.

- شرح اشعار الهذليين، لابي سعيد الحسين بن الحسين السكري، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، راجعه: محمود محمد شاكر، م.ط المدني، القاهرة، د. ت.
- شرح الاشموني على الفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر، ١٩٣٩.
- شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد بن عبد الله الأزهري: (٩٠٥هـ)، ط١، مطبعة الاستقامة، مصر، ١٩٥٤.
- شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور الاشبيلي: (٦٦٩هـ)، الشرح الكبير، تحقيق: د. صاحب ابو جناح، مطابع مديرية دار الكتب، جامعة الموصل، بغداد، ١٩٨٢.
- شرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري، ضبط الديوان وصححه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الاندلس للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨.
- شرح شافية ابن الحاجب الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي: (٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٧٥.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الانصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، د.ت.
- شرح شواهد المغني، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي: ، بتصحيح وتعليق العلامة الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ت.
- شرح الكافية / الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي / دار الكتب العلمية / لبنان / ١٩٨٥
- شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية، لجمال الدين عبد الله بن يوسف ابن هشام، تحقيق: د. هادي نهر، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٧٧.
- شرح المراح في التصريف، بدر الدين محمد بن العمد العيني: (٨٥٥هـ)، تحقيق: د. عبد الستار جواد، مطبعة الرشيد، بغداد، ١٩٩٠.
- شرح المعلقات السبع، للزوزوني، مكتبة النقاء، بغداد، د.ت.

- شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي: (٦٤٣هـ)، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت.
- شرح المفضليات، لابي محمد بن الانباري، طبعة اوكسفورد، ١٩٤١.
- شعراء النصرانية في الجاهلية وبعد الاسلام، لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٧.
- الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق وشرح: احمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨.
- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، شيخ الاسلام شهاب الدين احمد الخفاجي المصري: (١٠٦٩هـ)، تصحيح وتعليق ومراجعة: محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، المطبعة المنيرية، مصر، ١٩٥٢.
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ابو الحسين احمد بن فارس: (٣٩٥هـ)، تحقيق: د. مصطفى الشويمي، مؤسسة أ-بدران للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١٩٦٤.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لاسماعيل بن حماد الجوهري: (٣٩٨هـ)، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، مطبعة دار الكتاب العربي، مصر، ١٣٧٧هـ.
- الصرف العربي صياغة جديدة، د. عبد الجواد حسين البابا، د. زين كامل الخويسكي، مطابع رواى للاعلان، الاسكندرية، القاهرة، ١٩٨٨.
- الصرف الواضح، عبد الجبار علوان النايلة، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٨.
- صفوة البيان لمعاني القرآن، الشيخ حسنين محمد مخلوف، ط٣، د.ت.
- الصلة، لابي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال: (٥٧٨هـ)، مكتبة الخانجي، ١٩٥٥.
(٢٣٢هـ):
- طبقات الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي/ مع تمهيد للناشر الالماني جوزف هل، مع دراسة عن المؤلف والكتاب للاستاذ طه احمد ابراهيم، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، ١٩٨٨.
- طرق تنمية الالفاظ في اللغة، محاضرات القاها د. ابراهيم انيس، على قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية، مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة، ١٩٦٦-١٩٦٧.

- طوق الحمامة في الالفة والالاف، لابن حزم الاندلسي، تحقيق: صلاح الدين القاسمي، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة (افاق عربية)، بغداد، ١٩٨٦.
- ظاهرة الاشتقاق في اللغة العربية، طنطاوي محمد دراز، مطبعة عابدين، القاهرة، ١٩٨٦.
- ظاهرة الشذوذ في النحو العربي، د. فتحي عبد الفتاح الدجني، ط١، الناشر وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٤.
- العربية الفصحى، نحو بناء لغوي جديد، هنري فليش، تعريب وتحقيق: د. عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، ١٩٨٣.
- العلم الخفاق من علم الاشتقاق، لابي الطيب محمد بن علي بهادر: (١٢٠٧هـ)، مطبعة الجوائب، مصر، ١٢٩٦هـ.
- علم الدلالة، د. احمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، د.ت.
- علم الاصوات، برتيل مالمبرج، تعريب ودراسة: د. عبد الصبور شاهين، مطبعة التقدم، القاهرة، ١٩٨٥.
- علم اللغة، د. حاتم صالح الضامن، مطبعة التعليم العالي، الموصل، بغداد، ١٩٨٩.
- علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ط٧، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٣.
- علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، د. محمود فهمي حجازي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣.
- العين، لابي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي: (١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. ابراهيم السامرائي، مطابع الرسالة، الكويت، ١٩٨٠.
(٢٩٥هـ):
- الفروق في اللغة، لابي هلال العسكري، ط٣، دار الافاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩.

- الفصل في الملل والاهواء والنحل، لابي محمد علي بن احمد بن حزم الاندلسي، وبهامشه الملل والنحل لابي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ت.
- فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، ط٢، الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٣.
- فقه اللغة، د. حاتم صالح الضامن، جامعة بغداد، د.ت.
- فقه اللغة، د. عبد الحسين المبارك، مطبعة جامعة البصرة، بغداد، ١٩٨٦.
- فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ط٤، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٥٦.
- فقه اللغة العربية، د. كاصد ياسر الزيدي، مديرية الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، بغداد، ١٩٨٧.
- فقه اللغة العربية وخصائصها، د. اميل بديع يعقوب،ط١، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٢.
- فقه اللغة في الكتب العربية، د. عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨.
- فقه اللغة المقارن، د. ابراهيم السامرائي، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨.
- فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الاصيل في التجديد والتوليد، د. محمد المبارك، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٨.
- فقه اللغة وسر العربية، لابي منصور الثعالبي، حققه ووضع فهارسه: مصطفى السقا، ابراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر، ١٩٥٤.
- الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية، جرجي زيدان، مراجعة وتعليق د. مراد كامل، ط٢، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٢.
- الفهرست، لابن النديم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٨.

- فـي الاصـوات اللغويـة دراسـة فـي اصـوات المـد العربيـة، د. غـالب فـاضل المطلبـي، دار الحريـة للطباعـة، بغـداد، ١٩٨٤.
- فـي اصـول اللغـة والنحـو، د. فـؤاد حنـا تـرزي، مكتبـة لبنـان، بـيروت، ١٩٦٩.
- فـي التطـور اللغـوي، د. عبـد الصبـور شـاهين، ط١، المطبعـة العالميـة، القـاهرة، ١٩٧٥.
- فـي علـم اللغـة العـام، د. عبـد الصبـور شـاهين، ط٣، مؤسسـة الرسـالة للطباعـة والنشـر، بـيروت، ١٩٨٠.
- فـي فقـه اللغـة وقضايـا العربيـة، د. سـميح ابـو مغلـي، ط١، دار مجدلاوي للنشـر والتوزيـع، عمـان، الاردن، ١٩٨٧.
- فـي اللـهجات العربيـة، د. ابراهيـم انيـس، ط٣، المطـابع الفنيـة الحديثـة، القـاهرة، ١٩٦٥.
- قطر الندا وبل الصدى، لابـي عبـد الله جمـال الديـن بـن يوسـف بـن احمـد بـن هشام الانصـاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١١، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦٢.
- القطـع والائتنـاف، لابـي جعفـر النحـاس، تحقيـق: احمـد خطـاب العمر، مطبعـة العـاني بغـداد، وزارة الاوقـاف، احيـاء الـتراث، ١٩٧٨.
- القلـب والابـدال، لابـي يوسـف يعقـوب بـن اسـحق السـكيت، ضمـن الكـنز اللغـوي، تحقيـق: اوغسـت هفـنر، المطبعـة الكاثوليكيـة للابـاء اليسـوعيين، بـيروت، ١٩٠٣.
- الكامل فـي التـاريخ، لابـن الاثـير: (٦٣٠هـ)، مطبعـة دار صـادر، بـيروت، ١٩٦٦.
- الكـامل فـي اللغـة والادب، لابـي العبـاس محمـد بـن يزيـد المـبرد: (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد ابـو الفضـل ابراهيـم، دار الفكـر العربـي، القـاهرة، د.ت.
- الكتـاب، لابـي بشـر عمـرو بـن عثمـان بـن قنـبر الملقـب (بسـيبويه): (١٨٠هـ)، تحقيـق: عبـد السـلام محمـد هـارون، ط٣، مكتبـة الخـانجي، القـاهرة، ١٩٨٨.
- الكتـاب المقـدس، الفاتيكـان، رومـا، ١٩٩١.
- الكشاف عـن حقـائق غوامـض التـنزيل وعيـون الاقـاويل فـي وجـوه التـأويل، لجـار الله محمـود بـن عمـر الزمخشـري: (٥٣٨هـ)، دار الكتـاب العربـي، لبنـان، بـيروت، د.ت.

- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة مصطفى بن عبد الله: (١٠٦٧هـ)، ط٣، ١٩٤٧.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لابي محمد مكي بن ابي طالب القيسي: (٤٣٧هـ)، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١.
- كشف المشكل في النحو، لعلي بن سليمان الحيدرة اليمني: (٥٩٩هـ)، تحقيق: د. هادي عطية مطر الهلالي، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٨٤.
- كفاية المتحفظ وغاية المتلفظ في اللغة، لابن الاجدابي الطرابلسي، (٧١٠هـ)، تحقيق عبد الرزاق الهلالي، ط٧، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٦.
- كلام العرب من قضايا اللغة العربية ، د. حسن ظاظا ، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦.
- لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، د. عبد العزيز مطر، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٦.
- لحن العامة والتطور اللغوي، د. رمضان عبد التواب، ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٦٧.
- لحن العوام، لابي بكر محمد بن حسن بن مذحج الزبيدي: (٣٧٩هـ)، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، ط١، المطبعة الكمالية، القاهرة، ١٩٦٤.
- لسان العرب، لابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي: (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، د.ت.
- اللسان والانسان مدخل الى معرفة اللغات، د. حسن ظاظا، مطبعة المصري، مصر، ١٩٧١.
- لغات البشر اصولها وطبيعتها وتطورها، ماريوباي، ترجمة: د. صلاح العربي، مطبعة العالم العربي، القاهرة، ١٩٧٠.
- اللغة، ج. ڤندريس، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، د.ت.
- اللغة الاكدية (البابلية-الاشورية) تاريخها وتدوينها وقواعدها، د. عامر سليمان، دار الكتب، جامعة الموصل، بغداد، ١٩٩١.

- اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمام حسان، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٨.
- اللغة العربية عبر القرون، د. محمود فهمي حجازي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٨.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣.
- اللغة والنحو، دراسات تاريخية وتحليلية ومقارنة، د. حسن عون، ط١، مطبعة رؤيال خلف، الاسكندرية، ١٩٥٢.
- اللمع في العربية، لابي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: حامد المؤمن، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٢.
- اللهجات العربية الحديثة في اليمن، محاضرات القاها د. مراد كامل على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية، المطبعة الفنية الحديثة، ١٩٦٨.
- اللهجات العربية في التراث، د. احمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٧٨.
- لهجات اليمن قديماً وحديثاً، احمد حسين شرف الدين، مطبعة الجيلاوي، القاهرة، ١٩٧٠.
- لهجة تميم واثرها في العربية الموحدة، د. غالب فاضل المطلبي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٧.
- لهجة شمال المغرب (تطوان وماحولها)، د. عبد المنعم سيد عبد العال، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨.
- لهجة قبيلة اسد، علي ناصر غالب، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩.
- ليس في كلام العرب، الحسين بن احمد بن خالويه، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، ط٢، مكة المكرمة، ١٩٧٩.
- المباحث اللغوية في العراق، د. مصطفى جواد، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٥٥.
- المثلث، لابن السيد البطليوسي، تحقيق: د. صلاح مهدي الفرطوسي، دار الحرية، بغداد، ١٩٨١.

- المثنى، لابي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي/ تحقيق: عز الدين التنوخي، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦٠.
- مجاز القرآن، لابي عبيدة معمر بن المثنى: (٢١٠هـ)، عارضه باصوله وعلق عليه: فؤاد سزكين، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٤.
- مجالس ثعلب، لابي العباس احمد بن يحيى ثعلب: (٢٩١هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، دار المعارف، مصر، د.ت.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، لابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي / دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
- المجمل في تاريخ الاندلس، د. عبد الحميد العبادي، ط١، مطبعة السعادة، مصر، د.ت.
- محاضرات للدكتور صباح عباس السالم ، على طلبة قسم اللغة العربية، جامعة بابل ، الماجستير، ١٩٩٧-١٩٩٨.
- محاضرات في التاريخ القديم، القسم الاول، طه باقر، عامر سليمان، فاضل عبد الواحد، الموصل، ١٩٧٨.
- محاضرات في اللغة، القسم الاول، د. عبد الرحمن ايوب، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٦.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها، لابي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف ،د. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح شلبي، لجنة احياء التراث الاسلامي، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
- المحكم والمحيط الاعظم في اللغة، لعلي بن اسماعيل بن سيده: (٤٥٨هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، د. حسين نصار، ط١، مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر، ١٩٥٨.
- المحلى، لابن حزم الاندلسي، تصحيح: محمد خليل هراس، مطبعة الامام، القاهرة، د.ت.
- المحيط في اصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الانطاكي، ط١، مكتبة دار الشروق، بيروت، ١٩٧٢.
- المخصص، لابي الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الاندلسي المعروف (بابن سيده)، ، بولاق، مصر، ١٣٢٠هـ.

- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، لابي البركات عبد الله بن احمد بن محمود المعروف (بالنسفي) (٧١٠هـ)، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت.
- المدخل الى تاريخ اللغات الجزرية، د. سامي سعيد الاحمد، مديرية مطبعة الحكم المحلي، بغداد، ١٩٨١.
- مدخل الى علم اللغة، د. محمد حسن عبد العزيز، دار النمر للطباعة، ١٩٨٣.
- المدخل الى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي، ط٢، مطبعة دار نشر الثقافة، القاهرة، ١٩٧٨.
- المدخل الى علم النحو والصرف، د.عبد العزيز عتيق، ط٢، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٤.
- المدارس النحوية، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨.
- المدارس النحوية اسطورة وواقع، د. ابراهيم السامرائي، ط١، دار الفكر، عمان، ١٩٨٧.
- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د. مهدي المخزومي، مطبعة دار المعرفة، بغداد، ١٩٥٥.
- المرادي وكتابه توضيح مقاصد الالفية، د. علي عبود الساهي، ط١، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٨٤.
- المزهر في علوم اللغة وانواعها، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي: شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه، محمد احمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت.
- مسند الامام احمد بن حنبل، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر، دار صادر، بيروت، د.ت.
- المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً، د. توفيق محمد شاهين، ط١، مطبعة الدعوى الاسلامية، القاهرة، ١٩٨٠.

- المشترك اللغوي في اللغة العربية، رسالة ماجستير تقدم بها الباحث عبد الكريم شديد محمد، الى مجلس كلية الاداب، جامعة بغداد، مطبوعة على الآلة الكاتبة، ١٩٧٦.
- المشتق بين النحاة الاصوليين، رسالة ماجستير تقدم بها الباحث صالح مهدي الظالمي الى مجلس كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مطبوعة على الآلة الكاتبة، ١٩٧٦.
- المشكاة الفتحية على الشمعة المضية، لمحمد بن محمد بن احمد ابي حامد الدمياطي: (ت ١١٤٠هـ)، تحقيق: هشام سعيد محمود، مطبعة وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، ١٩٨٣.
- مشكل اعراب القرآن، لابي محمد مكي بن ابي طالب القيسي: (٤٣٧هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٥.
- المصطلح النحوي نشاته وتطوره حتى اواخر القرن الثالث الهجري، رسالة ماجستير تقدم بها الباحث عوض حمد القوزي الى مجلس كلية الاداب جامعة الرياض، طبع في شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة العمارية، الرياض، ١٩٧٩.
- معاني الابنية الصرفية في مجمع البيان، رسالة ماجستير تقدمت بها الباحثة نسرين عبد الله شنوف الى مجلس كلية القائد، جامعة الكوفة، مطبوعة على الآلة الكاتبة، ١٩٦٩.
- معاني الحروف، لابي الحسن علي بن عيسى الرماني ، تحقيق: د. عبد الفتاح شلبي، ط٣، دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٨٤.
- معاني القرآن، لابي زكريا يحيى بن زياد الفراء: (٢٠٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، احمد يوسف نجاتي،ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٠.
- معاني القرآن واعرابه، لابي اسحق ابراهيم بن السري الزجاج ، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده جلبي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، صيدا.

- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، الجزء ١ -٢، طبعة التعليم العالي، الموصل، ٨٩ ١٩، الجزء ٣-٤، دار الحكمة، الموصل، ١٩٩١

- المعجب في تلخيص اخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي: (ت ٦٤٧هـ)، تحقيق: محمد سعيد العريان، مطابع شركة الاعلانات الشرقية، القاهرة، ١٩٦٣.

- معجم ابن حزم الظاهري، اعدته لجنة موسوعة الفقه الظاهري في جامعة دمشق، ١٩٦٦.

- معجم الادباء، لابي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي: (٦٢٦هـ)، مطبعة دار المأمون، مكتبة عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٣٦.

- معجم البلدان، لابي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٥.

- معجم الشعراء، للمرزباني: (٣٦٠هـ)، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٥٦.

- معجم مقاييس اللغة، لابي الحسن احمد بن فارس ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٦٦هـ.

- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٥٩.

- المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم، لابي منصور موهوب بن احمد بن محمد الجواليقي: (٥٤٠هـ)، تحقيق: احمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦١.

- المغرب في حلى المغرب، لابي محمد الحجازي وعبد الملك بن سعيد واخرين، تحقيق: د. شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤.

- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، لابي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام الانصاري: ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت.

- مفاتيح العلوم، لابي عبد الله محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمي: (٣٨٧هـ)، ط١، ادارة الطباعة المنيرية بمصر، ١٩٢٢.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، لابي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين: (٦٠٦هـ)، المطبعة المصرية، بولاق، مصر، ١٢٨٩هـ.
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لطاشي كبرى زادة احمد ابن مصطفى: (٩٦٨هـ)، مراجعة: كامل بكري، عبد الوهاب ابي النور، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، د.ت.
- المفردات في غريب القرآن في اللغة والادب والتفسير وعلوم القرآن ويليه مقدمة التفسير، للعلامة الحسين بن محمد بن المفضل الملقب (بالراغب الاصفهاني): (٥٠٢هـ)، ايران، ١٩٦١.
- المفصل في علم العربية، لابي القاسم محمود بن عمر جار الله الزمخشري: ، ط٢، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ت.
- المقتصد في شرح الايضاح، لعبد القاهر الجرجاني: (٤٧١هـ)، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢.
- المقتضب، لابي العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
- مقدمة في الاصول اللغوية المشتركة بين العربية والعبرية، د. محمد حسين آل ياسين، بغداد، ١٩٧١.
- مقدمة في النحو، لخلف الاحمر: (١٨٠هـ)، تحقيق: عز الدين التنوخي، دمشق، ١٩٦١.
- المقرب، علي بن مؤمن المعروف (بابن عصفور): (٦٦٩هـ)، تحقيق: د. احمد عبد الستار الجوار، د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦١.
- المكتفى في الوقف والابتدا، لابي عمرو الداني، تحقيق: جايد زيدان مخلف، مطبعة وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، بغداد، ١٩٨٣.
- ملامح من تاريخ اللغة العربية، د. احمد نصيف الجنابي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١.

- الممتع في التصريف، لابن عصفور الاشبيلي: تحقيق: د. فخر الدين قباوة ، ط٣، دار الافاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨.
- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٧٩.
- من اسرار اللغة، د. ابراهيم انيس، ط٣، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٦.
- من تاريخ النحو، سعيد الافغاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ت.
- من تراثنا اللغوي القديم ما يسمى في العربية بالدخيل، طه باقر، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ٢٩٨٠.
- من قضايا اللغة والنحو، د. احمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٤.
- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. علي زوين، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة (افاق عربية)، بغداد، ١٩٨٦.
- المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة للصرف العربي، د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠.
- المهذب في علم التصريف، د. هاشم طه شلاش، د. صلاح مهدي الفرطوسي، د. عبد الجليل عبيد حسين، مطبعة التعليم العالي في الموصل، بغداد، ١٩٨٩.
- الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري، الحسين بن بشر الآمدي: (٣٧٠هـ)، تحقيق: السيد احمد صقر، مطبعة دار المعارف، مصر، ١٩٧٢.
- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، سماحة آية الله العظمى السيد عبد الاعلى الموسوي السبزواري، مطبعة الاداب، النجف، ١٩٨٩.
- الموفي في النحو الكوفي ، للسيد صدر الدين الكنغراوي : (١٣٤٩هـ) ، شرحه بتعليقات توضح غوامضه ومقاصده : محمد بهجة البيطار ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق د. ت.
- مولد اللغة، الشيخ احمد رضا العاملي، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٥٦.
- الميزان في تفسير القرآن، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، ط٢، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٧٣.
- النثر الاندلسي في عصر الطوائف والمرابطين. د. حازم عبد الله خضر، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابي المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بروي: (٨٧٤هـ)، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، د.ت.
- النحت وبيان حقيقته ونبذة عن ظواهره، محمود شكري الالوسي، تحقيق: محمد بهجة الاثري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٨.
- النحو العربي قواعد وتطبيق، د. مهدي المخزومي، ط٢، مطابع دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٦.
- نحو القراء الكوفيين، خديجة احمد مفتي، ط١، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة،١٩٨٥.
- النحو الوافي، عباس حسن، ط٣، مطابع دار المعارف، مصر، ١٩٦٦.
- نزهة الطرف في علم الصرف، لابي الفضل احمد بن محمد الميداني: (٥١٨هـ)، ويليه الانموذج في النحو للزمخشري، وفي اخره الاعراب في قواعد الاعراب لابن هشام الانصاري، تحقيق: لجنة احياء التراث العربي في دار الافاق الجديدة، بيروت، د.ت.
- النسفي نحوياً من خلال تفسيره مدارك التنزيل وحقائق التاويل، رسالة ماجستير تقدم بها الباحث حامد عبد المحسن الجنابي الى مجلس كلية الاداب، الجامعة المستنصرية، مطبوعة على الآلة الكاتبة، ١٩٩٠.
- نشأة اللغة عند الانسان والطفل، د. علي عبد الواحد وافي، ط٣، مطبعة العالم العربي، القاهرة، ١٩٧١.
- نشأة النحو وتاريخ اشهر النحاة، للشيخ محمد الطنطاوي، تعليق: عبد العظيم الشناوي ومحمد عبد الرحمن الكردي، ط٢، ١٩٦٩.
- النشر في القراءات العشر، لابي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير (بابن الجزري): (٨٣٣هـ)، تصحيح ومراجعة: الاستاذ علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
- نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها، الاب انستاس الكرملي، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٨.
- نصوص ودراسات عربية وافريقية في اللغة والتاريخ والادب، د. ابراهيم السامرائي، مطابع الجمهورية، بغداد، د.ت.

- نظرات في علم اللغة عند ابن حزم، سعيد الافغاني، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٣.
- نظريات في اللغة، د. انيس فريحة، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٣.
- النظرية اللغوية العربية الحديثة، د. جعفر دك الباب، مطبعة اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ١٩٩٦.
- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، احمد بن محمد المقري التلمساني: (١٠٤١هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
- نهاية الادب في معرفة انساب العرب، احمد بن علي القراري القلقشندي: (٨٢١هـ)، علي الخاقاني، د.ت.
- النهايةفي غريب الحديث والاثر، للامام مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف (بابن الاثير) : (٦٠٦هـ)، تحقيق: طه احمد الزادي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.
- هدية العارفين في اسماء المؤلفين واثار المصنفين، لاسماعيل باشا البغدادي، طبع بالاوفسيت، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، لجلال الدين السيوطي: (٩١١هـ)، تحقيق: محمد بدر النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان، د.ت.
- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، لابي العباس شمس الدين الصمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان: (٦٨١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨.

المجلات والدوريات

- اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، العدد التاسع، ١٩٧٨، د. نايف خرما.
- بحث في علم الاشتقاق، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، الجزء الاول، ١٩٣٥، بقلم الاستاذ عبد الله امين.
- حول طابع الكلمات المترادفة في اللغة، البروفيسور ف. م بيلكي، كتاب المورد العدد الاول، ١٩٨٦.
- سبيل الاشتقاق بين السماع والقياس، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، الجزء الثاني، ١٩٣٥، بقلم الشيخ حسين والي.
- علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، المكتبة الثقافية، العدد ٢٤٩، ١٩٧٠، د. محمود فهمي حجازي.
- الفصل في الملل والاهواء والنحل، مجلة تراث الانسانية، العدد الرابع، المجلد السادس، ١٩٦٨، د. عبد القادر محمود.
- في البحث الصوتي عند العرب، الموسوعة الصغيرة، العدد ١٢٤، ١٩٨٣، د. خليل ابراهيم العطية.
- قطرب ومنهجه النحوي واللغوي، مجلة كلية الشريعة، العدد السابع، ١٩٨٨، د. علي جابر المنصوري.
- مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية، الموسوعة الصغيرة، العدد١٩، ١٩٧٨، د. هاشم الطعان.
- منهج البحث الصوتي عند العرب، مجلة الضاد، الجزء الثالث، ١٩٨٩، د. محمد حسين الصغير.
- نظرات في علم دلالة الالفاظ عند احمد بن فارس، حوليات كلية الاداب، جامعة الكويت، الحولية الحاديةعشرة، الرسالة الثامنة والستون، ١٩٩٠، د. غازي مختار طليمات.
- نظريات نشأة اللغة عند العرب، مجلة المورد. المجلد السابع، العدد الثالث، د. محمد حسين ال ياسين.

ABSTRACT

Linguistic , and grammatical study in ؛ ALAIHKAM FE ASOUL AL AHKAM. IBN HAZ AL ANDALUSI d.486.

With the Name of God , the Merciful and the Gracious Thanks to God , the God of the worlds. May the blessings and peace be upon the messenger of God , Mohammed , his descendants , companions and a dvocates.

The important of this study lies in the following considerations. It brings into light the efforts of an Andulusian juris - prudent who belongs to the exterior approach in Language and grammar through his book " AL- Ihkam Fe Usool- 1 - Ahkam ".

It goes without saying that jurisprudence books in general and Ibn Hazm's works in particular make use of grammatical studies , more philological views, and linguistic wits so as to express his meaning and achieve his aims .

The researcher aims at identifying the aspects of the syntactic and linguistic subject through some jurisprudence writings which took the exterior approach as its base. Such works adopted themselves to the charming environment of AL-Andalus.Next , the researcher holds comparisons between some eastern writings of different schools on one hand and the contents of the above mentioned book . These comparisons aim at pointing out the phonological , morphological , and syntactic similarities and differences between them.

The nature of this study necessitates its division into an introduction , a prelude , three chapters , and conclusion.

The introduction deals with the reasons behind the choice of this topic , the procedures and acknowledgments.

The prelude falls into two Sections ; the first deals with the confusion in the political situation , the social activity and the cultural progress in general and the linguistic and literary situation particular during Ibn Hazm's age in Andulus . The Second part sheds some light on significant aspects of Ibn Hazm's life and his intellectual position . This includes reference to the main contribution of the writer and the views of the ancient and contemporary researcher in favoure.

Chapter One is a survey of the phonological and morpho - Logical aspects as manifested in Ibn Hazm's book. The combination of these two aspects is indicated by the rarity of the phonologicalments state and their close connection with the morphological aspects of words as being nouns , verbs , or particles. Hence , this phonological treatment refers to assimilation , morpho-logical change , compounding with addition and deletion , and morphological replacement .The morphological part , on the other hand , deals with derivation and the semantic implication of plural.

The Second Chapter, Which is entitled " Ibn Hazm's Syntactic Contributions ".deals with most significant views of the writer that distinguish him from the rest of eastern grammarians and those of Al-Andulus .Therefore ,this Chapter is divided into five sections, The first deals with metonomy with pronouns; the second with the meaningful particles; the third with substitution , the fourth with the conjunction and resumption Use of 'Waw' in Aal Umran Sura , the fifth with Al-wudhu' verse as accusative or objective. This chapter has proved that Ibn Hazm has the ability to share with his colleague's the analysis and introspection so as to drive legal Legistlations from the texts.

The Third Chapter , which is the last , is entitled "Ibn Hazm's Linguistic Efforts".It shows what was said by Ibn Hazm as regards with the evolution of language in the first section, the Islandic languages in the second , and Semantic relations Such as Synonymy , homonomy , and autonomy in the third.

It is worth - mentioning here that there are some remarks to be made concerning the above Chapters There are:
1-The researcher has referred to the biography of unknown writers only .
2- Date of death is mentioned only when the writer is first mentioned
3- Authors of rimless books are written in full.
4- The researcher tends to abbreviate the titles of recurrent resources.

As for the difficulties faced by the researcher during the preparation of this study ,can be summarized as follows:(a) the difficulty of finding relevant resources and references , and (b)even a variable ones are distorted.

Researcher